آثار الشيخ زيد الفياض رحمه الله (١٤)

في سبيل الإسلام



تأليف فضيلة الشيخ

زيد بن عبد العزيز الفياض

رحمه الله

(١٣٥٠-١٤١٦هـ)

دار الألوكة للنشر

في سبيل الإسلام

الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ

الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ

الطبعة الثالثة خاصة بدار الألوكة ١٤٣٧هـ



دار الألوكة للنشر
المملكة العربية السعودية - الرياض
هاتف: ٠٠٩٦٦١١٤٥٦٦٦٦٠ تحويلة ٣٣٣
ناسوخ: ٤٥٥٠٦٦٦ - ص . ب ٣٠٥٦٦٠ الرياض ١١٣٦١
dar@alukah.net

في سبيل الإسلام

تأليف فضيلة الشيخ

زيد بن عبد العزيز الفياض

رحمه الله

(١٣٥٠-١٤١٦هـ)




بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٠

تقديم

نحمد الله على نَعمائه، ونشكره على إفضاله، ونصلِّي على خاتم رسله وأكرم أنبيائه، محمَّد ﷺ وعلى آله وصحابته وتابعيهم بإحسان، وبعد:

فهذا كتابي "**في سبيل الإسلام**"؛ أقدِّمُه للقرَّاءِ بعد أن كانت مَواضيعُه مشتَّتةً في مُختلف الصُّحُفِ التي نشرَتها. وكان العديد من القُرَّاء يقترحون عليَّ إصدارها في كتابٍ؛ ليتمكَّنوا من مطالعتها مجتمعةً بعد أن قرؤوها متفرِّقَة.

وسيجد المرءُ في مقالاتي هذه ضروبًا متعدِّدةً وألوانًا متنوعةً، ولهذا تلتقي عند غايةٍ واحدةٍ؛ ألا وهي الرغبةُ في النهوض على أسسٍ سليمة. وقد كان من دواعي إخراجها في كتابٍ ما كنتُ أُصادفُه من تشجيع القرَّاء إبَّان نشري لها في الصُّحُف.

وشيء يجب ألا يغيبَ عن البال: إنَّ هدفَ هذه الكلمات والمقالات هو الإصلاحُ والدِّفاعُ عن الإسلام. ولم أكتب من أجل الرغبة في الظهور، أو النزعة إلى

إشباع غريزة من الغرائز، أو إرواء هواية من الهوايات؛ فالكتابةُ عندي أسمى من ذلك وأجلُّ خطرًا. فقد كتبت شعورًا بما يُمليه عليَّ الواجبُ من مشاركةٍ في رفع المستوى الثقافيِّ والاجتماعيِّ والاقتصاديِّ، وكلِّ أنواع التقدُّم الصحيح في العالم العربيِّ والإسلاميِّ عامَّةً وفي المملكة خاصَّة. وأقول سلفًا: إنَّني حاولت المشاركةَ بقَدرِ المُستطاع ولا يكلِّف الله نفسًا إلَّا وسعَها.

وسيرى المطالعُ لهذا الكتاب أنَّ قسمًا غيرَ قليلٍ منه يناضل في سبيل الدَّعوة الإسلاميَّةِ، ومحاربة المذاهب الهدَّامة التي روَّجَ لها مُروِّجون، واعتنقَها بعضُ المخدوعين وتحمَّسوا لها، وهي تتنكَّرُ للأديان والرِّسالات والمُثُلِ الكريمة.

وإنَّني أتصوَّرُ الكاتب الذي يَنكُصُ عن مقاومة الإلحاد والغزو العقائدي، ولا يُعنى إلَّا بتنميق العبارات الخاوية، أو إرضاء فلان وعلَّان، أو التكالب على الكسب الماديِّ السريع، غيرَ عابئ بما يُحتِّمهُ عليه واجبُه - أتصوَّرُه خائنًا للكتابة ومصيبةً على القلم.

وبعدُ:

فلا أريدُ التحدُّثَ عن كتابي بأكثرَ من هذا، وحسبي أن كتبته مقالات نُشرت ثم قَدَّمته كتابًا في متناول القارئ ليقول فيه رأيَه إذا أراد.

وعلى الله قصد السبيل.

المؤلِّف



هجرةُ المصطفى ﷺ[1]

في عمر الزمن ساعاتٌ ولحظاتٌ لها فضيلةٌ بها تمتاز. ولها إشراقٌ وخصائصُ لا يُبلي من رونقها القِدمُ، ولا يغيِّر من بهائها تطاولُ السِّنين والأيَّام؛ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القَصَص: ٦٨].

وفي هذه الأيَّام مُعتَبرٌ وذكرياتٌ للمسلم، فيرجع به الذِّهن إلى أيَّامٍ بهيَّةٍ حافلة، وإلى جهادٍ بلغ الذِّرْوَةَ في الجهاد، وإلى صبرٍ يبعث على الإجلال والإكبار.

ولا غَرْوَ؛ فإنَّ محمَّد بن عبد الله ﷺ عبدَ الله ورسوله، وأفضلَ الأنبياء، وسيِّدَ ولد آدم، قد ناله من الشدَّة على قدر عَزمِه، وتحمَّلَ من الأذى على حسَب العبء الجسيم والشأن الخطير، وإنَّه لشأنٌ عظيمٌ، وأيُّ شأن!

رسالةٌ بعثه الله بها لينقذَ الناس من ضلال الوثنيَّة، وخُرافات الجاهليَّة، وأحقاد النفوس المريضة إلى نور الهداية، وصراط مستقيم، حيث الصفاءُ والتوحيد وكرامة

(١) نُشرت في "اليمامة" العدد (٣٣٨) في ١٩/ ٣/ ١٣٨٢هـ.

الإنسان؛ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

لقد قام محمَّد بن عبد الله عليه صلوات الله وسلامه يدعو إلى الله على بصيرة، يدعو إلى سبيل ربِّه بالحكمة والموعظة الحسنة، ولقِيَ الجحود والإيذاء، ورُمي بالحجارة، وحُوصر وتآمرَ عليه قومُه ليقلتوه أو يخرجوه؛ ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وسلَّطوا عليه عواملَ الإغراءِ والتهديد؛ لكي يرجعَ عن دعوته، أو ينصرفَ عن رسالته، ولكنَّه رفض كلَّ ذلك، ولم يَثنِه عن القيام برسالة الله إلى الناس أجمعين.

وأيَّ شيء من سيرة النبي محمَّد ﷺ نذكر؟ وأيَّ أمثلة نختار، وكلُّها سيرةٌ عَطِرةٌ شَذِيَّة؛ يفوح أريجُها، ويسطعُ نورُها، وتسمو أهدافُها؟!

إنَّ سيرةَ محمَّد ﷺ كلُّها عجَبٌ، وكلُّها صبرٌ وجهاد، وعزيمةٌ ومَضاءٌ في سبيل الحقِّ والهدى، ولقد كانت له العُقبى، ولرسالته المجدُ والظهور .

ويحسُن هنا أن نوردَ ما ذكره الترمذيُّ وهو قطرةٌ من بحر، ونَزْرٌ من كثير، وزهرةٌ من بستان.

قال الترمذيُّ: حدَّثَني محمَّدُ بن صالح، عن عاصم بن عمر بن قَتادة، ويزيد بن رُومان وغيرهما قالوا: أقام رسولُ الله ﷺ بمكةَ ثلاثَ سنين من أوَّل نبوَّته مُستخفِيًا، ثم أعلن في الرابعة، فدعا النَّاس إلى الإسلام عشرَ سنين؛ يُوافي الموسِمَ كلَّ عام يتبعُ الناسَ في منازلهم وفي المواسم بعُكَاظٍ ومَجَنَّةَ وذي المجَاز، يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلِّغ رسالاتِ ربِّه ولهم الجنَّة، فلم يجد أحدًا ينصره ولا يُجيبه؛ حتى ليسألَ عن القبائل ومنازلها قبيلةً قبيلةً ويقول: «يا أيُّها النَّاس؛ قولوا: لا إله إلَّا الله تُفلحوا وتملكوا بها العرب، وتَدينُ لكم بها العَجَم، فإذا متُّم كنتم ملوكًا في الجنَّة».

وأبو لهبٍ وراءَه يقول: لا تُطيعوه فإنَّه صَابئٌ كذَّاب.

فيردُّون على رسول الله ﷺ أقبحَ الردِّ ويؤذونه ويقولون: أُسرتُكَ وعشيرتُكَ أعلمُ بك حيثُ لم يتَّبعوك.

وهو يدعوهم إلى الله ويقول: «اللهمَّ لو شئتَ لم يكونوا هكذا».

أجل؛ لقد نصر الله رسولَه، وأذلَّ أبا لهبٍ وحزبَه؛ ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وما أعظمَها من ذكرى، وما أطيبَها من هجرةٍ بها انتصرَ الإسلام، واندحرَ الكُفر، وكانت الغَلَبَةُ للمؤمنين .



ذكرى الأمجاد[1]

وبدخول العام الهجريِّ الجديد تعودُ الذاكرةُ لأيَّامٍ مجيدةٍ حافلةٍ بالجهاد والصبر، وحبِّ الخير للبشريَّة جمعاء.

وهجرةُ المصطفى ﷺ - رسولِ الله إلى النَّاس كافَّة - تُبرِز بأجلى معانيها وأظهر صُورِها مدى الثبات والتحمُّل؛ لقد دعا رسولُ الله ﷺ أهلَ مكَّةَ والطائفِ إلى دين الله، ونبذِ الشِّركِ والخرافات والطُّغيان، وكان يعرِضُ نفسَه على القبائل؛ يدعوهم للتوحيد وعبادة الله، وترك العادات الجاهليَّة الحمقاء؛ فلقيَ الكثيرَ من الصدِّ، والقليلَ من الاستجابة، وقُذفَ بالحجارة حتى دَمِيَت قدماه، وأُلقي الأذى عليه وهو يصلِّي، ورُمي بالإفكِ، وقيل عنه: ساحرٌ ومجنونٌ وكذَّابٌ، وغير ذلك من الاتِّهامات الباطلة، وهو نذيرٌ لهم بين يدي عذاب شديد؛ يريد إنقاذَهم من الشرِّ إلى الخير، ومن الجَور إلى العدل، ومن الشِّرك إلى التوحيد، ومن عبادة اللَّات والعُزَّى ومَناةَ الثالثة الأخرى إلى عبادة

(١) نُشرت في "اليمامة" العدد (٣٨٦) في ٧/ ١/ ١٣٨٣هـ.

الله وحدَه.

ولـم يكتفوا بذلك؛ بل ائتمروا في دار النَّدوة في شأنه، وتداولوا الرأيَ في الخلاص منه، إمَّا بقتله أو نفيه من بلده أو سجنه.

إنَّ هجرةَ المصطفى ﷺ تُمثِّلُ بأروع معانيها الثباتَ على العقيدة، وتحمُّلَ الأذى في سبيل تبليغ رسالة الله وهداية البشر. لو كان محمَّدٌ ﷺ يريد جاهًا أو سلطانًا أو ثراءً لكان له ذلك دون أن يُعرِّضَ نفسَه لتلك المتاعب، فيثورَ عليه سخطُ الكثيرين وإيذاؤهم.

لقد رفضَ المساومات، وقال قولَته الصَّريحة الجريئة: «واللهِ لو وضَعوا الشَّمسَ في يميني، والقَمَرَ في يساري لم أَدَعْ هذا الأمرَ حتَّى ينتَصِرَ أو أهلِكَ دونَه».

وحين هاجر النبيُّ ﷺ بعد أن أذِنَ الله له بالهجرة، إنَّما كان هدفُه انتصارَ الحقِّ وإعلاءَ شأنه في موطن يجدُ فيه المجالَ الفسيحَ والترحيبَ بدعوته.

لقد انتصرَ الحقُّ على قلَّة أهله على الباطل على كثرة أهله وقوَّة شوكتهم وسُلطانهم وثرائهم، وكانت العاقبةُ

للمتَّقين، وفي مدَّة ليست كثيرةً كان الإسلامُ قد جاب آفاقًا بعيدةً وأماكن قاصية، وكلمةُ التوحيد تُهيمن على قارَّات عديدة بينها آلاف الأميال، والقرآن يُدوِّي في مساجدها ومدارسها، والإيمان يملأ قلوبًا كانت خرابًا يَبابًا، والشَّهادةُ في سبيل الله أمنيةٌ تَتوقُ إليها أفئدةٌ طالما رانَ عليها الخمول والوثنيَّة والخرافات، والركونُ إلى مَلاهي الحياة وملذَّاتها المبتذَلة.

إنَّ محمَّدًا ﷺ ومن آمن معه في مكةَ قد لقوا الاضطهادَ والعَنَت، فكان لا بدَّ لهم من مأوًى يجدون فيه مُتَّسعًا لنشر الإسلام ودخول الناس فيه، وقد استعملَ الرسول ﷺ الرِّفق في دعوته والإقناعَ بالحجَّةِ والبُرهان. وعندما قَوِيَت شوكةُ الإسلام، وكثُر أنصاره وحزبُه خيَّره الله في الجهاد فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [الحجّ: ٣٩].

وبعد أن ازداد قوَّة، وعرفَ النَّاسُ عنه ما كانوا يجهلونه، وظلَّ المعاندون والجاحدون في غَيِّهم وعنادِهم، أمرَه الله بالجهاد في سبيل الله وحملِ السِّلاح، فكانت غزَواتُه وحروبُه، وكان الجهادُ في سبيل الله؛ ذِروةُ

الإسلام، وفضلُه من الإسلام ومكانته الساميةُ منه لا تَخفى؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التّوبَة: ١١١]، وفي الحديث: «من لم يَغْزُ، ولم يُحدِّث نفسَه بالغزوِ ماتَ على شُعْبَةٍ من النِّفاق».

لقد جاهدَ الرسولُ ﷺ وصحابتُه والخلفاءُ الراشدون لنصرةِ الحقِّ وإعلاء كلمة الله، فكان أن انتشر الإسلام انتشارًا لا مَثيلَ له، وأتَوا بالعجَبِ العُجاب الذي بهرَ العالم واندهشوا أمامَ تَعليلِه؛ لكنَّه سُلطان الحقِّ والإيمان، والدِّين الذي اختاره الله للبشريَّة جمعاء، والشريعة التي جاءت لجميع الخلق شاملةً كاملة.

وحينما جَهِلَ المسلمون تعاليم دينهم وتفرَّقوا شيعًا وتشتَّتوا، وفُقِدَت العزَّةُ والإباءُ من نفوس الكثيرين منهم، صاروا أذلَّةً تتكالبُ عليهم الدُّول، وتَتداعى عليهم الأُممُ كما تتداعى الأكَلَةُ على قصعَتِها، وَقودًا للحروب التي لا ناقةَ لهم فيها ولا جمل، ومصدرًا لثراء الدول المعادية وقوَّتها، بينما هم يَرسِفُون في قيود المهانة واحتقار الأُمَم، وقد تبدَّدَ شملُهم، وتفرَّقَ جمعُهم، يقتسِمُ بلادَهم الأعداء،

وينهبُ ثروتَهم المعتدون، ولا يُحسَب لرأيهم حساب، ومع ذلك يتشدَّقون بالإسلام، ولكنهم مثلُ تلك القبيلةِ التي عَناها الشاعر:

قُبيِّلةٌ لا يَغدِرونَ بذِمَّةٍ   ولا يظلِمونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

فهل يتَّعظ المسلمون ويفهمون الإسلامَ ومقاصدَه، ويتَّخِذون من هجرة سيِّدِ الخلق محمَّد عِبرةً ودرسًا؟ ومن سيرته مَنهَجًا وطريقًا؛ ليعودَ إلى الإسلام مجدُه، وإلى المسلمين عزَّتُهم ومهابتُهم، وللحقِّ قوَّته ومضاؤه، وذلك ما يتمنَّاه كلُّ مسلمٍ غَيور؟!



السِّيرة العَطِرة[1]

في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأوَّل قبل ١٣٨٢ سنةٍ هاجرَ المصطفى ﷺ من مكَّةَ إلى المدينة، وفي اليوم الثاني عشر من ربيع الأوَّل كان مولدُه ﷺ أيضًا، ومحمَّدٌ ﷺ خاتمُ الأنبياء وأفضل الرُّسُل، وشريعتُه أكملُ الشرائع، بعثَه الله إلى النَّاس كافَّة؛ ليُنقِذَ النَّاسَ من ضلال الشِّرك وظُلمات الكفر، ودَياجِيرِ البِدَع إلى عالم النُّور والهدى، وإلى توحيدِ الله وعبادته، وإلى وَحدةٍ إسلاميَّةٍ شاملةٍ فيها التعاون على الخير، والتناهي عن الشرِّ.

دعا محمَّدٌ ﷺ بالتي هي أحسنُ في تبليغ رسالة ربِّهِ، فلَقِيَ الصدَّ والأذى، واستهزأ به المشركون، ورماه السُّفهاءُ بالحجارة حتى أَدمَوا قدَمَيه، وكان ذلك بإيعازٍ من قادَتِهم.

وتعنَّتَ المشركون في طلباتهم منه حتَّى يصدِّقوه فيما زعموا؛ فطلبوا منه أن يأتيَ بالله والملائكة عِيانًا، وأن يكونَ له بيتٌ من ذهب، وأن يَرقَى إلى السَّماء، ولن

(١) نُشرت في "اليمامة" العدد (٤٠٤) في ١١/ ٣/ ١٣٨٣هـ.

يؤمنوا لِرُقيِّهِ لو شاهدوه حتى ينزِّلَ عليهم كتابًا يقرؤونه، وأن يفجِّرَ لهم عيونًا من الأرض، وأن يكونَ له جنَّةٌ من نخيلٍ وعِنَبٍ فيفجِّرَ الأنهارَ خلالَها تفجيرًا، وهو يتحمَّلُ منهم كلَّ ذلك بصبرٍ رائعٍ وأَناةٍ عظيمة.

ويتلو عليهم القرآن فيقولون: ساحرٌ ومجنونٌ وكاهن، وأنه تلقَّى هذا القرآن من البشَر وليس من عند الله، ويجمع قريشًا ويقول لهم: إنِّي نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديد، وإنِّي لا أُغني عنكم من الله شيئًا؛ وذلك استجابةً لأمر الله في قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشُّعَراء: ٢١٤]، فيصيحُ عمُّه أبو لهب قائلًا: تبًّا لك! أدَعَوتَنا لهذا؟!

ويذهب إلى أهل الطائف يدعوهم إلى توحيدِ الله ونَبذِ الشِّرك، فيُغرونَ به سُفهاءَهم يرمونه بالحجارة ويسخرون منه، فيُقابل كلَّ ذلك بحِلم مُنقطِع النَّظير ويقول: «اللهمَّ اغفِرْ لقومي فإنَّهم لا يعلمون»، ولا يريد إهلاكَهم؛ بل يقول: «لعلَّ اللهَ يُخرِجُ من أصلابِهم مَن يعبدُ الله لا يُشركُ به شيئًا».

وفي طريق عودَتِه من الطائفِ يردِّدُ هذا الدُّعاء: «اللهمَّ إنِّي أشكو إليكَ ضعفَ قوَّتي، وقلَّةَ حِيلَتي، وهَواني على

النَّاس، أنتَ أرحمُ الراحمين، وربُّ المستضعَفين، وأنتَ ربِّي؛ إلى مَن تَكِلُني؟ إلى بعيدٍ يتجهَّمُني، أو إلى عدوٍّ ملَّكتَه أمري؟! إن لم يكن بكَ عليَّ غَضَبٌ فلا أُبالي، غيرَ أنَّ عافِيَتكَ هي أوسعُ لي، أعوذُ بنورِ وَجهِكَ الذي أشرقَت له الظُّلماتُ، وصَلَحَ عليه أمرُ الدُّنيا والآخرة أن ينزلَ بي غضبُك أو يحلَّ بي سَخَطُك. لكَ العُتبى حتَّى ترضى، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بك».

لقد دعا محمَّد ﷺ إلى الخير فَقُوبِلَ من المشركين بالشرِّ، وقاطعوه ومَن آزرَه، وناصبوهم العَداء، وائتمَروا في شأنه بدار النَّدوة؛ فمن قائلٍ بقَتلِه، ومن قائلٍ بنَفيِه، ومن قائلٍ بسَجنِه، وأخيرًا اتَّفقوا على أن تشتركَ قبائلُ قُريشٍ كلُّها في قتلِه، وأن يختاروا من كلِّ قبيلةٍ شابًّا فيضربوه ضربةَ رجلٍ واحدٍ؛ فلا تَقدِرُ بنو هاشم على الأخذِ بثأره، وليس هذا فحسْب؛ بل لقد عرضوا عليه كلَّ المُغرِيات: المالَ حتَّى يكون أغنى رجل فيهم، والسُّلطانَ بأن يملِّكوه عليهم، وأن يزوِّجوه أجملَ فتاةٍ يختارُها، فرفضَ هذا الإغراءَ المذهِلَ بإيمانٍ لا يتزعزع، وثقةٍ في الله لا حدَّ لها، وتصميم على تبليغ الرسالة مهما كلَّفه ذلك من

الثَّمن، وصدعَ بأمرِ الله؛ ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾ [الحجر: ٩٤].

ولقد هاجرَ ﷺ فرارًا بدين الله. وكان مثالًا في الأمانة والصِّدق والشَّجاعة والعفو، فقد كان يُلَقَّبُ بالأمين حتَّى قبلَ أن يُوحى إليه. وفي يوم حُنَيْنٍ انهزمَ أصحابُه فوقفَ ثابتًا في ساحة الحرب يردِّدُ: «أنا النبيُّ لا كَذِب، أنا ابنُ عبد المطَّلب». وكانت مكَّةُ أحبَّ البلاد إليه، ومع ذلك ظلَّ في المدينة وفاءً للأنصار.

وضربَ أروعَ الأمثلة في العفو؛ فحينما فتح مكةَ وقَدَرَ على من آذَوه ومن دبَّروا قتلَه عفا عنهم وقال: «اذهَبوا فأنتُم الطُّلقاء».

ولم ينسَ لأصحابِه سابقتَهم؛ فكان أبو بكر الصدِّيق أحبَّ الناس إليه، وقال: «لا تَسبُّوا أصحابي فوالذي نفسي بيدِه لو أنفقَ أحدُكم مثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا ما بلغَ مُدَّ أحدهِم ولا نَصِيفَه».

وكان أحسنَ النَّاس خُلقًا وخِيارَهم لأهلِه، وكان يشُقُّ عليه ما يُتعِب المؤمنين، وهو بهم رؤوفٌ رحيمٌ. وكانت صفاته ﷺ كلُّها مثلًا رائعًا، وخِلالًا حميدة، وقدوةً

عظيمةً. وكانت سيرتُهُ عَطِرةً يفوح أريجُها، ونبراسًا يضيءُ للسالكين.

ولقد بلَّغَ الرِّسالة، وأدَّى الأمانة، ونصحَ الأُمَّة، وجاهدَ في الله حقَّ جهاده؛ ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المَائدة: ٣].



مستقبلُ الإسلام[1]

نشرت "مجلةُ رابطة العالم الإسلامي" في عددها الخامس الصادر في (رجب) عام **١٣٨٣** هـ الخبرَ التالي:

صرَّحَ رئيسُ وزراء الإقليم الشماليِّ في نيجيريا السيِّد الحاج أحمدو بللو بأنَّه من الأهميَّة لجميع المسلمين مهما كانت مراكزُهم وأوضاعُهم الاجتماعيَّة أن يعدُّوا أنفسَهم إخوانًا، ويجب عليهم أن يتضامنوا بروح الإيمان وسلامة النيَّة؛ ليتمكَّنوا من الحِفاظ على عزَّة وكرامة الإسلام الحنيف.

وقد صرَّح رئيسُ الوزراء بهذه الكلمات أثناء خطابٍ وجَّهَهُ لبعض أفراد قبائل الجويري الذين اعتنقوا الإسلام حديثًا واهتدوا إليه . . . الخ.

وهذا الخبرُ وأمثاله ممَّا تتواتر به الأنباء عن اعتناق كثيرين للإسلام يوميًّا في أنحاء الدُّنيا وأطراف العالم؛ ليدلَّ دلالةً أكيدةً على المستقبل العظيم للإسلام.

---

(١) نُشرت في "اليمامة" العدد (٤٤١) في **٢٣/ ٧/ ١٣٨٣**هـ.

ولقد مرَّت بالإسلام أدوارٌ خطيرة، ومحاولاتٌ كبيرة لطَمسِه وإزالتِه من الوجود، ولكنَّ الله تكفَّلَ بحفظِ دِينِه ونَصرِه، وظهوره على الدِّين كلِّه ولو كَرِهَ الكافرون، وإنَّها لمعجزةٌ باهرةٌ أن تكون تلك العواملُ الكثيرةُ والزَّعازعُ الفادحةُ قد مرَّت بالإسلام ثم ظلَّ شامخًا كالطَّوْدِ، راسخًا كالجبال الرواسي.

ورغم انتشار المبشِّرين النصارى، ودعاوى المستعمرين من المتعصِّبين، وتزييفِهم للحقائق، وجهودِهم العديدةِ لتنفير الناس عن الإسلام، فقد ثبتَ هذا الدِّينُ قويًّا مُشرِقًا تَشِعُّ أنوارُه، وتتلألأ أضواؤه، مناديًا إلى الحقِّ وإلى الصِّراطِ المستقيم.

وها هي الغِشاوةُ تنقَشِعُ عن نفوسٍ كثيرةٍ طالما رَسَفَت في قُيودِ الضلال، وتاهَت في دَياجِيرِ الباطل، فتهتدي للإسلام عن علم وثقةٍ واطمئنانٍ، فترتاحُ نفوسُهم بعد قلق، وتهدأُ خواطرُهم بعد تشتُّتٍ وانزعاج، ويستكينون إلى الإيمان والرَّشَد، ومن كلِّ أصقاع الأرض تأتي الأخبارُ تترى عن مسلمين جُدُد، وعن مؤمنين حديثي العهدِ بالإسلام يدخلون في دينِ الله أفواجًا، ومن أقطار الدُّنيا

في إفريقيا وأميركا وأوربَّا ومن كلِّ مكان.

إنَّ هذا الدِّين قد اختاره الله للبشر أجمعين؛ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبيَاء: ١٠٧]، ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعرَاف: ١٥٨]. هذا الدِّين هو الذي يُلائم مقتضياتِ الرُّوح والجسدِ والحياة الدُّنيا والآخرة والعقل والنفس، وهو الدِّين الصالح لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، وما عداه من المذاهب والمبادئ مهما بَدَت مُغرِيةً جذَّابةً، لا تلبثُ أن يظهرَ عَجزُها وقصورُها؛ فيتفرَّق أصحابُها بَدَدًا وينكشفُ لهم سَرابُها؛ لذا فلا بِدْعَ أن يعتنقَ الكثيرون الإسلام عن رضًى واقتِناع.

وإنَّ على قادة المسلمين وعلمائهم مسؤوليَّةً جسيمةً في إرسال الوفود للدعوة للإسلام، ومناصرة المسلمين في كلِّ مكان، وطبع الكتب الإسلاميَّة وتوزيعها، والمساعدة في إنشاء المدارس والمعاهد الدينيَّة والمساجد، ويجب أن تقف الدُّول الإسلاميَّة موقفًا حازمًا ضدَّ الدُّول التي تضطهد المسلمين وتشرِّدهم. إنَّ مثلَ هذه الأفعال سيكون لها ثمارٌ طيِّبةٌ حسنةٌ بإذن الله.



المبدأ القويم[1]

الإسلامُ دينُ السَّماحة واليُسر، دين الطُّهر والعِزَّة والأخلاق الكريمة. لقد أثبتت التجارِبُ والأحداث وما فَتِئَت كلَّ يوم أنَّه لا عزَّةَ للمسلمين ولا مجدَ ولا مَخلَصَ لهم ممَّا وقعوا فيه من التأخُّر إلَّا بالرجوع إلى الدِّين الحقِّ الذي جاء ليخرج النَّاس من الظُّلمات إلى النُّور، ومن العبوديَّة واستِرقاقِ المخلوقين، والتعلُّق بالأوثان إلى الكرامة والسُّمُو، وتوحيد الخالق العظيم.

نزلَ على أشرفِ الخلق وسيِّد وَلَدِ آدَم، فبلَّغَ الرِّسالة، وأدَّى الأمانة، ونصحَ الأمَّةَ، وكَمَل به الدِّين حتَّى لا يحتاج لتكميل البشر وقوانينهم الوضعيَّة وأفكارهم الناقصة.

تمسَّكَ المسلمون الأُوَلُ بهذا الدِّين القويم، فضربوا أروعَ الأمثلة في التواضُع والنُّبل والشجاعة وبذلِ النَّفسِ والنَّفيسِ دونَ مُعتقداتِهم ودِيانتِهم؛ ولا غَرْوَ أن يفتحوا البلاد، وأن تزحفَ جيوشُهم في شرقيِّ آسيا وغربيِّ إفريقيا

---

(١) نُشرت في "اليمامة" العدد (١٦٦) في ٢٠/ ٩/ ١٣٧٨هـ.

في آنٍ واحدٍ ممَّا لم يقع له نظيرٌ في التاريخ، ولولا أنَّه حقيقةٌ واقعةٌ لا سبيلَ إلى إنكارها لكان ضربًا في الخيال والأساطير الوهميَّة.

هذا الدِّين الذي كُتب له العلوُّ والظهورُ إلى يوم القيامة، دافعَ دونَه أتباعُه؛ لا لأغراضٍ ماديَّة، ولا للدِّفاع عن النفس فقط، وإنَّما لينشروا رسالة الإسلام العظيمة؛ لتنعَم بوارفِ ظِلالِه أُممٌ لا تزال تتخبَّطُ في دَياجِير الظلام، وليُزيح عنهم كابوسَ الشُّرور والطُّغيان، وكان كما أخبر الرسول الكريم ﷺ «بأنَّ الله يرفعُ بهذا الدِّين أقوامًا ويضعُ به آخرين».

وعندما هان الإسلام في نفوس الناس بدأ ضعفُهم وذُلُّهم، وتقهقروا وانطبعوا بطابع التفكُّك والانحلال حتَّى صاروا في حالةٍ شبه الجاهليَّة، وربَّما تجاوزت هذا الوصف.

ولكنَّ المصلحين الذين قُدِّرَ لهم أن يسطعوا كالنجوم اللامعة، والبُدور المنيرة ما بين آوِنةٍ وأخرى كما جاءت الآثار: «إنَّ الله يبعثُ لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مئة سنة مَن يجدِّد لها دينَها»، وفي حديثٍ آخر: «يحملُ هذا الدِّينَ

من كلِّ خَلَفٍ عُدُولُه؛ ينفُون عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المُبطِلِين، وتأويلَ الجاهلين»؛ فعلى الرَّغم ممَّا حدث من ضعفٍ وتفكُّكٍ وتخاذُلٍ فإنَّ دينَ الخُلود قد قَيَّض الله له من يذودُ عنه، ويؤدِّيه طَرِيًّا كما جاء، سليمًا من تحريفِ المحرِّفين وتضليلِ المشعوِذين.

وإنَّ أحقَّ النَّاس بالتمسُّك بهذا الدِّين والذَّودِ عنه العربُ الذين نزلَ بلسانهم، وبُعِثَ الرسولُ من أنفُسِهم، وشرَّفهم الله ببزوغ الفجرِ ونور الهدايةِ من جَنَباتِ أرضِهم الزاكيَة؛ وقد قال مُعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: واللهِ يا معشرَ العرب، لئِن لم تقوموا بهذا الدِّين لغيرُكم من النَّاس أَحرى ألَّا يقومَ به.

إنَّ العربَ - وهم اليوم في دور الصِّراع للتخلُّصِ من رِبقَةِ الاستعمار البغيضِ الذي رَزَحوا تحت كابوسِه رَدَحًا من الزمان، وذاقوا وَيلاتِه ومؤامراتِه ومَكائِدَه - ما أجدرَهم أن يُعيدوا التاريخ، وأن يُسكتوا الأصواتَ الناشزةَ الخبيثةَ التي تريد أن ترتمي في أحضان أفكارٍ ومَبادِئَ مناقضةٍ لدعوة الإسلام السَّمْحة الكريمة ودين الخلود: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]؛ فتُقيم

براهينَ ساطعةً أنَّ قوَّةَ العرب في أخذهم بمبادئ الإسلام والمحافظةِ عليه؛ وقد صدقَ من قال:

كلُّ العَداواتِ قَد تُرْجَى مَوَدَّتُها   إلَّا عداوةَ مَن عَاداكَ في الدِّينِ

إنَّ الذين خدعَهم السَّرابُ، واندفعوا بحركاتٍ هستيريَّة يمجِّدون المبادئ الدخيلةَ ووسائلها، هؤلاءِ قومٌ تائهون سادرون في غفلةٍ عميقة.

وما أَولاهم بصيحةٍ توقِظُهم من سُباتِهم، وتُعيد لهم صوابَهم؛ ليكونوا على بصيرةٍ، سالمين من التخبُّط والتشكُّك، وتبًّا للإلحادِ وللدَّعَوات الشرِّيرة، وهدى اللهُ كلَّ ضالٍّ، والله المستعان.



هذه البلاد والشؤون الإسلاميَّة[١]

لهذه البلاد مكانةٌ في نفوس المسلمين في مَشارق الأرض ومَغاربِها لا تُضاهى، وقد امتازت بأنَّ فيها الحرمين الشريفين، ومنها بزغَ نورُ الإسلام، وقام أنصار الدِّين من المهاجرين والأنصار، وما فَتِئَت مَأرِزًا للإيمان ومَهوًى للأفئدة وحِصنًا للدِّين؛ لذا فإنَّ مسؤوليَّتها تُجاه المسلمين عظيمةٌ، وعِبأَها جسيم.

وإذا كانت هناك دولٌ تنتَسِبُ للإسلام، وتتقاعَسُ عن نُصرة القضايا الإسلاميَّة، وتَلجأ إلى دعَواتٍ إقليميَّة وقوميَّة، ومبادئَ مستوردة؛ فإنَّ هذه البلاد - حكومةً وشعبًا - تعلنُ اعتزازها بالإسلام وتطبيق أحكامه، وترى لها في ذلك الفخرَ كلَّه والمجدَ كلَّه، بل تدرك أنَّ عزَّها وقوَّتها مرتبطان بالإسلام وحدَه، وأنَّها لو تخلَّت عن ذلك - والعياذ بالله - فستكون عليها النكسةُ والبَوار.

وحيث إنَّ الأمرَ ما ذكر فإنَّ واجبَ هذه البلاد تُجاه

---

(١) نُشرت في "اليمامة" العدد (٤١٧) في ٢٨/ ٤/ ١٣٨٣هـ.

القضايا الإسلاميَّة كبيرٌ، وينبغي ألَّا يكون موضعَ جدلٍ في تأييدها للمسلمين في الصِّين وروسيا ويوغسلافيا وقُبْرُص وغيرها من الذين يُلاقُون الاضطهاد، وتتحكَّم فيهم قوًى تريد إبادتَهم، والقضاءَ عليهم بين عَشيَّة وضُحاها، ومحوَ الإسلام من نفوسهم، وبذلَ المحاولاتِ الفظيعة لفَتنِهم عن دينهم وارتدادهم عنه.

ولا نريد في هذه الكلمة أن نذكرَ الدوافعَ والأحقادَ التي يُضمِرها أولئك المسيطرون عليهم، ولا نريد أن نبيِّنَ ما فعلَه المستعمِرون في هذا السَّبيل الذي تدفعُهم إليه العُقَد الصليبيَّة، وحِرصُهم على تشتيت الإسلام والمسلمين، وإضعافِهم حتَّى لا تقوم لهم قائمةٌ ولا يكون لهم شأن.

كلُّ ذلك لا نستغربه من هؤلاء المستعمِرين الصَّليبيين، ولكن الذي يُحزن النفس، ويجرحُ الفؤادَ هو حالُ المسلمين وواقعُهم؛ فبالرَّغم من توالي التعدِّي والجرائم من أعدائهم فإنَّهم لم يَتَّعِظوا، ولم يأخذوا دروسًا تنفعُهم في مستقبل الأيَّام، وكأنَّهم فقدوا الأحاسيسَ والمشاعر، واضمحلَّت ثقتُهم في أنفسِهم، فصاروا لا يُبالون بما يُصيبُهم من نكَساتٍ وما يوجَّه إليهم من طعَنات وركَلات.

لقد كانت مأساةُ فلسطين كافيةً لتنبيه المسلمين، وإدراكهم لما يُحاك لهم، ولكنَّهم مع الأسف لم يقابلوا الأمر بجدٍّ وحَزم، ولم يهتمُّوا بما وقع، ولقد كان من عوامل ضعفِ المسلمين إخلادُهم للراحة، ومداهنتُهم لأعدائهم، وتخاذلُهم أمامَهم.

وإنَّ واجبَ هذه البلاد - حكومةً وشعبًا - أن تنظرَ للقضايا الإسلاميَّة نظرةً جديَّةً، وأن تُناصرها بالقول والعمل، وأن تُبرزها بقدر الإمكان، وتشرحَ غامضَها وملابساتِها، وتوضِّح ما يلتبس منها؛ إسهامًا في قيامها بواجبها الدِّيني، وضرورة ارتباطها بالعالم الإسلامي، ووقوفها بجانب القضايا الإسلاميَّة، وإعلان رأيها صريحًا لا غموضَ فيه ولا إبهام.

وإن كان العمل قد يَصعُب لظروفٍ قاهرةٍ فلا أقلَّ من التأييد بالقول (فليُسعِدِ النُّطقُ إن لم تُسعِدِ الحالُ)، ولتبرزها الصِّحافة في صراحة ووضوح للتعبير عن رأي الأُمَّةِ كما هو واجبُ الصِّحافة، وهذا أضعف الإيمان، إنَّها مسؤوليَّةٌ خطيرةٌ تحملُها البلاد تُجاه الإسلام والمسلمين فلعلَّها تنهضُ بها.

حَضارةُ الإسلام[١]

للإسلام حضارةٌ مستقلَّةٌ تنتمي إليه وتُنسَب له، وليس معنى ذلك أنَّها حضارةٌ تَنحاز إلى التعصُّب أو ترفض الصالحَ من غيرها؛ بل إنَّ الحقَّ ضالَّةُ المؤمن يلتقطه أنَّى وجدَه.

وإذا كان المسلمون قد استفادوا من حضارات اليونان والرُّومان في الطبِّ والهندسة - مثلًا - فلا يكون ذلك حائلًا دونَ نسبة الحضارة الإسلاميَّة إلى المسلمين؛ لأنَّ ما أخذوه عن غيرهم في هذه المجالات وأشباهِها قد طوَّروه وهذَّبوه وعدَّلوا فيه حتَّى صار مُلائمًا لمعتقداتِهم المستمدَّة من الوحيَين: القرآن والسُّنَّة، ومناسبًا لأذواقهم، ومتمشِّيًا مع مداركهم، فلم يأخذوا من حضارات الأُمَم الأخرى بلا تَبَصُّر أو رَوِيَّة، ولم يرفضوا ما فيه فائدةٌ لهم بدعوى أنَّه ليس نَبعُه منهم، كما يفعل المتعصِّبون..

إنَّ القرآنَ الكريم الذي تلقَّاهُ الرسول ﷺ عن الله

(١) نُشرت في "الجزيرة" العدد (١١٦) في ١٣٨٦/٦/٢٦هـ.

بواسطة جبريل ؛ قد أباح الطيِّبات من المَطعَم والمَلبَس والمَنكَح والعلوم والمعارف .. والأصلُ في الأشياء الإباحةُ حتى يأتيَ دليلٌ مانعٌ ؛ كما يقول الفقهاء.

وكون بعض العلوم كالطبِّ والهندسة كانت مزدهرةً لدى الرُّومان والفُرس وترجمها المسلمون وهذَّبوها، وعلَّقوا عليها، وأضافوا إليها، وعارضوا بعضَها، فهي حينئذٍ حضارة إسلاميَّة ومعارف إسلاميَّة.

كما أنَّ اللغةَ العربيَّة فيها بعض الكلمات أصلُها غير عربيٍّ إلَّا أنَّ العربَ استعملوها، وصارت معروفةً لديهم كهذه الكلمات: إستبرق، أباريق، أرائك، جِبْت، حَوَاريُّ، سُرَادِق، سِجِلٌّ، سَلْسَبِيل، سِينِين، فِرْدَوس، قِسْطَاس، قِنْطَار، مِشْكَاة، ولا يُعدُّ ذلك طعنًا في لغتهم؛ بل إنَّ كلَّ لغة في العالم لا تخلو من كلمات لها نظيرٌ في لغات أخرى، أو كلماتٍ أصلُها مأخوذٌ من لغة أخرى، ولا تُنسب - مع ذلك - اللغةُ التي بها هذه الكلمات إلى قوم آخرين.

والذين يزعمون إنكارَ الحضارة الإسلاميَّة، ويَدَّعون أنَّها حضارةٌ لأُمَم غير المسلمين، إمَّا جاهلون، وإمَّا

جاحدون لفضائل العرب والمسلمين ممَّن يسوءهم أن تُذكر فضائلُ المسلمين.

ومعلومٌ أنَّ الحضارةَ الإسلاميَّة ازدهرَت في وقتٍ كانت فيه أوربَّا مُتخلِّفةً ثقافيًّا وصناعيًّا، وكانت الجامعاتُ الإسلاميَّة في قُرطُبَةَ والقَيرَوان وبغداد ودمشق وغيرها من المدن الإسلاميَّة تنشر العلمَ والمعرفةَ في أنحاء الدُّنيا.

فالذي يُنكِرُ حضارة الإسلام كمن يُنكر ضوءَ الشمس من رَمَد.



تاريخ الإسلام[(١)]

ما أحوجَ المسلمين - وهم في دور بناء واستعادة للأمجاد الغابرة - أن يَدرُسوا تاريخهم الذي حاول أعداؤهم طمسَهُ وتشويهَه، وأن يتعمَّقوا في فهم دينهم الخالد الصالح لكلِّ زمانٍ ومكان.

وإنَّ عبئًا كبيرًا يقع على أكتاف المَنُوطِ بهم توجيهُ الأُمَّة ثقافيًّا وأدبيًّا، وإنَّ من العجب أن يجهلَ بعضُ الناشئين تاريخَهم ودينَهم، ويحسبون أنَّ الفضلَ في بعض ما يستحسِنونَه من نتائج الحضارة الغربيَّة.

وهم لو فكَّروا لَعلِموا أنَّ ذلك من دينهم، وقد سبق الحضارة الأوربيَّة بقرون، وإنَّما اختلسَه الغربيُّون من العرب والمسلمين وزَوَّقُوه وصوَّروه على أنَّه ثمراتُ العقل الأوربِّي المُتَحَضِّر، وهي فِرْقةٌ منهم يؤازِرُها جهلٌ عميقٌ من أبناء المسلمين.

ولا يكتفي أولئك اللُّصوص بهذه السَّرقات الفاضحة،

---

(١) نُشرت في "جريدة البلاد" العدد (٦٦) في ١٠/ ١٠/ ١٣٧٨هـ.

وإنَّما يُدخلون في رُوعِ الآخرين أنَّ تاريخَ المسلمين هو أقربُ للتعصُّبِ والنَّهب والهمجيَّة، أجل؛ إنَّهم قد صوَّروا المسلمين في كتبِهم وجرائدِهم جَهَلَةً مستبدِّين يُصدرون أحكامًا (قراقُوشِيَّة) لا تستندُ إلى قانونٍ أو منطقٍ، ويبذِّرون الأموالَ بدون قياس، وفي غير وجهٍ مشروعٍ، لقد رسموا صورًا مضحِكَةً مبكِيَةً عن العرب والمسلمين، وراحوا يستشهدون بحوادثَ فرديَّةٍ من بعض الأفراد المحسوبين على الأُمَّة العربيَّة والإسلاميَّة، وهم نكبة ابتُلِيَت الأمَّةُ بهم.

ومع هذا فلو كان عند أولئك الغربيِّين شيءٌ من الإنصاف لم يتَّخذوا من تلك الفئة القليلة حجَّة على الجميع، وقاعدةً يُقاس عليها ذوو التاريخ الناصع الذين ضربوا أروعَ الأمثلة في حسن القيادة والسِّيرة العَطِرة.

على أنَّ تلك الدِّعايات الموبوءة لا تَقنَع بالحقيقة الواقعة، وإنَّما تُضيف إلى القِصَّة الواحدة تسعًا وتسعين قصَّةً مزورةً؛ وإذًا فهل من اللائق أن تُترَكَ هذه التزويراتُ المُنَفِّرةُ تعمل عملَها، وتفتِكُ بأبناء العرب والمسلمين، وتُباعِدُ بينَهم وبين تاريخهم الحافل، وتُبقيهم في نظر الآخرين وحوشًا مفترسةً وجهلةً حمقى؟!

كلا؛ بل يجب مقاومةُ هذه الأكاذيب التي تنشرُها الدوائرُ الاستعماريَّة والمبشِّرون الأعداء والصِّهْيَونِيَّة العالميَّة.

إنَّ الواجبَ يقتضي أن يقومَ العلماءُ والحكومات الإسلاميَّة والأفراد - كلٌّ بحسَب استطاعته - ببذل جهودٍ كبيرةٍ في تحطيم المُفتَرَياتِ المُضَلِّلة، ونشرِ التاريخ الإسلاميِّ على حقيقته الوضَّاءَةِ، وبيانِ مقاصد الإسلام وأهدافه الكريمة ومُثُلِهِ العُليا، حتى يزولَ الالتباسُ، وتذوبَ الأضاليلُ، وتُكلَّلَ المساعي الجديدة المبذولة؛ لانتشال الأُمَّة من وَهْدَةِ الجهل والتأخُّر إلى النجاح والفوزِ الباهر. حقَّقَ اللهُ الآمال.



مسؤوليَّة نشر الإسلام[(١)]

لهذه البلاد مركزٌ فريدٌ، ومكانةٌ خطيرةٌ في نفوس المسلمين في أيِّ بُقعةٍ من بِقاع الأرض، ولا عجبَ؛ فبلادٌ تضمُّ الحرمَين الشَّريفَين، وقَلبَ بلادِ العرب، وأرضٌ شَعَّ منها ضياءُ الإسلام، وأنوارُ الهداية جديرةٌ بأن تحتلَّ في النفوس مكانةً لا تُدانى ولا تُسامى، كيف وهي تحوي كنوزًا وَفِيرَة، وثرواتٍ عظيمةً في حاضرها، وتتطلَّعُ لمستقبلٍ مُشرقٍ زاهر؟!

ومن أجل ذلك فإنَّ للمسلمين آمالًا جِسامًا في البلاد حكومةً وشعبًا، وعسى أن يكونوا عند حسنِ الظنِّ بهم.

وبديهيٌّ أنَّ من أوَّل ما يجب الاهتمام به نشرَ الدِّين الإسلاميِّ في أقطار الأرض ومَجاهِلها، وعملَ الوسائل الكثيرة لهذا الغَرَضِ النبيل.

وإذا نظرنا إلى ما يُبذَل في إفريقيا وشرقيِّ آسيا وغيرهما من محاولاتِ التبشير بالنصرانيَّة واليهوديَّة والبوذيَّة

(١) نُشرت في "اليمامة" العدد (٣٥٦) في ٢٦/ ٧/ ١٣٨٢هـ. وقد بُدِئ في إرسال الدُّعاة لبعض البُلدان الإفريقيَّة، وحقَّقوا نجاحًا طيِّبًا.

وسواها، فسيأخُذنا العجبُ من إغفال معظَم الدُّول الإسلاميَّة لهذه الناحية الخطيرة، وتخلُّفها عن القيام بواجبها في هذا الشأن!

وما يجري حاليًّا في الحبشة من مآسٍ داميةٍ على المسلمين واضطهادهم؛ من أجل ارتدادهم عن الإسلام وإدخالهم في النصرانيَّة - لهو مَثَلٌ جليٌّ، وعِبرةٌ ينبغي أن تُوقِظَ مشاعر المسلمين، وتبعثَ فيهم الحماسَ والحميَّة لدينهم وإخوانهم.

وإنا لنرجو أن تتحقَّقَ على يدِ حكومتنا آمالٌ طالما تمنَّاها المخلصون، وقد رأينا من العزيمة والفعل ما يطمئِنُنا للنتيجةِ المُرتقَبة.

وما دُمنا قد وصلنا لهذا الحدِّ فربَّما يقول سائل: وما هي الوسائل يا ترى؟ أمَّا الفكرةُ فلا خِلافَ فيها.

فنقول: إنَّها وسائلُ متعدِّدة؛ منها: إرسالُ بعثات من المتخرِّجين في كليَّة الشَّريعة، ويُختار من يؤمَّل فيه اللِّياقةُ للقيام بهذه المهمَّة حتَّى يستطيعوا الإجابةَ على ما يوجَّه لهم من أسئلة، وما يتعرَّض به الخصوم ويُلصقونه بالإسلام والمسلمين من تُهَمٍ باطلة، وما قد يشوَّه به من سوءِ فهم

أو غرض سيِّئ.

ومنها: جعلُ مُلحَقين ثقافيِّين في سفارات المملكة، وملاحظة كونِهم مُضطَلعين بثقافةٍ دينيَّة قويَّة، ولهم معرفةٌ بأحوال العالم وأوضاعه، وتزويدُهم بالكتب والصُّحُف والمعلومات باستمرار.

ومنها: وضعُ خُطَّة للسياسة الخارجيَّة تكون مُراعيةً للتفاهم بين الدُّول الإسلاميَّة لحلِّ مشكلاتها المختلفة، ومؤازرة بعضها البعض في المؤتمرات الدوليَّة ومناصرتها في قضاياها العادلة، والحرص على أن تقِفَ موقفًا حازمًا متَّحِدًا ضدَّ الصِّهيَونِيَّة والشُّيوعيَّة وجميع أعداء الإسلام، واتِّخاذ إجراءات ذات أثر في هذا السَّبيل.

وكذا الإكثارُ من عقد المؤتمرات الإسلاميَّة، ومناقشة المسائل المُختلِفَة عليها، وإبداء كلٍّ وجهةَ نظره للآخر مع زيادة التبادل الثقافيِّ والاقتصادي.

وهذه وأمثالها ممَّا يتطلَّعُ إليه المسلمون ويأمُلونه، ومن الأجدر بحكومة هذه البلاد الاضطلاعُ بمسؤوليَّتها في هذا الأمر الخطير؟ وعملُها الإيجابيُّ لتحقيقه هو أمل، وما أعظمَه حين يتحقَّق من عمل! وما أحسنَه نتيجةً وأعظمَها فرحة!

إنِّي متفائل(١)

أجل؛ إنِّي متفائلٌ بأنَّ الإسلامَ بخير، وأنَّ المسلمين إلى خيرٍ رَغمَ ما اعتراهم من فُرقَة، وما بدَّدَ قُواهم من مذاهب، وما نُكِبوا به من استعمار، وما يكيدُه لهم الصليبيُّون والشيوعيُّون واليهود والملحدون على اختلاف نِحَلِهم وأسمائهم.

فأمَّةُ الإسلام سائرةٌ إلى غاياتها في ثباتٍ وعزم، متَّجِهةٌ إلى النهوض بواجبها حِيالَ المسلمين في أصقاع المعمورة على أُسسٍ من العقيدة الراسخة التي تفعل الأعاجيب، ولا عجبَ؛ فالدِّين الإسلاميُّ فيه سَعادَةُ البشر أجمعين، وليس للعرب وحدَهم أو لأهل إقليم أو بلد أو لون أو جنس دونَ سواهم.

وإذا كان المسلمون قد مرَّت بهم حِقَبٌ مختلفةٌ وأدوار متباينة، فإنَّهم اليوم يدركون أنَّ عزَّهم وسعادتَهم تبدأ من الطريق التي سلكها سَلَفُهم الأكارم، ومن تحمُّلِهم لنشر

(١) نُشرت في "الجزيرة" العدد (١٥٩) في ٢٤/ ٥/ ١٣٨٧هـ.

الدعوة الإسلاميَّة، والتعاون بينهم وبين إخوانهم المسلمين في أنحاء الدُّنيا.

وفي هذه الكلمة أشيرُ إلى جهود (رابطة العالم الإسلامي) وما حقَّقَتهُ من أعمالٍ مشكورة ونتائجَ حسنة، ومع أنَّها في بداية الطريق فإنَّ ما أنجزته من مهامَّ يدلُّ على ما لها من دور في الدعوة الإسلاميَّة في هذا العصر الذي تتصارعُ فيه الدُّول والهيئات والمؤسَّسات والمبادئ، والتي لم تحقِّق للنَّاس ما يصبُون إليه؛ لأنَّها عاجزةٌ عن هذا المَطلب (وفاقدُ الشيء لا يُعطِيه)، أمَّا الذي يَكفُلُ للبشر السعادةَ والأمنَ والرفاهيةَ فهو الدِّين الإسلاميُّ الصالح لكلِّ زمانٍ ومكان.

وقد رأينا وسمعنا عن بعض ما أنجزَته الرابطةُ من عقد اجتماعات بين عدد من كبار علماء المسلمين في مكَّةَ - وفي جوار بيت الله سنويًّا - وإصدار قرارات تُعالج المشكلات الراهنة على ضوء التعاليم السماويَّة، وتُناصر القضايا الإسلاميَّة في كلِّ مكان.

ومن أعمال الرابطةِ المساعدات الماليَّة لبعض المشروعات الإسلاميَّة النافعة، وتقديم الكتب الدينيَّة

وتوزيعها على مختلف الأقطار، إلى غير هذا من أعمالٍ جليلة؛ كدعوة بعض أفاضل العلماء لإلقاء محاضرات في مقرِّ الرابطة.

وأمامي الآن بعض أخبار الرابطة صادفتها عَرَضًا في إحدى الصُّحُفِ وهي "جريدة المدينة" العدد (١٠٤٠) في ١٧/ ٥/ ٨٧؛ فقد نشرَت خبرَ قيام الرابطةِ بترجمة "صحيح البخاري" إلى اللغة الإنكليزيَّة، والترجمة في طَورِ المراجعة، كما ترجمت كتابًا لأبي الأعلى المودُوديِّ عن الحركة القادْيَانِيَّة المُلحِدة.

وفي نفس العدد من الجريدة المذكورة خبرٌ عن سفر مندوب الرابطة إلى (مَقدِيشُو) عاصمة (الصومال) لافتتاح معهد ديني؛ وهذا المعهد تُنفِقُ عليه الرابطة. وفي نفس العدد من الجريدة المذكورة ما نصُّه: «وفي مجال المجلَّات ستصدر مجلَّة الرابطة للعالم الإسلامي - التي تصدُر في سنغافورة باللغة الملاوية، بالإضافة إلى الإنكليزيَّة للرابطة - ناطقةً باللغة التايلانديَّة»، ومعلومٌ أنَّ الرابطةَ تُصدر "مجلَّة رابطة العالم الإسلامي" و"أخبار العالم الإسلامي" بمكَّةَ.

ولـم أُرِد استعراضَ أعمال الرابطة، ولستُ ممَّن يستهوِيهم المديحُ والمَلَقُ، ولكنِّي شعرتُ بأنَّ من حقِّ الرابطة أن ينوَّهَ بما اضطلعت به من مسؤوليَّات، وما حقَّقته من نجاح في حدود إمكانيَّاتها ولا شكَّ أنَّ الحكومةَ السعوديَّة لها الفضلُ الأكبرُ في تعضيد الرابطة وتشجيعها، ولمثل هذا فليعمَل العاملون.

وذلك ممَّا يدعو للتفاؤل بأنَّ الإسلامَ بخير، وأنَّ الدَّعوةَ تُلاقي النجاحَ والإقبال، على رَغم المعاندين والكافرين ومَن في قلوبهم مَرَضٌ، وقد رأى الجميعُ كيف لَقِيَت الدَّعوةُ إلى التضامن الإسلاميِّ من تجاوب لدى البُلدان الإسلاميَّة الكثيرة، وكيف ظهرَت آثارُها سريعةً حين وقعَت النَّكْبَةُ على العرب في العدوان الإسرائيليِّ ومَن وراء اليهود من الصَّليبيِّين الحاقدين على الإسلام والمسلمين.

ولعلَّ من محاسن الصُّدَف أن أقرأ خبرًا في "جريدة النَّدوة" في نفس اليوم الذي صدرت فيه "جريدة المدينة" المُشار إليها، فيه اعترافٌ من (مجلس الكنائس العالمي) بعجز المسيحيَّة والشيوعيَّة عن مواجهة تحدِّيات العصر؛ وهذا هو الخبر الذي نشرته "النَّدوةُ" في عددها **(٢٦٠٣)**

في ١٧/ ٥/ ٨٧: «هيراكليون - كريت:

أعلن (مجلس الكنائس العالمي) الذي يضمُّ **٢٢٣** من كبار رجال الدِّين المسيحيِّ في الغرب عن خُطَّة وضعَها لفتح باب الحوار والنِّقاش مع زعماء الشُّيوعيَّة في العالم؛ لبحث مسائل التنمية الاقتصاديَّة، ومعنى أن تكون إنسانًا مع مجتمع تكنولوجي.

وقال المجلس: إنَّ المسيحيَّةَ والماركسيَّة فشِلَتا حتى الآن في مواجهة تحدِّيات العصر الحديث، وهذا ما يجعلنا ننفتح على الأفكار الجديدة».

ومع أنَّ هذا الخبرَ لم يُعطِنا جديدًا في الفكرة؛ إذ نحن نعلم سَلَفًا أنَّ الذي يحقِّقُ السعادة، ويَقدِرُ على مواجهة تحدِّيات العصر هو الإسلام وحدَه - فإنَّنا نستشهد بذلك على أنَّه شاهدٌ من أهلها، ونعلم أنَّ الإسلام يواجهُ حربًا سافرةً وخفيَّةً من فئات كثيرة، ومقاومةً عنيفةً وتأليبًا وحربًا؛ في الصُّومال، والسُّودان، ونيجيريا، وفلسطين، وكَشمير، والحبشة، وفي روسيا، والصِّين، وأمريكا وقُبْرُص، والسِّنِغال، وسواهما.

ولكنَّا أيضًا متفائلون بأنَّ الغَلَبَةَ للحقِّ، وأنَّ النصرَ للمؤمنين الصادقين، ومهما طغى الأعداء وتجبَّروا وكادوا ومكروا، فإنَّ الحقَّ مُنتصِرٌ، ودينَ الإسلام ظاهرٌ مؤيَّدٌ من الله، والله أكبر وصدقَ الله ورسوله.



العُقْبى للإسلام[1]

تتنازعُ العالم دياناتٌ ومباديءُ مُختلفة ومذاهبُ متضاربة، وكلٌّ يدَّعي أنَّه الذي أصابَ كَبِدَ الحقيقة، وأدركَ السرَّ العظيم، وأنَّ ما توصَّلَ إليه من معتقَدٍ أو مبدأ هو الصوابُ وما عداه باطل، ويشتدُّ السعيُ من كلِّ فئةٍ، ولا يدَّخرون وُسعًا في جَذبِ الآخرين إلى ما يعتنقونه حتَّى وإن كان غايةً في السُّخف والنُّكر، أو على الأقلِّ لا يرتضون بديلًا لما أَلِفُوه، وما اتَّخَذوه نِحْلَةً ومَذهبًا.

والإنسانُ مُضطرٌّ - اضطرارًا لا يقلُّ عن احتياجه للطَّعام والشَّراب - إلى المُعتقَد والدِّين، والمرءُ غير المتديِّنِ تائهٌ في بَيدَاءَ قاحلةٍ، ويعيشُ في خِضَمِّ الاضطراب النفسيِّ والقَلَقِ الرُّوحيِّ والحياة الفوضويَّة.

ولكن أيُّ دينٍ هو الجديرُ بالاعتِناق؟ وأيُّ مبدأٍ هو الحَريُّ بالاتِّباعِ؟ وكلٌّ يغنِّي على لَيلاه!

إنَّ الإنسانَ الباحثَ المُتَجَرِّدَ عن الهوى والتعصُّبِ،

---

(١) نُشرت في "المنهل" المجلد (٢٦) ذو القعدة سنة ١٣٨٥هـ.

والذي لم يَتَحَجَّر بماديَّةِ الإلحاد، ووثنيَّةِ الخُرافات، وتقليد الآباء على غير بصيرةٍ - لا يتردَّدُ مُطلقًا في أن يقول بملءِ فِيه: إنَّه الإسلامُ خَاتمُ الأديان ومُكَمِّلُها والناسخُ للشرائع قبلَه.

فاليهوديَّةُ قد شُوِّهت بالتحريفِ والتبديلِ، وكانت في الأصل لقوم مُعَيَّنين هم بنو إسرائيل، وفيها من الآصَارِ والأغلالِ ما يَصعُبُ تطبيقُه، ويُحرِجُ تنفيذُه.

والنصرانيَّةُ دخلَتها الوثنيَّةُ، وغيَّرَ فيها القَساوِسَةُ والرُّهبانُ كثيرًا حتَّى امتلأت بالخُرافاتِ والمتناقِضات، والوثنيَّات من مَجُوسِيِّةَ وزَرادِشْتِيَّةَ وبُوذِيَّةَ وهِنْدُوسيَّةَ كلُّها يَنفِرُ منها الذَّوقُ، ويمُجُّها الطَّبعُ السليم، وتُجَافِيها العقولُ الصحيحةُ، وهي لا تحقِّقُ للمرءِ ما يَصبو إليه في حياته.

والشيوعيَّةُ الملحدة - وما يُشابهها ويُدانيها - لم تجلُب لأهلها سوى الدَّمار والفشل، والخراب الاقتصاديِّ، والانحلال الاجتماعيِّ، والامتهانِ لكرامة الفَرد، وتسخيره كالآلةِ بلا إرادةٍ ولا رأيٍ ولا تفكير، وهو في خَواءٍ وفَراغٍ قاتلٍ؛ لأنَّه قد فَقَدَ أهمَّ مُقوِّمات البشر، وهو الإيمان بالله وبالدِّين الذي يُنتَجُ عنه الاطمئنانُ

والسعادةُ والهَناء، والذي شَرَعَ ما فيه صالحُ البشر وهناؤهم.

وقد أثبتت الأيَّام فَشَلَ دُعاة الإلحاد، وبَوارَ الشيوعيَّة الحمراء، وبعد تجرِبة نصف قرنٍ من زعيمة العالم الشيوعيِّ الاشتراكيِّ تكشَّفَت الحقائقُ الرهيبة عن الدعاوى الزائفة، والحكم الطاغي، والتدهورِ الاجتماعيِّ، وزالت الغِشاوةُ عن أعيُن من يُبصِرون ويميِّزون بين الحقيقة والخيال، وبين الممكِن والمستحيل، وبين الغَثِّ والسَّمين.

وبدأت تَتَّضِحُ حقيقةُ الشُّيوعيَّة وواقعُها من تصريحات زعمائها وكتَّابها والمروِّجين لها، واتَّخَذت الحكومةُ الروسيَّة قراراتٍ عديدة لا تتَّفِقُ والماركسيَّةَ القاسيةَ واللِّينِينِيَّةَ البَشِعَة، وضربت بتعاليم المؤسِّسين للشُّيوعيَّة عُرضَ الحائط؛ لأنَّها لا تواكِبُ الحياةَ بمختلِف ضُروبها وشتَّى ألوانها، وقُمِعَت الشُّيوعيَّةُ ووئِدَت في مهدِها في بُلدان أخرى.

ولا شكَّ أنَّ العالَمَ مهما تخبَّط في فوضى فكريَّة وتشتَّت في المعتقدات فإنَّ الحقَّ الناصعَ واضحٌ؛ وهو أنَّ

البشريَّة إذا ما أرادت أن تعيشَ حياةً كريمةً وارفةَ السَّعادة مستقرَّةً آمِنَة؛ فعليها أن تقتبسَ من نور الإسلام، وتستهدِيَ بهدايته؛ فهو دينُ البشر أجمعين، وشَرعُ العالم كلِّه، مع قطع النظر عن معتقِده وجنسِه ولَونِه ووَطنِه، وبه تحقِّقُ الأُممُ - حكوماتٍ وشعوبًا - بُغيتَها في كلِّ ناحية من اجتماع وسياسةٍ وعسكريَّةٍ وتنظيم للحالات الفرديَّة والجماعيَّة والأُمميَّة والشُّعوب والحكومات.

وإذا كانت حُجُبُ الدَّعاوي والتضليل التي تحاول طمسَ الحقيقة، وتريد تنفيرَ النَّاس عن اعتناقهِ والتمسُّكِ به قد أثَّرت في إخفاء بعض معالم هذا الدِّين الذي بعثَ الله به خاتمَ رُسلِه إلى النَّاس كافَّة عن بني جنسهم - فإنَّ واجبَ المسلمين على اختلاف مستوياتِهم وعلى الأخصِّ حكوماتُهم وعلماؤهم أن يُجلُّوا الغامض، وأن يوضِّحوا دعوةَ الإسلام ودينَ الله بكلِّ الوسائل؛ إنفاذًا لأمر الله، وحرصًا على أن يستتِبَّ الاستقرارُ والسعادةُ في أنحاء الدُّنيا.



التطوُّر المتَّزن[1]

التطوُّرُ والتقدُّم والنهوضُ ألفاظٌ تُردَّدُ على كلِّ لسان، ويتكرَّر ذكرُها بين النَّاس على اختلاف طبقاتِهم وتبايُن مستوياتِهم؛ الكلُّ ينشُدُ التقدُّم، والكلُّ يريدُ الرُّقي، ولن نجدَ هنا مجالًا للاختلاف، وإنَّما عند التحديد والتطبيق يكون التبايُنُ في المفهوم والتناقضُ في المقاصد والتشتُّت في الرأي.

(العلمُ نورٌ)، ولكن أيُّ نوع من العلم؟ ولأيِّ مدًى؟ فعلمُ السِّحر مثلًا، والبحث عن عيوب النَّاس وفضائحهم، هل يكون العلم بهما فضيلةً ومَحمَدة؟ أبدًا.

والثقافةُ مرغوبةٌ، ولكنَّ الوسيلةَ لها يجبُ أن تكون سليمةً هي الأخرى؛ فتعليمُ المرأة جميلٌ؛ لأنَّ العلمَ نورٌ، ولكن لا بدَّ من الاحتياطات، ولا بدَّ من بذل الجهدِ حتَّى لا تكون النَّكسةُ والانحِلال.

نريد أن تتعلَّمَ، ولكن لا نرغبُ لها بالتبذُّل، والسَّيرِ

(١) نُشرت في "اليمامة" العدد (٣٨٩) في ١/ ١/ ١٣٨٣هـ.

على نهجِ الفتاة الغربيَّة أو تلميذِ الغربيَّة في بعض البلاد العربيَّة التي حطَّمَت القيودَ في زعمها، فصارت فريسةً تتقاذفُها أماكنُ الرذيلة ومواطنُ الفُجور، ثم تتشدَّقُ بالنهضة والتحرُّر.

والتسليةُ مُحبَّبةٌ للنفوس، ومن شِيَم العرب في جاهليَّتهم وإسلامهم أنَّ مجالسَهم لا تكادُ تخلو من الطرائف والمُلَح والمُسَلِّيات، ومع هذا فلا بدَّ من ضوابطَ وحواجز، تقِفُ دونَ إساءة المفهوم وتجاوزِ المعقول، وحتَّى لا تصل إلى درجةِ الانحِطاط والسَّفاسِف.

والتطوُّرُ الاقتصاديُّ مطلوبٌ وحتميٌّ، وهو إلى جانب ذلك يحتاج إلى حمايةٍ من أن يكون مصدرًا للاستغلال الفاحش والرِّبا المحرَّمِ والاتِّجارِ في الأشياء الضارَّة للعقولِ والأبدان.

وهكذا نرى أنَّ التطوُّرَ - وفي مرحلةٍ كهذه المرحلة التي نجتازها الآن - في مَسيسِ الحاجة إلى تركيزه على أُسسٍ سليمةٍ متينة؛ حتى لا يصبح كلمةَ حقٍّ يُراد بها باطل، وسلاحًا يُشهره المبطِلُ في وجه الحقِّ، وحتَّى لا يُفسَح المجالُ لذوي الأغراض السيِّئة، والاتِّجاهات

المخرِّبة لاستغلال كلمات التطوُّر والتحرُّر والنهضة استغلالًا بشعًا، ووضعِها في غير موضعِها.

إنَّنا ندعو للتطوُّرِ الصحيح في العلم والاختراع وفي إعداد القوَّة - بكلِّ أشكالها - وحسَب تنوُّعها: القوَّة العسكريَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة والإعلاميَّة، قوَّة في الجيش وفي الصِّناعة وفي الزراعة وفي الثقافة وغيرها.

ولكنَّنا لا نريد أن يُساء فهمُ هذه الكلمات، وأن تُحمَّل معانيَ لا تحتملُها؛ فيكون من جرَّاء ذلك عاقبةٌ وَبِيلةٌ، وشرٌّ مستطير.

نريد أن نكونَ على بصيرةٍ فلا تتقاذفُنا التيَّارات المختلفة، ولا أن نكون إمَّعاتٍ نقلِّدُ تقليدًا أعمى؛ فنُلغي تراثنا وأمجادنا وعقولنا، ونسيرُ على غير هدًى، ودونَما تبصُّر وتفكير، بل نسير على طريقٍ لاحبٍ فيه اليقينُ والنجاة، ونتيجتهُ الخيرُ والمجد.



مفهوم الحضارة[1]

هذه الظروف التي نمرُّ بها في مجتمعٍ شَعَرَ بعض أفراده بوضعه الحقيقي، والكثرة السَّحيقةُ لا تزال تغِطُّ في سُباتها العميق، وآخرون تتجاذبُهم العواملُ المختلفة، وتتنازعُهم المؤثِّرات المتباينة، ويتعثَّرون في سيرهم، أو يقدِّمون رِجلًا ويؤخِّرون أخرى؛ كما يقول المثل العربي.

أقول: مجتمعٌ كهذا يمرُّ بمرحلةٍ دقيقةٍ، ويخضع لامتحانٍ رهيب، وليس هذا بمستَغرَبِ الوقوع، فقد كانت تجرِبةً قاسيةً مرَّت بها مجتمعاتٌ كثيرة قبلَنا، ولكنَّ دورَنا قد أتى في هذه الظروف الراهنة.

وفي رأيي أنَّ الجزيرة العربيَّة ينطبقُ عليها الوصفُ في جميع جهاتها؛ فهي مُتشابهةٌ في أمور أغلبيَّة - إن لم تكن كليَّةً - ومن الخير لنا أن نستفيدَ من دروس السابقين، وأن نأخُذَ عبرةً من الماضي، وقد آن الأوان لكي يرسُمَ ذوو الرأي والحُنْكَةِ الطريقَ المستقيمَ الذي يَكفُل لنا السلامة،

(١) نُشرت في جريدة (!) في ١٨/ ٨/ ١٣٧٨هـ.

ويَقينا من العَثرات.

فقد كان مَطلعُ القرن العشرين نذيرًا بتبدُّلِ كثيرٍ من الأوضاع في الشرق والغرب أيضًا، وعند العرب كما عندَ غيرهم. أجل كانت الحضارةُ الأوربيَّة قد قلبت بعضَ المفهومات التي لا ترتكز على أساس، وقرَّبت البلادَ بعضَها من بعض، وكَثر الاختلاط والتشابك، واقتبسَ الشرقيُّ من الغربيِّ، والأوربيُّ من الشرقيِّ، وكانت حضارةُ أوربَّا لمَّاعةً فخطفَ بريقُها كثيرين، وزاغ بعضُ ضِعاف العقول الذين أغشاهم الضوءُ فتنكَّروا للقِيَم السامية والمعاني الكريمة، وسَخِروا من التَّدَيُّن والمحافظة.

والأشدُّ بليَّة أن يأخذ بعضُ هؤلاء المنكوسين من الغرب شرورَه وآثامَه وخلاعَتَه ومجونَه، وحَسِبوا - خطأ - أنَّ هذا هو المفهوم من الحضارة العصريَّة والتمدُّنِ، ولم يستفيدوا من علومه وصناعته.

وساعدَ على نمو هذه النظرة الخاطئة وجودُ فئات تدَّعي المحافظةَ فتُنكِر في غلوٍّ شديد كلَّ ما وُجد في الحضارات الوافدة لا فرقَ بين خيرها وشرِّها، وكذا بعض الخُرافيِّين والمتصوِّفين الذين شوَّهوا معنى الدِّين في نفوس

الآخرين نتيجةَ جهلهم بالدِّين.

كما كان لتفسيرات بعض المنتسبين للعلم - للنصوص الشرعيَّة بطريقة خاطئة - أثرٌ قويٌّ في ازدياد موجةِ الإلحاد والاتِّجاه للأفكار المُضلَّةِ والآراء الهدَّامة.

ولا ينبغي أن يُهمَلَ ذكرُ خطأ جسيم أيضًا ارتكبَه بعضُ النَّاس، حين ظنَّ أنَّ الدِّينَ مُنفصلٌ عن السِّياسة، وأنَّ رجالَ الدِّين لا يليقُ بهم التحدُّث في الشؤون العامَّة، والنِّقَاط الحسَّاسة التي تتعلَّقُ بمصالح جماعيَّة، وإنَّما وظيفتُهم الوعظُ والإرشاد... إلخ، أمَّا السِّياسةُ وما إليها فهذا ليس من شأنهم.

وكانت هذه الفكرةُ من رواسبِ عصور الانحطاط وأيَّام الظلام، وقد بذلَ المُستعمِرون وأذنابُهم جهودًا كبيرةً لترسيخ هذه الفكرة في نفوس السَّوَاد الأعظَم من الشعوب المغلوبةِ على أمرها، حتَّى جعلتها في بعض الأقطار أشبهَ بالعقيدةِ الراسخةِ التي لا تقبلُ الزلزلةَ والتحوير.

والآن وقد بدأ أبناءُ الجزيرةِ يفتحون عيونَهم على ما يدورُ حولَهم ليرَوه على حقيقته، وتطلَّعوا إلى الاستفادة من الحضارة التي تبدو زاهيةً كغادةٍ لَعوبٍ تلعبُ بالعقول

وتسبي العاشقَ الولهان!

الآن يجب أن تُشرَعَ الأقلامُ، وأن تُنبَذَ السلبيَّة جانبًا.

وإنَّ واجبَ العلماء الدِّينيِّين في ذلك ضَخْمٌ؛ فمن اللازم أن تُوضَّحَ الجوانبُ المُشرِقةُ من الحضارة الأوربيَّة، كما يجبُ أن تُسلَّطَ الأضواءُ على جوانبها المظلمة؛ حِرصًا على التوازن وتحقيقًا للمصلحة العامَّةِ والنفع الدِّينيِّ والدُّنيوي، فنحن في حاجة إلى صناعتهم وعلومهم، ونريدُ أن يفهمَ هذا الجاهلُ كما يُدركُه العالم، ولكنَّا لا نُريد استهتارَهم، ولا نرضى بأغلالهم واستعمارِهم، والأمرُ بعد ذلك يَتَطَلَّبُ اليَقَظَةَ والعزيمةَ قبل أن يفوتَ القطار، فلا يجدي التحذير بعد ذلك.



أحلام ومُنًى[(١)]

من الذي ليست له أمانٍ يأمُل تحقيقَها، ويطمع إلى وجودها؟! كلٌّ له أمانٍ، وكلٌّ يغنِّي على ليلاه. والشَّخصُ - أيُّ شخصٍ - له آمالٌ وأمنياتٌ يَوَدُّ نيلَها، وله أحلامٌ يصبو إلى أن يجدَ بلادَه وأُمَّته قد بلغَتها، ولستُ أريدُ عرضَ أمانيَّ الشَّخصيَّة، ولكنِّي أدوِّنُ بعضَ الأُمنِياتِ لبلادي وأُمَّتي وللأُمَّة الإسلاميَّة جَمعاء:

أتمنَّى أن أرى بلادي وقد بلغَت شأوًا كبيرًا في التطوُّرِ الصناعيِّ، وصار لها المصانعُ الضخمةُ والإنتاجُ الكثير؛ فتنتج الطائراتِ والسيَّاراتِ والسِّككَ الحديديَّة وآلات الحَرث والأدوات المختلفة، إلى جانب مصانع الغزل والنسيج، وتعبئة اللُّحوم والخُضر والفواكه والحلويات والتمور.. وسواها.

وآمُلُ أن أرى نهضةً زراعيَّةً حتَّى ينتعِشَ الفلَّاحون، وتزدهرَ الزراعة، وحتَّى تكون بلادُنا مُصدِّرةً لأنواع

(١) نُشرت في "اليمامة" العدد (٤٦٦) في ٢٨/ ١١/ ١٣٨٣هـ.

المزروعات والمواشي بدلًا من استيراد ذلك.

وأتمنَّى أن أرى بلادي مُهابةً عزيزةً تستغِلُّ ثروتَها بنفسِها مُستغنِيَةً عن الشركات الأجنبيَّة والاحتكاريَّة؛ ولتعودَ فوائدُ ثَرْواتها لمصلحة البلاد والمواطنين والأُمَّة الإسلاميَّة.

وأتمنَّى أن أرى التعليم في كلِّ قرية وخَيمَة، في شتَّى ضُروبه ومختلِف فروعِه، سائرًا على نهج العقيدة الإسلاميَّة الصحيحة، متزوِّدًا من المعارف بكلِّ نافعٍ ومفيد.

وأتمنَّى أن أرى هذه البلاد مصدرَ إشعاعٍ وهدايةٍ لكلِّ أنحاء الدُّنيا؛ تُرسِلُ العلماءَ المخلصين للدَّعوة إلى الإسلام في أصقاع الأرض، وتبعَثُ الكتبَ والنشَرات لهذه الأغراض؛ مُضطَلِعَةً في ذلك بمسؤوليَّاتها العظيمة.

وأتمنَّى أن تزولَ المشكلات التي يعاني منها مجتمعُنا؛ ومن ذلك: مشكلات غلاء المُهُور، ومشكلةُ الاستيراد التي تقضي بمنافسَتها على الإنتاج الوطني، ومشكلةُ الأموال التي تُبَعثَرُ هنا وهناك بدون مسوِّغٍ شرعيٍّ، ومشكلةُ تَلاعب بعض الموظَّفين، ومشكلةُ الفلَّاح الذي يتركُ مزرعتَه ونفسُهُ تقطَّرُ حسراتٍ؛ لأنَّه عاجزٌ عن مواصلةِ عمله فيها، ومشكلةُ البَطالة، ومشكلةُ الإحجام عن المشروعات التي كان من

المفروض على الموسِرين القيامُ بها، ومشكلةُ التباغُض والحَسَد.

وأتمنَّى أن أرى بلادي ناهضةً قويَّةً مبتسمةً متآخيةً تنظرُ للأشياء بتفاؤل وثِقَة.

وأتمنَّى أن أرى البلاد الإسلاميَّة مُتعاوِنةً مُتكاتِفةً، وقد قضَت على مشكلاتِها التي تُعاني منها؛ كمشكلة فِلَسطِين وكَشْمِير وأرتيريا والجنوب العربيِّ وعُمان والبريمي.. وغيرها.

وآمُل أن تكون قوَّةً هائلةً متطوِّرةً في جميع المجالات النافعةِ؛ يرهبُها العدوُّ، ويُسرُّ بها الصديق.

إنَّها آمالٌ فهل تتحقَّق؟!



كلمة للذِّكرى[1]

إنَّ هذه المملكة تجتازُ مرحلةً تختلف عن ذي قبل، تُهيِّئُها لمستقبلٍ يُغاير كثيرًا ما هو مألوف في السنوات الماضية، ومن حقِّ المرء أن يبحثَ عن التطوُّرِ والرقيِّ صُعُدًا.

ولكنَّ المفاهيم قد تتضارب حولَ نوعية التطوُّر، فهناك من يرى هدْمَ القديم بخيره وشرِّه بحسناته وسيِّئاته، وينظر لكلِّ جديدٍ بإعجابٍ ولهفَةٍ حتَّى ما كان منه رديئًا وغير ذي جَدوى، وفي هذه النظرة كثيرٌ من التطرُّفِ وكثيرٌ من الخطر. وهناك من لا يستسيغ أيَّ جديدٍ ويقسو في التشدُّدِ إلى حدٍّ سخيفٍ.

ولكنَّ النظرةَ الصائبة هي الاستفادةُ من الجديد بكلِّ ما فيه من منافع، ورفضُ كلِّ ضرر وما لا نفع فيه. واعتبار المستقبل امتدادًا للماضي في أمجاده وحسناته، وجعل الحاضر همزة الوصل بين ما فات وما هو آتٍ.

فالانتفاعُ بالجديد بعد إزالة شوائبه أمرٌ لا مَناصَ منه

---

(١) نُشرت في "اليمامة" العدد (٤٥٥) في ١٣/ ٩/ ١٣٨٣هـ.

لأمَّةٍ تَصْبو للعزَّةِ والمجد.

إنَّ هذه البلاد لها مِيزات خاصَّة، ومكانة كبيرة في نفوس المسلمين في شرق الأرض وغربها، فمنها شعَّ نورُ الإسلام، وفيها المسجدان الشريفان، وقِبْلَةُ المسلمين، ومَثوى الرسول الأمين، ومَهْبِط الوحي.

وقد أنعم الله عليها بخيراتٍ تتدفَّقُ من أرضها، وتتفجَّرُ ينابيعَ من جوانبها، وتلك نعمة عُظمى ينبغي الاستفادة منها في التطوُّرِ الصناعيِّ والزراعيِّ والحربيِّ والاقتصاديِّ، وأن يكون حافزًا على مساندة المسلمين، والنهوض بالمواطنين، وبث المعرفة والعدل والأُلْفَة.

وإنَّ كلَّ من يريد التنكُّرَ لتاريخ الأمة الإسلاميَّة وماضي هذه البلاد في تراثها الخالد وجهادها المقُدَّسِ؛ فهو يجرُّ البلاد إلى نكْبَةٍ فظيعة.

ومن يحسب أنَّ النظرةَ العصريَّة تعني تنكُّبَ الطريق الصحيح، فهو يخدُم المستعْمِرين أعداء الدِّين والوطن، وهو مِعْول هدم لكيان الأمَّة والبلاد. وإنَّ الشعورَ بالمسؤوليَّةِ يقتضي أن يميِّزَ بين الطيِّبِ والخبيث والحسن والقبيح، وأن يبذلَ كلَّ استطاعته لوضع الأشياء في

مواضعها السليمة، وإن لم يفعل فسيكون جانيًا على أمَّته وقومه ووطنه.

هذه كلمة للذِّكرى وحسب!!



محمَّد ﷺ مُبلِّغ عن الله[1]

قرأت في "جريدة النَّدوة" الصادرة بتاريخ ١٠/ ٥/ ٨٤هـ كلمةً بتوقيع عبد الله محمد الشهيل بعنوان: (أثر الفكر الإسلاميِّ في التطوُّرِ الحديث)؛ وممَّا أورده الكاتبُ في كلمته المذكورةِ قولُ المؤرِّخ الإنكليزي (ستانلي لين بول): «نشأ الإسلامُ عن عزيمةِ رجلٍ واحد هو محمَّد بن عبد الله؛ فإنَّ هذا النبيَّ شَرَعَ في طليعة القرن السابع الميلاديِّ لنشر الإسلام، فلقِيَت دعوتُه آذانًا واعية..» إلى أن قال: «وكان العربُ قبل بعثةِ محمَّدٍ أشتاتًا من شعوبٍ وقبائلَ متطاحِنَة؛ تتنافسُ في الشجاعة والوحشيَّة، فحوَّلهم النبيُّ في طَرفَةِ عَينٍ إلى قوم مسلمين، وملأ قلوبَهم بحماسة الشُّهداء، ووصل حبَّهم الفطريَّ للدُّنيا والمغانم بطموحٍ نبيل هو تبليغُ الدِّين إلى النَّاس كافَّة».

وهذه الكلمةُ للمؤرِّخ الإنكليزيِّ تُشبه كثيرًا ما يقولُه الغربيُّون والمستشرقون عن الإسلام والرسول محمَّد ﷺ؛

---

(١) نُشرت في "الجزيرة" عدد ١٤/ ٥/ ١٣٨٤هـ.

فظاهرُها حقٌّ، ولكنَّها تحوي السُّمَّ الزُّعَاف، وقد يكون الهدفُ طعنَهم في الإسلام عن طريقٍ خفيٍّ؛ وهو أنَّ الإسلامَ ليس تشريعًا سماويًّا، وأنَّ الرسولَ محمَّدًا ﷺ لم يكن ينزَّل عليه القرآنُ وحيًا من الله، وإنَّما الرسول (مفكِّرٌ)، و(عبقريٌّ)، و(زعيمٌ)، وليس أكثرَ من ذلك، نظرَ إلى واقع مجتمعِه فساءَه منه العاداتُ السيِّئةُ والوثنيَّةُ الجاهليَّة، ففكَّر في تخليصِ المجتمع، فاخترعَ لذلك طريقةً سمَّاها (الإسلام).

وهذا المعنى يحومُ حولَهُ الكثيرُ من الكتَّاب الغربيِّين في كتاباتهم عن الإسلام، وقد يُلبسون ذلك المدحَ للرسول وللإسلام؛ لينطَلِيَ غرضُهم الماكر؛ وهو إنكار نُبوَّة محمَّد ﷺ ورسالتِه الشاملةِ ودينِه الكامل.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المَائدة: ٦٧]، وقوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [الكهف: ١١٠] الآيتان، وأمثالُهما تُناقضان ما يقوله هذا المؤرِّخُ وأشباهُه.

وكذلك قوله: «فحوَّلهم النبيُّ في طَرفَةِ عَينٍ إلى قوم مسالِمين»؛ فهذا مُنافٍ لقوله تعالى: ﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ

جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣]، وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القَصَص: ٥٦] وما يُماثل من الآيات.

والذي أَوَدُّ أن ألفِتَ إليه انتباهَ بعض القُرَّاء هو أن يُدقِّقوا النظرَ في أقوال الغربيِّين عن الإسلام، ويُمَحِّصوها قبل أن يستحسِنوها ويتغنَّوا بها.

وأُحَيِّي الكاتبَ الذي أتاحَ لي الفرصةَ بهذا التعليق.



كتابة التاريخ(١)

كتابةُ التاريخ فنٌّ دقيقٌ يحتاجُ إلى مقوِّمات متينة وأُسسٍ ثابتة ليؤدِّي مهمَّته بأمانةٍ وإخلاص؛ وليبحث عن الحقيقةِ الناصعةِ بدون حَيفٍ أو عَرَضٍ تافِه.

وعندما يتحوَّل التاريخُ إلى تزويرٍ للحقائق، وقَلب الحَسَنات إلى سيِّئات وبالعكس، والبحثِ عن إرضاء فلان، ومحاولة النَّيلِ من عِلَّان فإنَّ ذلك يكونُ مأساةً للتاريخ وعُدوانًا عليه.

ومن المُؤسِف أن يُحاولَ بعضُهم التصدِّي لتاريخ عامٍّ أو ناحية من النواحي، ويُوهم القارئ أنَّه بعيدٌ عن الشَّطَطِ والجَنَفِ، ولكنَّه لا يلبَثُ أن يغلِبَه الهوى فيقدحَ في شخص ويكيلَ المديحَ لشخص آخر؛ وذلك لأنَّ أحدَهما صديقٌ والآخر ليس متَّفقًا معه لسببٍ ما، وقد يتجاهل آخرين ويُنكر وجودَهم، ويحاول التهوينَ من أمرهم؛ لأنَّهم لا يُوائمون مِزاجَه المريض.

---

(١) نُشرت في "الجزيرة" العدد (٢٩) في ١٠/ ٩/ ١٣٨٤هـ.

وليعلم هؤلاء أنَّهم إنَّما يجنون على أنفسهم قبل الجنايةِ على من يريدون النِّكايةَ به وهضمَ شأنه، وإنَّهم بالتالي يسيئون إلى الأدب الذي ينتسبون إليه، وإلى التاريخ الذي يتصدَّرون لبحوثه.

ولا يفوتني أن أُشيرَ إلى نمطٍ آخر من كُتَّاب التاريخ ومن يتصدَّون لبحوثٍ تاريخيَّة؛ وهذا النَّوع من الناس قد لا يكون له قصدٌ سيِّئ، ولكنَّ الإهمال والإخلاد إلى الكسل يجعلُه لا يحقِّقُ ما يبحث فيه؛ ولذلك يقعُ في أخطاءٍ كثيرةٍ وأغلاطٍ شنيعةٍ يُؤاخذُه عليها الأذكياء، وأحيانًا يتَّضِحُ غَلَطُه وإهمالُهُ لجمعٍ كبيرٍ من النَّاس فيفقدُ ثقتَهم، وتُصبح بحوثُه التاريخيَّة غيرَ ذات موضوع.



البرتغال ساخطة!

زعم وزيرُ خارجيَّة (البرتغال) «أنَّ الأُمَمَ المتَّحدةَ تعاني الشللَ الكُلِّيَّ»، وإلى هنا والأمر معقول بعض الشيء، وأردَف أنَّ «(البرتغالَ) ستكون في طليعةِ الدُّول التي ستنسحبُ من المنظَّمة الدوليَّة».

ولكن ما الذي دعا وزير خارجية (البرتغال) إلى هذه الغَضبَةِ الجامحة؟! إنَّ الذي حَمَله على هذه الغَضبَةِ هو معارضة الأُمَم المتَّحدة لأعمال (البرتغال) الوحشيَّة ضدَّ مواطني (أنجولا) وغيرها من المستعمرات البرتغاليَّة والتي تحشدُ لها الدولةُ الاستعماريَّة كلَّ طاقاتها لتُعيدَ عجلةَ التاريخ إلى الوراء، ولتوقفَ سير الشعوب الناهضة التي تريد أن تستقلَّ بعيدًا عن تحكُّم المستعمرين الغاشمين.

وستندحر (البرتغال) وتتحرَّر مستعمراتُها، وإن لم تتَّعظ بما حدث لزميلاتها من هزائمَ واندحارات، وما حقَّقته الشعوب من انتصارات حتى ولو قدَّمت كثيرًا من التضحيات.



قُبرُص مرَّةً أخرى

لا تزال قضيَّة قُبرص على أشدِّها، وما إن تهدأ حتَّى تعودَ جَذَعَة والآراءُ حولَها متنافِرَة، ولكلٍّ أنصارٌ ومؤيِّدون، ومع ذلك فإنَّ بعضَهم تجاهلَ الحقائق.

إنَّ الأتراكَ المسلمين في الجزيرة يُحاصَرون، وتُقطَعُ عنهم الموادُّ الغذائيَّة، وتُنسَف بيوتُهم، وتُدَمَّر المساجدُ على رؤوسهم، ويرفض الأُسْقُفُ (المتعصِّب) ضدَّ الإسلام إمدادَهم بالأغذية والمياه، ولا شكَّ أنَّ جميع الاعتبارات الإنسانيَّة والأخلاقيَّة والعُرفيَّة والشرائعُ تقضي جميعًا بإنقاذ هؤلاء البائسين ونجدتهم.

ومع ذلك يتجاهل بعضُهم لحاجةٍ في نفسه كلَّ ذلك، ويتذرَّعُ بحُجَجٍ واهيةٍ من أنَّ تركيا تتعاون مع إسرائيل! وإذا كانت الدولةُ التركيَّة تتعاون مع إسرائيل فمعنى ذلك أنَّ قتلَ الأتراك في قُبْرص وذبحَهم من غير جَريرةٍ شيء لا أجملَ ولا أروعَ منه، أمَّا اليونان وهي عضو في منظمة الأطلسي وتتعاون مع إسرائيل فذلك لا بأسَ به في نظر هؤلاء!

وأمَّا أنَّ مكاريوس يفتح أبواب قُبْرص على مصراعيها لمنتجات إسرائيل وبضائِعها واقتصادِها فذلك لا يؤثِّرُ إطلاقًا..

وهكذا يكون مَنطقُ البعض وأسلوبه.



تأمُّلات[1]

تمرُّ بالإنسانِ فترات يُسلِمُ فيها فكره للتأمُّلِ في الحياة والأحياء، في الواقع الملموس، والماضي الغابر، ويتخيَّل ماذا عسى أن يكون المستقبل.. ولكنَّه عندئذٍ يصطدمُ بالحَيرَةِ والعَجز!

ويهمُّنا جميعًا أن نرتقيَ إلى المستوى الأفضل، وأن نتجنَّبَ أخطاء الماضي، ونعتَبِرَ بتجارِب الآخرين؛ لنسيرَ في طريقٍ سويٍّ مكينٍ، ومن حولنا صَخَبُ الحياة وضجيجُها، وتطلُّ على مجتمعنا شراراتٌ لآراء غربيَّة واتِّجاهات متناقِضَة، بما فيها المتطرِّف الهدَّام؛ والذي يريد تقويضَ الدعائم الأساسيَّة للمجتمع السليم.

ونرى في الحياة عالمًا شتَّان ما بين أجزائه وطوائفه؛ فهناك دولٌ تنتج الصواريخَ وسفنَ الفضاء والطائراتِ السابقةَ للصوتِ والاختراعاتِ العجيبة، وعكسها دولٌ ما فَتِئَت في تأخُّرها الصناعيِّ والعلميِّ ولا تحسُبُ للزمن حسابَه!

---

(١) نُشرت في "اليمامة" العدد (٤٥٩) في ٢٧/ ٩/ ١٣٨٣هـ.

وهناك أناسٌ يظنُّون أنَّ الحكمةَ في اصطفاءِ العدوِّ الكاشح وتقريبِ الأجانب الحاقدين، والتودُّدِ إليهم، وتسليمِهم مقاليدَ العمل والتوجيه، ويبتعدون عن الصديق ومن كان له دورٌ مشكورٌ ومساهمةٌ فعَّالة.

وهذا الصِّنفُ من النَّاس قد وعظَهم مَروان بن محمَّد آخرُ خلفاء بني أُميَّة؛ فقال معلِّلًا ضياعَ مُلكهم: قرَّبنا العدوَّ لاستمالَتِه، وتجاهَلنا الصديقَ ثِقَةً به؛ فظلَّ العدوُّ على عُدوانه، ونَفَرَ منَّا الصديق.

وتأمَّلت ما يجري في العالم الإسلامي من حربٍ موجَّهة ضدَّ الإسلام، يشترك فيها الصليبيُّون واليهود والشيوعيُّون، ولا يقلُّ عنهم أثرًا في التحطيم بعضٌ من أبناء المسلمين الذين تسمَّمَت أفكارهم بمبادئَ بعيدةٍ عن دينهم وتاريخهم ومشاعر أمَّتهم، ويريد هؤلاء أن يفرضوا مبادئَهم المخرِّبة على الأمَّة بكلِّ وسيلةٍ؛ بالقوَّةِ حينًا وبوسائل النشر تارةً وبهما جميعًا إذا قَدَروا...

وتساءلتُ: إلى متى والمسلمون في غفلتهم لم يحزموا أمرَهم، ويوحِّدوا كلمتَهم لاستعادة أمجادهم العظيمة الزاهية؟

وتذكرتُ بأسًى كيف أنَّ رجالَ الفكر في كثيرٍ من أنحاء العالم العربيِّ والإسلاميِّ يشغلون النَّاس بالتفاهات والتُّرَّهات، وينزلون إلى الصِّراع وإثارة الجدل البيزنطيِّ فيما لا جدوى منه! وكأنَّ القضايا الإسلاميَّة الكبرى والمصالح الحيويَّة لبلادهم لا تهمُّهم في قليلٍ ولا كثير.

وتذكرتُ أنَّ صِحافتَنا ليست على ما يروِّجه المُرجفون؛ فهي بحمد الله بخير إذا ما قِيسَت بصِحافةِ البلاد العربيَّة؛ فهي لا تتبذَّلُ، ولا تُسِفُّ، ولا تدعو إلى المجونِ والإلحاد، وإن حدثَ فيها أخطاء فجلَّ من لا يُخطئ.

ولكنِّي أستدرك: إنَّ المفاهيم مختلِفَة؛ فقد يشمئزُّ البعض من الحقِّ ويُعشِيه الضِّياء.

يُقْضَى على المرءِ في أيَّام مِحنَتِه
حتَّى يرى حَسَنًا ما ليسَ بالحَسَنِ

وبعد؛ فإلى أين نحن مُساقون؟ المسألةُ مستقبلُ أجيالٍ وآمالُ أمَّةٍ وتطلُّعُ شعب!

وعلى المفكِّرين ورجال العلم وأنصار الحقِّ أن

يضطلعوا بمسؤوليَّاتهم في هذه الفترة من التاريخ، وأن ينبِذوا السَّلبيَّة والتواكل جانبًا، وأن يرتفعوا فوقَ الحَزازات والتَّفاهات؛ ليقوموا بواجبهم حِيالَ دينهم وأمَّتهم ووطنهم، وبالله التوفيق.



التقدُّميَّة المظلومة[1]

أولئك الذين أُصيبوا بلَوثَةِ (التقدُّميَّة) واحتكارها لأنفسهم ومؤيِّدو مبادِئهم الهدَّامة ماذا يريدون؟ وأيَّ رجعيَّة يحاربون؟

لقد مجَّتِ الأسماعُ دعاواهم وافتراءاتهم، وآنَ لهم أن يكشفوا القِناعَ عن أنفسهم فيُظهروها على حقيقتها، إنَّهم أذكياءُ بلا رَيب - أقصد دُعاة التقدُّميَّة ومروِّجيها - ولكنَّهم وَهِموا عندما ظنُّوا أنَّ من عَداهم أغبياءُ لا يدركون غاياتِهم الماركسيَّة وفلسفاتِهم الشُّيوعيَّة.

لقد حمل هؤلاء المُدَّعُو التقدميَّةِ العَداء، وانطوَوا على الأحقادِ والشَّراسةِ نحو الإسلام، وإن كانوا يلفُّون ويدورون ويُرجفون فالأهدافُ صريحة!

إنَّ هؤلاء يمدُّون أيديهم لكلِّ شيوعيٍّ ماركسيٍّ ويؤيِّدونه ماديًّا وأدبيًّا، وفي زُنجبار وقفوا إلى جانب الشُّيوعيِّين الذين عملوا المجازرَ الوحشيَّة للعرب والمسلمين؛ فما تفسير ذلك؟

---

(١) نُشرت في "الرياض" العدد (٢٧٣) في ٢٨/ ١١/ ١٣٨٥هـ

ووصفوا وما زالوا ينعتون (كاسترو) بأنَّه بطلُ تحرير، وقالوا عن (تيتو): إنَّه يحكم بلادَه بالحبِّ والودِّ المتبادل! ونسوا ما لاقاه المسلمون في يوغسلافيا، وأغمضوا عيونَهم عمَّا حلَّ بالمسلمين من نكبة الشيوعيَّة الطاغية في روسيا والصِّين والبُلدان الدائرة في فلَكها، فماذا يعني ذلك بالنسبة لمدَّعي التقدُّميَّة والمتشدِّقين بها وبمحاربة الرجعيَّة؟!

وماذا بعد؟! عصابات (الفيتكونج) في نظرِ هؤلاءِ أبطالُ تحرير وقوَّات مسالمة.

أمثلةٌ لا نريد بها الحصر، وإنَّما نُشير إليها لنذكر من تُعشِيه الدَّعاوى المُضَلِّلة والشِّعاراتُ المزيَّفةُ وهي حقائق ملموسة، وماذا يعني إغفالُ ذكر الإسلام في الخطب والإذاعة والصِّحافة والمدارس، والتمجيد للاشتراكيَّة وقادة اللِّينِينِيَّة؟

وماذا عن التطاول على الدِّين والهُزء بهِ، ونشر المجون والخلاعة والإلحاد في المجتمع بشكلٍ مُتَعَمَّد وعلى صورة بشعة؟ هل هذا من براهين التقدُّميَّة المظلومة؟ ولماذا كلُّ دعوة للتعاون بين المسلمين تصبح في زعمهم فكرةً استعماريَّة رجعيَّة؟

أمَّا الذين يقيمون في بلادهم القواعدَ الذريَّةَ

والصاروخيَّةَ لحسابِ الشُّيوعيَّة فهم أحرار مخلصون! منطقٌ يَحَار في فهمه كلُّ إنسان، وأمَّا الذين يُلغون المحاكمَ الشرعيَّةَ والمعاهدَ الدِّينيَّةَ ويقتِّلون علماء الإسلام وينكِّلون بهم فهم ثوريُّون يعملون لصالح الشعب!

هكذا يفهمون التقدُّميَّة البائسة! الأمر جليٌّ لا يقبل الجدلَ العقيمَ والاعتذاراتِ المتفلسِفَة، ولكن بالمواجهة وإزالة التمويهات لا يبقى لَبسٌ ولا ارتياب، وقد أتتِ البراهينُ تَترى والأدلَّةُ ناصعة، وكلُّها تُثبت هذه الحقائق.

كلَّ يوم تُبدي صُروفُ الليالي خُلُقًا من أبي سَعيدٍ عَجِيبا

إنَّنا نقول لهؤلاء المشعوذين الذين ظلموا التقدُّميَّة والتحرُّر، وساموا شعوبَهم سوءَ العذاب، وخرَّبوا اقتصادَ بلادهم، وشتَّتوا أبناءَها، وزعزعوا عقائدَها، وهدَّموا بُنيانها: مهلًا فما دعاويكم بمُخفِيةٍ مراميَكم، وإنَّ الإسلامَ والشُّيوعيَّة لا يلتقيان، وألبِسوا الماركسيَّة ما شئتم من ثياب، فلن يغيِّر ذلك من واقعها، وستُهزم الشُّيوعيَّة، ويندحِرُ مروِّجوها بإذن الله.

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١﴾

[الإسراء: ٨١].

لا يا أستاذ![1]

نشر الأستاذُ أحمد السِّباعي في "جريدة النَّدوة" العدد (١٩٣٥) الصادر بتاريخ ١٤/ ٢/ ١٣٨٥هـ كلمةً بعنوان (شبابنا في حقل التعليم) تعقيبًا على كلمة للدكتور عبد الله منَّاع في "جريدة البلاد" حول إعراض الجامعيِّين عن التدريس، جاء فيها قولُ الدكتور عبد الله منَّاع: «إنَّ واقعيَّةَ التفكير في يومنا هذا لم تعُد تكتفي بأن تلوكَ المثاليَّات دونَ تحقيق لها».

وعلَّق الأستاذُ أحمد السباعي على هذه الجملة بقوله: «وإذا كان لي ما أعلِّقُ به على ما ذهبَ إليه، فإنِّي أرى أنَّ واقعيَّةَ التفكير لا تلوكُ المثاليَّات دونَ تحقيق لها من يومنا هذا فقط؛ بل هي حقيقة الحياة من أوَّل يوم خُلقت فيه الحياة، أنا يا دكتور أحدُ الذين يرَون الإنسانَ هو الإنسان، وأنَّه عاش حياتَه على الأرض ينظرُ إلى المثاليَّات على ضوء ما يحقِّقُ لنفسِه منها، إلَّا إذا صادَفنا بعضَ النوادر وليس للنوادر حُكم».

---

(١) نُشرت في "جريدة الدعوة" العدد (١٠) في ١٤/ ٣/ ١٣٨٥هـ.

والأستاذُ السباعي بكلمته هذه قد يكون سارَ على فلسفةٍ ينهَجُها هو؛ وهي نظرتُه للأحداث والتاريخ من زاويةٍ معيَّنةٍ - ضيِّقة أحيانًا - فيها غَمْطٌ لنواحٍ كثيرةٍ في تفسير الأحداث، وتشكيكٌ في حقائقَ ثابتة لا يتطرَّقُ لها الشكُّ، إلَّا عند افتراض انعدام اليقين من الوجود!

وهذه الفلسفةُ التي نهجها الأستاذُ فيها هضمٌ للفضائل وإنكار للمزايا الحسنة والخير الكثير.

ترى هل أتباع الأنبياء وأهل الإيمان والدِّين والجهاد في سبيل الله، واقتحام الأخطار، وتمنِّي الشهادة والموت في الدفاع عن الدِّين والحقِّ، هل قام هؤلاء بما قاموا به من مُثُل رائعة وبذلوا النَّفْسَ والنَّفِيس من أجل مَغنَم عاجلٍ ليس إلَّا؟ وأين الخيرُ إذًا؟ وأين الزوايا الجميلة والوجوه المشرقة في الحياة إذا كانت كلُّها لا تعتنق المُثُل إلَّا إذا كانت تُدِرُّ أرباحًا سريعةً على حدِّ قول الشاعر المتنبِّي:

خُذْ ما تراهُ ودَعْ شيئًا سَمِعتَ بهِ   في طَلْعَةِ البَدرِ ما يُغنِيكَ عن زُحَلِ

إنَّ هذه الفلسفة تُنكر المزايا الجميلة والتي صارت الدُّنيا بها جميلةً، ولولاها لأصبحت الحياةُ جامدةً قاتمةً يلفُّها الظلامُ والشُّرورُ، ولا يوجدُ فيها بصيصٌ من نورٍ أو

إشراقةٌ من أمل.

إنَّ الحياةَ الجامدةَ حياةٌ تعيسةٌ مهما كان وضعُ صاحبها ثراءً وجاهًا وسُلطانًا؛ إذا ما عجَز عن المُثُل، وخَلا من الفضائل.

ولكن المُثُل لا تعني الكمالَ والخلوَّ من النقائص؛ فالبشر مُعرَّضون للخطأ، والعِصمَةُ ليست إلَّا للأنبياء، والإنسانُ فيه الخيرُ وفيه الشرُّ، ولكنَّه يُعَدُّ خيِّرًا إذا كان ما فيه من الخير أكثر، ويكون شرِّيرًا إذا كان ما فيه من الشرِّ أكثر، والتوبةُ تهدِمُ أكبرَ الذنوب وهو الشِّرك والكفر، فما بالُكَ بغيرهما؟

إنَّ الأستاذَ نظر للدُّنيا من جانبها المظلِم، وتصوَّرها خِلوًا من المُثُل التي يدفع لاعتناقها الإيمانُ المتغلغلُ في النفوس والدِّين المتمكِّن في القلوب، تلك التي تَصنَعُ العجائب، وتبعَثُ على تحقيق جلائل الأعمال، وتُرخِصُ الأموالَ والأنفُس والمُرتَخَصَ والغاليَ لوجه الله، وليس لغرضٍ دنيويٍّ عاجل.

وليس هذا غريبًا أو نادرًا بل هو كثيرٌ جدًّا، وما زالت الدُّنيا بخير رغمَ الشُّرور الكثيرة، علمًا بأنَّه «لا يأتي على

النَّاسِ زمانٌ إلَّا والذي بعدَه شَرٌّ منه حتى تَلقَوا ربَّكم»؛ كما أخبر الصادق المصدوق.

ومن يصدِّقُ أنَّ الإنسانَ هو الإنسان، وأنَّه عاش حياتَه على الأرض ينظرُ إلى المثاليَّات على ضوء ما يحقِّقُ لنفسه منها؟! كما يقول الأستاذُ أحمد السباعي.

هل الرُّسل بما فيهم أولو العَزْم وخِيارُ الأمَّة من الصحابة والتابعين ومن وَرَثَةِ الأنبياء، وأتباع الرُّسل مثلُ أعدائهم من المشركين والوثنيِّين والمعادِين، وهل المُثُل التي يعتنِقونها سِيَّان؟!

سبحان الله! إنَّ هذا تجنٍّ على الحقيقة والتاريخ، وإنكارٌ لما هو معلوم لا يتطرَّقُ إليه الشكُّ والرَّيْبُ، ولا ينطبق على كلِّ هؤلاءِ أنَّهم نُدُرٌ لا حكمَ لهم؛ بل إنَّهم كُثْرٌ وأمرُهم من الوضوح بحيث لا يحتاجُ إلى المقايَسَة والمقارَنة.

إنَّ الأستاذَّ السباعي نظر من نافذةٍ واحدةٍ وأغلقَ ما عداها، وقد يُسمَّى ذلك تجديدًا وتحرُّرًا، ولكن اتِّهام الأنبياء وخيارِ الأمَّة وأتبَاع الرسول بأنَّهم ينظرون للمثاليَّات على أنَّها وسيلةٌ لكسبٍ عاجلٍ - كما يُفهم من كلام الكاتب - هو اتِّهامٌ يَدحَضُه الواقعُ والتاريخُ والحقائقُ

المعلومة المشاهَدةُ والمتواترة، وأيُّ طعنةٍ للأمَّة أَنكَى من أن تُهدَمَ مثاليَّاتُها، وأن يُرمى خيارُها بأنَّهم طمَّاعون، دجَّالون، ملبِّسون على النَّاس فيما يتظاهَرون به من الصلاح وهم في حقيقتهم على العكس من ذلك؟!

وإن يكن الكاتبُ لم يقُل ذلك بالنصِّ، لكن هو مدلول الكلام ومآله، أليس كذلك؟

عجبٌ أن تُهدَر القِيَمُ وتُنكَر المُثُل وتُجحَد الفضائل بمثل هذه السُّهولة والجرأةِ على خيار الأمَّةِ وفُضلائها!!

إنَّنا عندما ننظر بتجرُّد إلى ما حولَنا نجد الخيرَ والشَّر، والفضيلةَ والرذيلة، والحَسَنَ والقبيح، والمكارمَ والمثالب؛ كذا في التاريخ نجد صنوفًا متباينة وأشكالًا مختلفة ليست على وَتِيرةٍ واحدة، وليست شرًّا كلَّها؛ بل فيها الأمران معًا؛ وإذًا فمن التجَنِّي جحدُ الخير أو نُكران بواعثه الخيِّرة.

إنَّني أكتبُ هذه الكلمة، ولستُ أريد جَدلًا عقيمًا لا نفعَ من ورائه، ولكنِّي مستعِدٌّ أن أتقبَّل النقاشَ الهادفَ والبحثَ المفيد.



أين العلماء؟[1]

نشرت "مجلةُ روز اليوسف" في عددها (١٦٣٤) الصادر في ٥ أكتوبر ١٩٥٩م اقتراحاتٍ موجَّهةً إلى اللجنة التي تدرُس توحيدَ قانون الأحوال الشخصيَّة بين الإقليمَين في الجمهوريَّة العربيَّة المتَّحدة، ومن هذه الاقتراحات التي قدَّمتها "روز اليوسف": تقييد الطلاق، وتقييد تعدُّد الزوجات، وإلغاء بيت الطاعة... وتنقُلُ على لسان الدكتور السعيد مصطفى مدير جامعة القاهرة: أنَّه يُؤيِّد المرأةَ في تقييد حقِّ الرجل في الطلاق؛ فيكون للقاضي وحدَهُ حقُّ توقيع الطلاق إذا وُجد المبرِّر له.. ثم ينقُل عن الدكتورة عائشة راتب قولَها: وبيتُ الطاعة يجب أن يُلغى فورًا؛ فهو بِدعةٌ لا أساسَ لها في أيِّ قانونٍ أو شريعة، ولا وجودَ له إلَّا في بلادنا..

ولسنا في مقام الردِّ على هذه الآراء الجانِفَة وتوضيح حُكمها في الشَّرع الإسلامي؛ ذلك أنَّ مثلَ هذا يطول جدًّا، ولأنَّ الذين سينفِّذون مثلَ هذه الأحكام الجائرة هم

(١) نُشرت في "البلاد" العدد (٢٤١) في ١٤/ ٥/ ١٣٧٩هـ.

لا يَحكمون وَفْقَ الشريعة الإسلاميَّة وإنَّما بحكم القانون المدني؛ الذي هو مستقًى - في معظم موادِّه - من قوانين فرنسا وإنكلترا.

وحَسَنٌ أن نُورِدَ كمثال منطقيٍّ يؤيِّد بُطلان هذه الآراء وصِحَّة حُكم الشريعة الإسلاميَّة، وموافقته للحكمة والمصلحة، ونكتفي بما وردَ على لسان الدكتور كمال شَلبي في المجلَّة والعدد نفسِه؛ يقول الدكتور شلبي: ورأيي في مسألة الطلاق أنَّ جَعلَهُ بيَدِ القاضي سيزيد المشكلةَ تعقيدًا؛ فليس من صالح الزوجة - كما أعتقد - أن تدفعَ بحكم من القاضي بطلاقها؛ إذ في هذا الأمر نشرُ كثيرٍ من الخبايا والأسرار ممَّا قد لا يصِحُّ الإفضاءُ به.

أجل؛ هذه إحدى الحِكَم العظيمة في جعل الطلاق بيدِ الزوج وليس بيدِ القاضي، وهكذا كلُّ حُكم في الشريعة الإسلاميَّة له مصالحُ جليلةٌ قد تَخفى على بعض النَّاس، والنَّاسُ متفاوتون في الفَهم والعلم..

ولكنَّ الغريبَ أن يتقوَّل جَهَلَةٌ لا يفهمون إلَّا قوانينَ أجنبيَّة، ثم يحكمون على الشريعة الإسلاميَّة بحسَب تصوُّراتهم دون أن يكون لهم عِلمٌ بها!

بل إنَّ من هؤلاء - و"مجلةُ روز اليوسف" في الطليعة ولا فخر- مَن دَأَبَ على نشر الإلحاد، والتشكيكِ في الدِّين، ومحاولةِ نَسفِ ما تبقَّى في بلادهم من حكم الشريعة مَعمولًا به ومُطبَّقًا في المحاكم، وكذلك القصص الخليعة التي تهتِكُ الحياءَ وتُنافي كلَّ فضيلةٍ، وبذل كلِّ ما يستطيعون في التهجُّم على الإسلام، والتنقُّصِ منه؛ ممَّا يجعل في النفس تردُّدًا أنَّ هناك مؤامرةً تُحاك للإسلام من وراء ستار، ويقوم بدورِ البُطولة فيها أدعياءُ على الإسلام وهم ألدُّ أعدائه.

إنَّ "روز اليوسف" وأشباهَ "روز اليوسف" تريد إرضاء المسيحيِّين وربَّما الدوائرَ المسيحيَّة أيضًا؛ وقد جاء على لسان واحدةٍ ممَّن سألتهم "روز اليوسف" وهي نصرانيَّة قولُها: «واختلاف القوانين المُنَظِّمة للأحوال الشخصيَّة للمسلمين وغير المسلمين في بلادنا يتركَّزُ في نُقطتين:

- إباحةُ الطلاق.

- وتعدُّد الزوجات.

وتعديلُ قانون الطلاق وتعدُّد الزوجات أصبح مَطلَبًا اجتماعيًّا تحتِّمُه ظروف مجتمعنا الجديد، فإذا تمَّ تقييد

الطلاق وتقييدُ عدد الزوجات تمَّ الالتقاءُ بين النظامَين على مستوًى معتدِل».

فعجبٌ لا ينقضي!! تعدُّد القوانين سيزول بين المسلمين والمسيحيِّين بعد أن تُلغى الفروقُ بين الطائفتين، ولكن على حساب المسلمين وهم الأكثريَّة!! أمَّا الأقليَّةُ المسيحيَّة فهي لا ترضى أن تتنازل عن شيء، ولا أن تلتقي مع المسلمين، ولكنَّها ترى من الحكمة وسَدَادِ الرأي أن يَنبِذَ المسلمون أحكام شريعتهم؛ ليوافقوا المسيحيِّين ويحوزوا رضاهم!

إنَّها مهزلةٌ وبليَّةٌ! ولكن ما رأي المسلمين يا ترى؟! إنَّ الأمرَ ليس أمر نظام أو اقتراح؛ وإنَّما أمرُ شريعةٍ عامَّةٍ شاملة يهمُّ كلَّ مسلم صيانةُ أحكامها، ونشرُ مبادئها، ورفعُ لوائها عاليًا خفَّاقًا.

وبعد؛ فإنَّ من العجب الذي لا ينقضي أن يقفَ علماء المسلمين إزاءَ هذه الصَّيحات المنكَرة والأصواتِ الناشزةِ سلبيًّا!! فلعلَّهم يستيقظون من نومهم الطويل؛ ليوقفوا عبيدَ النصارى، ودُعاة الإلحاد والتحلُّل عند حدِّهم قيامًا بواجبٍ مُلقًى على أكتافهم وأمانةٍ مُعلَّقة في أعناقهم! وفقهم الله.

غلوٌّ في المستشرقين[1]

يَظهر أنَّ عنايةَ المستشرقين بدراسة الكتب والآثار العربيَّة والإسلاميَّة تنمو وتزدهر، والأنباء الثقافيَّة والأدبيَّة تؤكِّد اطِّرادَ الاهتمام من جانب الغربيِّين بالدِّراسات الإسلاميَّة، وليس الدافعُ لذلك - في الأغلب - الحِرصَ على حفظ التُّراث الإسلاميِّ، أو إخراجِه إلى حيِّز الوجودِ، أو إفهام الرأي العامِّ الأوربيِّ المسيحيِّ بصلاحيَّةِ الثقافة الإسلاميَّةِ وفائدتها والحاجة المُلحَّة إليها...

ولكنَّه في الأغلب محاولةٌ لإدراك مدى التفكير بين المسلمين، وفي معرفةِ المسالك التي يمكن أن يجدوا فيها - على حدِّ تصوُّرِهم - منافذَ للتشكيك أو تشويه تلك الثقافة العظيمة، والغمز من رجالها، والطعنِ في دلائلها.

والمستشرقون والمبشِّرون يكادون يتلازَمون؛ فكلَّما ذُكر الاستشراق ذُكر إلى جانبه التبشير، اللهمَّ إلَّا في النادر جدًّا، وكثيرًا ما كان الاستشراقُ صِنْوَ الاستعمار ومقدِّمته.

---

(١) نُشرت في "الجزيرة" العدد (١٣٦) في ٢٢/ ٦/ ١٣٨٧هـ.

والمستشرقون يُعنَون عِنايةً عظيمةً بمن عُرِفَ بتطرُّفهِ في الرأي أو مخالفته النصوص القرآنيَّة، فيشجِّعونه ويُشيدون به، ويؤلِّفون فيه الكتبَ الكثيرة، بينما يُغفِلون علماءَ الإسلام السلفيِّين وشعراءَه الناضجين وقادتَه الفاتحين.

ولنأخذ مثلًا ابن تيميَّة والمتنبِّي ومحمَّد بن عبد الوهَّاب؛ فكلٌّ من هؤلاء الثلاثة له شأنُه في مجاله؛ الأوَّل: في غزارةِ علمِه وسَعَةِ أُفقِه، والثاني: في قوَّةِ شاعريَّته وجزالةِ أُسلوبه، والثالث: في نهضته الإصلاحيَّة، ومع هذا فإنَّ المستشرقين المسيحيِّين يكادون يُغفلون ذكرَهم، ولا نسبةَ بين ما يذكرونه عنهم وما يذكرونه عن المعرِّيِّ والخَيَّامِ والآغا خان.

صحيحٌ أنَّهم كتبوا عن صلاح الدِّين الأيوبيِّ وأكثروا ولكن ذلك ليس جهدًا مقصودًا به الحقيقة؛ وإنَّما الهدفُ منه الغمزُ من صلاح الدِّين، والإشادةُ برتشارد قلب الأسدِ وزعماء الصليبيِّين الذين جاؤوا لغزو البلاد العربيَّة والإسلاميَّة.

وقد يَصوغون عباراتٍ برَّاقةً ظاهرُها الإعجاب بالرسول والدِّين، وباطنُها الطَّعنُ والغَمز؛ فهو إذًا قولٌ

ليس للإنصاف والحقِّ؛ ولكنَّه لخدمةِ الأهداف التبشيريَّة الاستعماريَّة، ومحاولة الولوج إلى عقول المسلمين بالتشكيك في قادتهم وذوي الشأن فيهم، وتزييف تاريخهم، وقلبِ الحقائق أمامَ العالم المسيحيِّ المرتبِكِ في فوضى الحضارة البرَّاقة التي ينطبقُ عليها قولُ الشاعر:

على وَجهِ مَيٍّ مَسْحَةٌ من مَلاحَةٍ
وتحتَ الثِّيابِ الشَّيْنُ لو كان بادِيا

لأنَّ هؤلاءِ المستشرقين لو قالوا الحقيقة ولم يزيِّفوا التاريخَ الإسلاميَّ عندما يعرضونه على قومِهم، لأقبلَ الأوربيُّون على الإسلام سِراعًا؛ حيث يجدون فيه المُنقِذَ من ورطتهم وإفلاسِهم الدِّينيِّ والأخلاقي..

ومن المؤسِف أنَّ بعضَ (المُتحَذلِقين) قد فُتِنوا بالمستشرقين، فأصبحوا لا يثقون إلَّا فيما يقوله المستشرق فلان والمبشِّر علَّان، حتى وإن كانوا ممَّن عُرفوا بعَدائهم للمسلمين وشنِّ الحمَلات عليهم، والسعي لطمسِ الواقع وتشويهه لأغراضٍ غيرِ شريفة، وخدمةً للأطماع الاستعماريَّة والأحقاد الصَّليبيَّة..

بينما هذا البعض يتنطَّعُ في التشكيك بكلِّ ما يروِيه أو

يقولُه علماءُ الإسلام، ويجعل من بعض الهفَواتِ حُجَّة على دعاويه الزائفة، ومطاعنه التي لا تستندُ إلى واقعٍ سليم..

كلُّ ذلك تقليدٌ لأعمى القلبِ والبصيرةِ؛ فانطبق المثلُ: أعمى يقودُ أعمى!

وهنا أحبُّ أن أذكرَ شيئًا ممَّا كتبه أحدُ العلماء الأجلَّاء من ذوي الفكر الثاقِبِ والرأي الحَصِيف، وممَّن خَبَرَ المستشرقين خبرةً واسعةً؛ وهو الأستاذُ سيِّد قطب في كتابه "معركة الإسلام والرأسماليَّة" يقول سيِّد قطب:

«إنَّ الإسلامَ يحرِّمُ على أتباعه أن يخضعوا لأيِّ حكم أجنبيٍّ ؛بل لأيِّ تشريعٍ لا يتَّفق مع شريعة الإسلام، وتلك عَقَبَةٌ في طريق الاستعمار كَؤودٌ، والمستعمِرون ليسوا في غفلةِ مثقَّفينا الفُضلاء ولا في بَلاهَةِ حكَّامنا النابغين؛ إنَّهم يُقيمون استعمارَهم على دراساتٍ كاملةٍ متشعِّبةٍ لكلِّ مقوِّمات الشعوب التي يستعمِرونها؛ كي يقتلوا بذورَ المقاومة أو يتفادَوها أو يُداروها.

وقد قام الاستشراقُ على هذا الأساس؛ قام ليساعدَ الاستعمارَ من الوجهة العلميَّة، وليمُدَّ جذورَه في التُّربةِ العقليَّة كذلك، ولكنَّنا نحن هنا نعبدُ المستشرقين ببلاهة،

ونعتقدُ في سذاجة أنَّهم رُهبانُ العلم والمعرفة، وأنَّهم بَعُدوا عن نشأتهم الأولى، وقطعوا صِلَتَهم بالملَّة التي نشؤوا فيها، وبخاصَّةٍ إذا موَّهَ علينا بعضُهم بكلمةٍ طيبةٍ تُقال عن ديننا وعن نبيِّنا؛ كي تكون هي الطُّعمَ لتَستَنِيمَ أفكارُنا إلى الإيحاء في ناحيةٍ أخرى.

وإنَّ الإنسانَ ليضحكُ أحيانًا - ولو أنَّه ضَحِكٌ مُرٌّ - والمثقفون فينا يتعالَمون بالحديث عن الإخلاص العلميِّ للمستشرقين، فإذا خطرَ لك أن تشكِّكَ في براءة هؤلاءِ (القدِّيسين) فأنتَ إذًا غيرُ مثقَّفٍ ومتعصِّب تحشُر الدِّينَ في كلِّ مجال!».

ومن يُرِد مزيدًا من الإيضاح فليُطالع كتاب "التبشير والاستعمار في البلاد العربيَّة".

ولقد أوضح الأستاذُ عبَّاس محمود العقَّاد في كتابه "ما يُقال عن الإسلام" كثيرًا من ذلك، وبرهن بالأمثلةِ التي تعطي الدليلَ الذي لا يقبلُ المغالطةَ على مدى تحامُلِ الكتَّاب الغربيِّين والمؤرِّخين منهم والمستشرقين بصفةٍ خاصَّةٍ على الإسلام والمسلمين، والحطِّ من شأنهم والتنقُّصِ لقدرهم.

ولا نريد الإطالةَ والتوسُّعَ في القول - مع رَحابَةِ الموضوع وتشعُّبه - وحسبُنا الإشارةُ والتنبيه.

وعلى الله قصدُ السَّبيل.



حرب صليبيَّة عميقة الجذور

يخطئ من يتصوَّر أنَّ هدفَ الدُّول الغربيَّة هو استنزافُ الثرَوات الماديَّة، والسيطرةُ السياسيَّة والاقتصاديَّة على البُلدان الإسلاميَّة وكفى.

صحيحٌ أنَّ هذه من أهداف الاستعمار ورغائبه، ولكنَّها ليست كلَّ شيء؛ لأنَّ هناك غاياتٍ غيرَ هذه؛ ألا وهي الأهداف الصليبيَّة التي تُمليها أحقادٌ دفينةٌ ابتدأت منذ بُزوغ فجر الإسلام، وظلَّت بين مدٍّ وجَزرٍ يَلتهبُ أُوارُها حِينًا وتَخِفُّ حِدَّتها آنًا، وإن بقِيَت نارًا تحتَ الرَّماد.

ففي وقعة مُؤْتَةَ واليرموكِ وحِطِّينَ والقُدس، وفي تمزُّقِ أواصر الدولة العثمانيَّة واستعمار البُلدان الإسلاميَّة بعد معاركَ غير متكافِئة، ووحشيَّة من الصَّليبيِّين فظيعةٍ في ليبيا والمغرب والجزائر والصُّومال، وفي البُلدان الإسلاميَّة والآسيويَّة وغيرها أمثلةٌ بشعةٌ لما يضطرمُ في نفوس الغربيِّين المستعمِرين من عَداء للإسلام ونِقمَةٍ على المسلمين، واتِّخاذ كلِّ وسيلةٍ للسيطرةِ عليهم واستغلال

خَيراتِ بلادهم.

وفي طليعةِ الغايات الاستعماريَّة: الحربُ الثقافيَّة والغزو الفكري، والمحاولاتُ الكثيرةُ للقضاء على الإسلام في مَعقِله، واستئصاله من العقول وإبعاده عن الحياة وعن الفكر، وإخمادِ جَذوَتِه المتأجِّجة ونِبراسِه المُنير..

وعندما بدأ الاستعمارُ يرحلُ عن البُلدان الإسلاميَّة كان قد أبقى ركائزَ وَكَّلَ إليهم المُهمَّةَ وسلَّمهم الخُطَّة ليسير على مِنوالها؛ في شكل مدارسَ تبشيريَّة، وأشخاصٍ محشوَّة أفكارُهم بالفلسفة الغربيَّة والقوانين الأجنبيَّة والآراء المناهضة للإسلام.

وقد مهَّدَ لهم السبيلَ كي يُنفِّذوا ما يُخطِّط لهم؛ حتى أصبحت بعضُ البُلدانِ الإسلاميَّة يتحكَّم فيها المسيحيُّون وهم قِلَّةٌ ويسيطرون على الأغلبيَّة الساحقة من المسلمين.

وفي إحدى الدُّول الإفريقيَّة التي يشكِّل المسلمون فيها سبعةً وتسعين في المئة من السكَّان يرأس الدولةَ مسيحيٌّ وللمسيحيِّين فيها النفوذُ الأقوى! وبُلدان عديدةٌ يُشبِه الوضعُ فيها هذا البلد.

وكلٌّ ذلك من تخطيط المستعمِرين ومؤامرتِهم على الإسلام الذي يتخيَّلونه عدوَّهم الأكبر - تعصُّبًا وجهلًا - ويتصوَّرونه الخطرَ الوحيدَ الذي يهدِّدُ المسيحيَّة بسببِ إقبال الناس عليه وسهولةِ تقبُّله ووضوحه، وشموله لكلِّ ما يحتاجه البشر في دينهم ودُنياهم في عقولهم وعواطفهم، في عقيدتهم ومعاملتهم، وفي جميع شؤونهم.

والمؤسِفُ أنَّ بعض النَّاس - ومنهم مثقَّفون كثيرون من البُلدان الإسلاميَّة - لا يعرفون الدوافعَ الحقيقيَّةَ لوقوف الغرب ضدَّ الشعوبِ والدُّول الإسلاميَّة دائمًا، ويفسِّرونه تفسيرًا قاصرًا؛ لذلك يتخبَّطون في الاستنتاج، ويحارون في الأسباب الدافعة.

وربَّما يظنُّ بعضٌ من هؤلاء المثقَّفين أنَّ الغربَ الذي يعبدُ المادَّة، ويتَّخذها إلهًا من دون الله في كثير من الأحيان، ويغرقُ في المفاسد - قد نسي أحقادَه القديمةَ نحو المسلمين، وأضحى أكثرَ اعتدالًا وفهمًا لمقاصد الإسلام الحَسَنة وما يؤدِّيه من سعادة للبشريَّة؛ وبالتالي: خفَّفَ من عَدائه للإسلام، وصار لا يكترِثُ للأُمور الدِّينيَّة، ولا يُلقي لها وزنًا، فضلًا عن أن يشغَلَ نفسَه

بالتعصُّبِ الدِّيني.

وهذا التصوُّرُ قد جرَّ على المسلمين مصائبَ لا حصرَ لها؛ فقد غفلوا عن أهمِّ ثُغرةٍ يلِجُ منها الأعداء، فطعنوهم في الصميم، ولئلَّا يدَّعيَ بعضُ النَّاس أنَّني أُبالغ في هذا التخوُّف، وأُعطِيه أكثرَ ممَّا يستحقُّ، وأُضفي عليه أشياءَ لا وجودَ لها وإنَّما يمليها الوهمُ والظنُّ المبالِغُ في الحذر - فإنِّي أُشيرُ إشارةً وجيزةً كمَثَلٍ من أمثلةٍ يصعُب إحصاؤها ويتعذَّر استقصاؤها، وآمُل أن يدركَ من يتصوَّر غير ما ذكرتُ الحقيقةَ بعد التمعُّنِ في المَثَل:

زُنجبار والحَبَشَة والسِّنغال ولبنان وقُبْرص وغانا ورواندا؛ ما هو وضعُ المسلمين في هذه البُلدان؟ وما عددهم؟ وما نسبتُهم للسكَّان؟ وما مدى تمتُّعهم بحقوقهم؟ وما هي الأسباب التي أدَّت لهذه الحال؟ وما هي الدوافع يا تُرى؟ وإكمالًا للمثل: لماذا تُثار الاضطرابات من قِبَل المسيحيِّين في جنوب السُّودان وفي نيجيريا؟ أليس تحيُّزُ الدُّول الغربيَّة لهؤلاءِ المنشقِّين ومساعدتُهم بالمال والسِّلاح والمرتزِقَة هدفُه تقطيعُ أواصِر الدُّول الإسلاميَّة، وتحويلُها إلى دولٍ مسيحيَّة تقضي على المسلمين في بُلدانهم، وإن

تغيَّرت أسماء الاستعمار ولون المستعمِرين، وصار المسيحيُّون المحليُّون هم الذين يقومون وينفِّذون ما كان يقوم به المستعمِر الأبيض لغايةٍ واحدة قطعًا؟!

وإكمالًا للمَثَل كذلك: في الصُّومال الذي أعطى المستعمِرون أجزاءً كثيرةً منه للحَبَشة وكينيا؛ لماذا؟ وما هي الأسباب؟ أليس هو الحرب للإسلام؟ وقُبرص التي كانت ثلاثةَ عشرَ قرنًا من الزمان(١) تحتَ حكم المسلمين بلدًا إسلاميًّا يَقلِبها الاستعمارُ البريطانيُّ إلى دولةٍ مسيحيَّة تضطهدُ المسلمين، وتقطعُ عنهم الماءَ وتصطادُهم في الشوارع كأنَّهم قنصٌ لذيذُ الطعم!

هل بقي شكٌّ بعد هذا في أنَّها حربٌ صليبيَّةٌ يَغفُلُ عنها كثيرون ويغطُّون في سُباتٍ متواصلٍ عن إدراكها وعن الارتفاع إلى مستواها؟!

ولدينا مَثَلٌ قريبٌ جدًّا في الحرب الأخيرة بين العرب وإسرائيل؛ إذ وقفت الدُّول المسيحيَّة جميعُها تقريبًا تؤيِّد إسرائيل.

---

(١) ما عدا فترات قليلة.

يقول الأستاذ سيِّد قطب في كتابه "معركة الإسلام والرأسماليَّة" : «إنَّ الغربَ يُوحي لهؤلاءِ الغافلين أنَّ الدِّين عاملٌ ثانويٌّ لا قيمةَ له في حياتهم، مستشهدين بتحلُّلهم من قُيودِه في مجتمعاتهم، فيَنعِقُ أصحابُنا بهذه الدَّعوة ويسيرون عليها، ويُخرِبون بيوتَهم بأيديهم لا بأيدي أعدائهم الدُّهاةِ، ذلك بينما العالم الغربيُّ كلُّه ينصِبُ للإسلام، ويُكِنُّ له العَداوةَ والبَغضاء.

إنَّ الحرب الصليبيَّة لم تضَع أَوزارَها إلَّا في نفوس المسلمين وفي عالم المسلمين، أمَّا في العالم المسيحيِّ فهي مَشبوبَةُ الأُوَار، وهي تَشغلُ من أذهانِ القوم وسياستهم مكانًا بارزًا يبدو في شتَّى مَناحي الحياة، ونحن بغفلةٍ مُنقطِعَة النظير نقدِّمُ لهم العَونَ والمساعدةَ في هذه الحرب المشبوبةِ الأُوَار.

إنَّ الصَّليبيِّين الأحياء لم ينسَوا يومًا أنَّ بيت المَقدِس هو البُقعةُ التي ثارت من أجلها الحروب الصَّليبيَّة، وحينما دخل الماريشال (اللِّنبي) بيتَ المقدس في الحرب العظمى الماضية تحرَّك لسان الصَّليبيَّة الكامنة في دَمهِ وفي كلِّ صليبيٍّ، تحرَّكَ لينفُثَ أُوَار الصَّليبيَّة الكامن: الآن انتهَت

الحروبُ الصَّليبيَّة!

إنَّ الصَّليبيين يعرفون ويقول الصُّرَحاء منهم، وقد سمعتُه في أمريكا بأُذني: إنَّ الإسلامَ هو الدِّين الوحيد الخَطِر عليهم، فهم لا يخشَون البوذيَّةَ ولا الهندوسيَّةَ ولا اليهوديَّةَ؛ إذ إنَّها جميعًا ديانات قوميَّة لا تريد الامتدادَ خارجَ أقوامها وأهلها، وهي في الوقت ذاته أقلُّ من المسيحيَّةِ رُقيًّا، فأمَّا الإسلامُ فهو - كما يسمُّونه - دينٌ متحرِّكٌ زاحفٌ، وهو يمتدُّ بنفسِه وبلا أيَّة قوَّة مساعدة، وهذا هو وجهُ الخطر فيه في نظرهم جميعًا؛ ولهذا يجبُ أن يَحترسوا منه، وأن يُقاوموه ويُكافحوه.

وهؤلاءِ الصَّليبيُّون يعرفون أنَّ الإسلام ليس شيئًا آخرَ غيرَ حكم الإسلام، فهو لا يستطيع أن يتحقَّقَ كاملًا وقويًّا في هذه الأرض بغير هذا الحُكم؛ الذي يحوِّلُ العقيدةَ إلى شريعةٍ ثم يقفُ ليحمِيها ويدفعَ عنها؛ لذلك يحاربون رجعةَ الحكم إلى الإسلام محاربةً قويَّةً لا هوادةَ فيها؛ يحاربونها بنفوذهم وقوَّتهم، كما يحاربونها بواسطةِ المُغفَّلين منَّا وذوي المصالح، الذين يَخشَون حُكمَ الإسلام عليها»[1].

---

(١) "معركة الإسلام والرأسماليَّة" (ص٩٤-٩٦).

وبعدُ؛ فهل اقتنعَ من لا زال يظنُّ الغربَ دفنَ عَداءَه للمسلمين، وأنَّه نبذَ التعصُّبَ ضدَّ الإسلام جانبًا؟!

آمُلُ أن يكون قد فهم الحقيقةَ ناصعة؛ فمن الخير للمسلمين أن يعرفوا واقعَهم وما يُراد ليكونوا على بيِّنةٍ من أمرهم، وليأخذوا حِذرَهم ويستعدُّوا لمقاومة عدوِّهم.

وماذا بعد؟

أشياءُ كثيرةٌ تَتفرَّعُ وتتشعَّبُ ولكنَّ المجالَ لا يتَّسعُ لها في هذا المقال.



كيف نتخلَّص من القَلَق؟ [1]

يتَّسمُّ هذا العصر بالقَلق، ويكادُ يكون القَلق مرضًا عامًّا، ويجتهدُ الكثيرُ من المفكِّرين وعلماء النفس والاجتماع في بحثِ الوسائل الناجم عنها القلق، والأسباب المؤدِّية إلى التخلُّصِ منه، وكلٌّ يُنَقِّبُ ويُجهِدُ فكرَه، ويجري أبحاثَه وتجارِبَه للوصول إلى الحقيقة.

ومع كَثرة الكتب المُؤلَّفة في هذا الموضوع والبحوث المنشورة في الصُّحف والمجلَّات لعلاجه، فإنَّ القَلقَ على ما يبدو يزداد حدَّةً وضَراوةً، وقد تكون تلك العلاجاتُ أدويةً مُسكِّنةً، وعقاقيرَ مؤقَّتةً، لا تلبث أن تزولَ وتعودَ الحالة إلى أصلها أو أنكى.

إذًا فلا بدَّ من علاجٍ حاسم؛ وأحسَب أن ضَعفَ الدِّين في النفوس، وانتشارَ الأفكار الهدَّامة، والمذاهبِ الإلحاديَّة، والقصص الماجنة، والصُّحف الخليعة، والأغاني الهزيلة - كلُّها أسبابٌ لهذا القلق، وبواعثُ على

---

(١) أُذيعت من إذاعة الرياض في ليلة الخميس الموافق ٢٢/ ٤/ ١٣٨٥هـ.

تمكينه في النفوس، وصعوبةِ الابتعاد عنه.

والحقيقةُ أنَّ الدِّين هو أعظمُ العلاج للقلق؛ وأقوى سببٍ للنَّجاةِ منه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرّعد: ٢٨]؛ إنَّ الدِّين المُتَمكِّن من النفس يبعثُ على الرِّضى بالقضاء، ويثيرُ في النفس الطُّمأنينة والسَّكينة، ويقوِّي الإيمانَ الذي يغرسُ التوكُّلَ على الله، وأنَّ ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنَّ ما أصابَ العبدَ لم يكن ليُخطِئه، وما أخطأه لم يكن ليُصِيبَه، وأنَّ هذه الدُّنيا ما هي إلَّا مزرعةٌ للآخرة، ووسيلةٌ إلى عمل الخير، والتزوُّد بالتقوى ليوم لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنون إلَّا من أتى الله بقلبٍ سليم.

والصَّلاةُ التي هي إحدى ثمَرات الدِّين والإيمان، من أعظم الأسباب في سَكينة القلب وراحة البال؛ ولذلك يقول النبيُّ ﷺ: «يا بلالُ؛ أرِحنا بالصَّلاة»(١)، وفي القرآن الكريم: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾ [البَقَرَة: ٤٥]، وفي آية أخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [البَقَرَة: ١٥٣]، وقراءةُ

(١) أخرجه أحمد وأبو داود.

القرآن بخشوعٍ وتفكُّرٍ من عجائب ما يُطَمئِن النَّفس، ويُسكِّن الرَّوْع، ويملأ المؤمن ثقةً بالله واستسهالًا للمصاعب؛ حتى تتضاءل عمَّا هي عليه حتى لكأنَّها أشياءُ هيِّنَةٌ سَهلة.

إنَّ إعراضَ كثير من النَّاس عن تلاوة القرآن والصَّلاة واشتغالَهم بمطالعة كتبِ التشكيك والإلحاد، وضعفَ الإيمان في نفوسهم، وقلَّةَ التوكُّل على الله - هي التي تجعلُ القَلقَ يتمكَّن من ضحاياه حتى لتُظلِم الدُّنيا في وجوههم، وإن كانوا أصحَّاء أغنياء، لهم الجاهُ العريض، والمكانةُ المرموقة.

ومهما بحثوا عن العلاج من غير هذا الطريق - طريق الإيمان والدِّين - فسوف يرجعون بخُفَّي حُنَيْن؛ فليوفِّروا على أنفسهم عناءَ البحث العقيم، وليجرِّبوا هذه الوصفةَ التي تحدَّثنا عنها، وإنَّهم لَواجِدون بهذه الوصفة - بإذن الله - ما يَصبُون إليه من هدوء وأمن واستقرار بال.



هذا العصر القَلِق![1]

يتميَّزُ العصر الحديث بالنهضة الصناعيَّةِ الجبَّارةِ والاختراعات المدهِشَة، ولكنَّه إلى جانب ذلك يتميَّزُ بالقَلقِ النفسيِّ؛ نتيجةً لكَثرة مُتطلَّبات الحياة وتنوُّعها، والتعقُّد الذي يمرُّ بالإنسان في كثير من الأحيان.

وقد أدركَ ذلك علماء التربية والنفس وروَّاد الإصلاح، وحاولوا علاجَ هذه الظاهرة الخطيرة التي قد تَنقلب إلى فوضى وتخريب إن لم تُنَظَّم ويوفَّقْ صاحبُها إلى توجيهها للأعمال النافعة، ويُكرِّس طاقتَه للإنتاج المثمِر.

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الشكَّ والإلحادَ وضعفَ العقيدة لها أثرٌ في بلبلةِ الخواطر، وإثارة القَلَق، وليس كالإيمانِ والدِّين علاجٌ للنَّفس، وهدوءٌ للبال وصفاءٌ للرُّوح.

والإيمانُ بأنَّ كلَّ شيء بقَدَرٍ من الله، وأنَّه كُتبَ على المرء قبلَ خلقِه؛ ممَّا يبعثُ الطُّمأنينة وانشراحَ النَّفس وراحةَ الضمير.

---

(١) نُشرت في "اليمامة" العدد (٤١٦) في ٢٤/ ٤/ ١٣٨٤هـ.

وفي حديثِ ابن عبَّاس قال النبي ﷺ: «واعلم أنَّ الأمَّةَ لو اجتمعَت على أن ينفعوكَ لم ينفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوكَ لم يضرُّوك إلَّا بشيءٍ قد كتبَه الله عليك، رُفعت الأقلامُ وطُوِيَت الصُّحُف».

إنَّه الإيمانُ بالله وبقَدَره.

وعند وقوع المصائب يُرشد إلى الصبرِ والتجلُّد؛ ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦]، ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٣٩﴾ [آل عِمرَان: ١٣٩]، ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان: ١٤٠] الآية.

وإذا أبصرَ الإنسان مَن هو أعلى منه رُتبَةً أو أكثر مالًا أو جاهًا فلا يحقِد عليه ولا يحسُده، ولكن يُقارنُ بين حاله وحال من هم دونَه رُتبَةً ومالًا وجاهًا؛ «لينظُر أحدُكم إلى مَن هو أسفلَ منه ولا ينظر إلى مَن هو فوقَه».

وليس معنى ذلك أن يُخلِد للكسل والخمول، فقد ورد في الحديث عندما قال أُناسٌ: ذهبَ أهلُ الدُّثورِ بالأُجور؛

يصلُّون كما نصلِّي، ويصومون كما نصوم، ويتصدَّقون بفُضول أموالهم! فعلَّمهم الرسولُ ﷺ أدعيةً يقولونها، فعَلِمَ ذلك الأغنياءُ فدعَوا بتلك الأدعية، فقال الرسول ﷺ: «ذلك فضلُ الله يؤتِيهِ مَن يشاء»، ولمَّا قال بعضُ الصحابة: ألا نتَّكل على كتابنا ونَدَعُ العمل؟ قال: «لا؛ اعمَلوا فكلٌّ مُيسَّرٌ لما خُلق له».

وقد قرأتُ في كتاب يبحث في علم النَّفس عنوانه "حقيقة النَّفس وأمراضها" هذه الجملة، ورأيتُ أن أنقُلها للقرَّاء؛ لفائدتها واتِّفاقها مع ما جاءت به الشريعةُ الإسلاميَّة؛ يقول مؤلِّفُ الكتاب في صددِ علاج مرض الحرمان:

بالنِّسبة للبالغين يكون علاج المرض بعقيدةٍ يؤمنُ بها الشَّخصُ؛ وهي أنَّ النَّاسَ مهما بلغوا من ثراء أو جاه فإنَّهم لا ينفعون ولا يضرُّون، وما كُتب للإنسان من رزقٍ فلا بدَّ أن يوفَّى عددَ أيَّامه، ولينظُر الإنسان إلى مَن هو دونَه عندما تخيبُ له ثروةٌ وشهوةٌ، ويضع نُصبَ عينِه مستقبلًا سعيدًا ينتظره، ويحاول جاهدًا أن يكون من أهل الطُّموح.

الشَّخصُ الذي لا يَعبأ بك في فترةٍ من الفترات تستطيع أن تجعلَه يُصفِّقُ لك إعجابًا وتقديرًا في وقتٍ لاحقٍ؛ فالأيَّامُ تمرُّ وحاول أن تتقدَّمَ في كلِّ يوم: إن كنت طالبًا فضَع نُصبَ عينَيكَ أن تكون من الأوائل، وإن كنت موظَّفًا فبجانب عملِكَ الذي تُؤدِّيه بإخلاصٍ اجتهِد أن تَختار أو تصنع شيئًا يرفعُ من قدرك ولو في مُحيطِ مجتمعِك الصغير (الحي) الذي تعيشُ في وسَطه.

فما أحوجَ أهلَ هذا العصر القَلِق المضطرب إلى التداوي بأمثال هذه الأدوية الناجعة.

فهل يُوفَّقون لها؟! ليستريحوا من عَناء القَلَقِ، وتشتُّتِ الخواطر، وتراكم الهموم!!



الشُّورى من دعائم المجتمع[1]

الشُّورى إحدى القواعد التي يقوم عليها بناءُ المجتمع السليم، ومن أقوى الدِّعامات التي يرتكز عليها صَرحُ الجماعة في تَناسُق وصَلاح وهُدًى، حثَّ عليها الدِّين، ورغَّبَ فيها القرآن، وطبَّقَها سيِّدُ البَشَر، وخلفاؤه الأماجِد؛ فكان المجتمع الإسلامي الذي ضَرَبَ للعالم مَثلًا رائعًا في عزمِه وتماسُكه وبطولاته، وأسَّسَ حَضارةً راقية، وأشادَ مدنيَّةً مِثاليَّة، إليها يطمحُ العُقلاء ويسعى الحُكماء، ويتمنَّاها ذوو العلم والنُّهى.

لقد أرشد الله لها بحكمته الباهرة، وعلمه الذي وَسِعَ كلَّ شيء فقال - جلَّ ذِكرُه وتقدَّست أسماؤه - مُخاطبًا نبيَّه ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩]، وأثنى على المؤمنين بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الشّورىٰ: ٣٨].

(١) نُشرت في "الجزيرة" العدد (١٥٧) في ١٠/ ٥/ ١٣٨٧هـ.

وتطبيقًا لأمر الله كان الرسول يُشاور أصحابَه فيما لم ينزل فيه وحي: ففي (يوم بَدر) لمَّا بلغَ الرسولَ ﷺ أنَّ قريشًا قد ساروا ليمنعوا عِيرَهم، استشارَ الناس؛ فتكلَّم أبو بكر وعُمر والمِقدادُ بن عَمرو فأحسنوا، ثم قال: «أشِيروا عليَّ أيُّها الناس»، وإنَّما يريد الأنصار، فتكلَّمَ سعدُ بن مُعاذ وأحسن، فَسُرَّ رسولُ الله ﷺ بقَولِ سعد ونشَّطَهُ ذلك ثم قال: «سِيروا وأبشروا».

ونزلَ الرسولُ يومَ بَدرٍ على أدنى ماء من بَدر؛ فقال الحُبَابُ بن المنذر بن الجَمُوح: يا رسولَ الله؛ أرأيتَ هذا المنزل، أمنزلًا أنزَلَكَهُ اللهُ ليس لنا أن نتقدَّمَ ولا نتأخَّرَ عنه؟ أم هو الرأيُ والحَربُ والمَكِيدةُ؟! فقال: «بل هو الرأيُ والحَربُ والمَكيدة»، فقال: يا رسولَ الله؛ فإنَّ هذا ليس بمنزل، فانهَض بالناس حتى نأتيَ أدنى ماءٍ من القوم، فننزِلَه ثم نُغوِّر ما وراءه من القُلُب، ثم نبني عليه حَوضًا فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم؛ فنشربُ ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرتَ بالرأي»؛ فنهض رسولُ الله ﷺ ومن معه من النَّاس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه فمُلئ ماءً ثم قذفوا فيه الآنِيَة.

وفي (يومِ بدرٍ) كان رسول الله ﷺ يُشاور أبا بكر وعمر وعليًّا في الأسرى؛ فأشار أبو بكر بالفِدَاء، وأشارَ عمرُ بالقتل، فمال رسول الله ﷺ إلى الفِدَاء؛ فأنزلَ الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] إلى قوله: ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال: ٦٨].

و(يومَ أُحُد) استشارَ رسولُ الله ﷺ النَّاس، وقَصَّ رؤيا رآها فقال: «إنِّي رأيتُ بقرًا فأوَّلتها خيرًا، ورأيت في ذُبَابِ سَيفي ثَلمًا، ورأيت أنِّي أدخلتُ يدي في درعٍ حَصينة؛ فأوَّلتُها المدينة؛ فإن رأيتُم أن تقيموا بالمدينة وتدَعُوهم، فإن أقاموا أقاموا بشَرِّ مَقام، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها؟!».

غير أنَّ جماعة من الصحابة أشاروا بالخروج، فنزل الرسولُ عند مشورتهم مع أنَّ رأيَه كان عدمَ الخروج.

وفي (غزوة الخندَق) أشار سلمان الفارسيُّ على الرسول بحفر الخندق، ولم تكن العربُ تعرف ذلك من قبل؛ فأمرَ الرسول بحفره، وكان أحدَ العوامل في انتصار المسلمين وانخذال الأحزاب.

وفي هذا اليوم وبعد أن اشتدَّ الحصارُ على المسلمين أرادَ الرسولُ أن يُصالحَ قائدَي غَطَفَان على ثُلث ثمار المدينة على أن يرجعوا بمَن معهما ويُنهِيا الحصار.

واستشارَ الرسولُ سَعد بن معاذ وسَعد بن عُبادَةَ فقالا: يا رسولَ الله؛ شيءٌ تحبُّ أن تصنعَه؟ أم شيءٌ أمركَ اللهُ به؟ أو شيءٌ تصنعُه لنا؟ قال: «بل أمرٌ أصنعُه لكم! رأيتُ العربَ قد رَمَتكم عن قَوسٍ واحدَة، فأردتُّ أن أكسِرَ عنكم شوكتَهم»، فقال سَعدُ بن معاذ: قد كنَّا نحن وهُم على الشِّرك، ولا يطمعون أن يأكلوا منَّا تَمرةً إلَّا قِرًى أو بيعًا، فحين أكرمَنا الله بالإسلام نُعطِيهم أموالَنا؟! واللهِ ما نُعطِيهم إلَّا السَّيف، حتى يحكمَ الله بيننا وبينهم، فتركَ ذلك رسولُ الله ﷺ.

وبعد (صُلح الحُدَيْبِيَة) الفتحِ المبين قال النبيُّ ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحَروا ثمَّ احلِقوا»، فما قام أحدٌ! حتَّى قال ذلك مِرارًا، فلمَّا لم يقُم أحدٌ منهم دخلَ على أمِّ سَلَمَةَ فذكرَ لها ذلك، فقالت: يا نبيَّ الله؛ اخرُج ولا تكلِّم أحدًا منهم حتى تنحَرَ بُدنَكَ وتحلِقَ شَعرَك، ففعل؛ فلمَّا رأوا ذلك قاموا فنَحَروا وحَلَقوا، حتى كاد يقتُل بعضُهم بعضًا.

وكان عمر قد استبقاه أبو بكرٍ بالمدينة، مستأذِنًا من أسامةَ بن زيد قائدِ الجيش الغازي إلى الشام السماحَ لعمرَ بالبقاء في المدينة؛ ليكون مستشارَه يُصَارِحُه الرأي، ويمحَضُهُ النَّصيحة.

وهذا عمرُ بن الخطَّاب الخليفة الثاني يُفكِّرُ في تولِّي قيادة الجيش الذاهبِ إلى العراق بنفسه، لكنَّهُ يستشير الناس ويعلِمُهم بما نواه، فقال العامَّة: سِرْ وسِرْ بنا معك، فدخل معهم في رأيهم، وقال: اغدُوا واستَعِدُّوا؛ فإنِّي سائرٌ إلَّا أن يجيء رأيٌ هو أمثلُ من هذا.

ثم جمع وجوهَ أصحاب رسول الله ﷺ وأرسلَ إلى عليٍّ، وكان استَخلَفَهُ على المدينة، فأتاه، وإلى طَلْحَةَ وكان على المُقَدِّمة فرجعَ إليه، وإلى الزُّبير وعبد الرحمن وكانا على المَجنَبتَين فحضرا، ثم استشارهم؛ فأجمعوا على أن يبعثَ رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ ويُقيم، ويرميه بالجنود، فإن كان الذي يشتهي فهو الفتح، وإلَّا أعادَ رجلًا، وبعث آخر، ففي ذلك غَيظُ العدوِّ.

فجمع عمر الناس وقال لهم: إنِّي كنتُ عزمتُ على المَسير حتى صرفني ذَوو الرأي منكم، وقد رأيتُ أن أُقيمَ

وأبعثَ رجلًا، فأشيروا عليَّ برجلٍ، فأشاروا عليه بسعد بن أبي وَقَّاص، فوافقَ مشورتَهم وولَّاه إمرةَ الجيشِ الذاهبِ إلى العراق.

وهذه أمثلةٌ وليست استقصاءً؛ لأنَّ ذلك ممَّا لا يمكن الإحاطةُ به..

وما أحسنَ قولَ بشَّار:

إذا بلغَ الرأيُ المشورةَ فاستَعِنْ برأيِ نَصِيحٍ أو نَصيحةِ حازمِ
ولا تجعَلِ الشُّورى عليكَ غَضاضةً فإنَّ الخَوافي قُوَّةٌ للقَوادمِ
وما خَيرُ كَفٍّ أمسَكَ الغُلُّ أُختَها وما خَيرُ سَيفٍ لم يُؤيَّدْ بِقائمِ؟!

وقد أولَى العربُ المستشارَ أهميَّةً كبيرةً، ولعلَّ أبا الفَتحِ البُسْتيَّ عبَّر عن بعض الصِّفات التي ينبغي توفُّرها فيمَن يُراد استشارتُه، ومَن هو مُؤهَّلٌ لهذه المُهِمَّة الصَّعبة:

لا تَستَشِرْ غيرَ نَدْبٍ حازمٍ يَقِظٍ قدِ استَوى فيهِ إسرارٌ وإعلانُ
فللتَّدابِيرِ فُرسانٌ إذا رَكَضوا فيها أبرُّوا كما للحَربِ فُرسانُ
وللأُمورِ مَواقِيتٌ مُقدَّرةٌ وكلُّ أَمرٍ لهُ حَدٌّ ومِيزانُ



أهميَّة الشُّورى[1]

أشادَ الإسلامُ بالشُّورى، ورغَّبَ فيها، وبيَّن ما لها من أثرٍ فعَّالٍ في تقويةِ دعائم المجتمع، وثُبوتِ أركانِه؛ ففي القرآن الكريم: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عِمرَان: ١٥٩]، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشّورىٰ: ٣٨].

وقال الشاعر:

إذا بَلَغَ الرأيُ المشُورةَ فاستَعِنْ   برأيِ نَصيحٍ أو نَصِيحَةِ حازمِ
ولا تجعَلِ الشُّورى عليكَ غَضاضَةً   فإنَّ الخَوافي قُوَّةٌ للقَوادمِ

وقد كان من عادة العُقلاء في كلِّ أمَّةٍ وجيل، وفي كلِّ عصر وحِينٍ استشارةُ ذوي العقول النيِّرةِ والتفكيرِ السَّليم، واستشفافُ ما يَعتَمِلُ في نفوسِ الآخرين، ومُقارنةُ الرأيِ بالرأيِ والحُجَّةِ بالحُجَّة؛ محاولةً في الوصول إلى الحقيقةِ في وَضَحِ النَّهار؛ لتزولَ السُّحُب الكثيفةُ والحُجُب المُغطِّيةُ للحقِّ.

وقد كان من سَجايا العربِ في إسلامهم وجاهليَّتهم

(١) نُشرت في "اليمامة" العدد (٤١٥) في ٢١/ ٤/ ١٣٨٣هـ.

التشاورُ لاستجلاءِ ما تنطوي عليه جوانحُ العُقلاء وذوي النُّهى من توجيهاتٍ سَديدَة، وقد يلتَبِسُ على المرءِ أشياءُ لا يميِّزُ فيها الحقَّ من الباطل، أو لا يَنكَشِف له حادثٌ في ملابساتِه وظُروفِه؛ فلا مَندُوحَةَ له عن الشُّورى والاستعانة بآراء الثِّقات وتجارِبهم.

ومن الخيرِ للمسلمين ألَّا يُغفِلوا هذه الناحيةَ الخطيرة، وأن يَضعوا نُصْبَ أعينهم ما في الشُّورى من خيراتٍ وفوائد، ولا سيَّما مَشورةُ أهل العلم والدِّين، والمعروفين بالاتِّزان ورجاحةِ العقلِ والنُّصح المحض، وذوي الشَّوكة المُقَدَّمين في قومهم، ولا سيَّما في جِسام الأمور وكبارِها.

إنَّ تطبيقَ مَبدأ الشورى هو سببٌ لتجنيب الأمَّةِ كثيرًا من المشكلات، والسيرَ في طرقٍ غير مأمونة العاقبة قد تؤدِّي إلى شرٍّ مستطيرٍ وخطرٍ عظيم.

إنَّ هذا المبدأ الإسلاميَّ لولا ما فيه من مصالح وسعادة للأمَّةِ لم يأتِ به الإسلامُ، ولم يأخُذ به عقلاءُ العالم قاطبةً، ولم يُنكر ما للشُّورى من أهميَّة بالغةٍ إلَّا مكابرٌ للواقع، ومغالطٌ في الحقيقة نفسَه.

فهل آن لنا أن نُدرك ما للشُّورى من عاقبةٍ حسنةٍ وأثرٍ

محمودٍ وخيرٍ كثيرٍ؟!

إنَّ المسلمين لو نهجوا الشُّورى، وتركوا الإصرارَ على الرأي الخاطئ، واستعانوا بمشورةِ الآخرين المؤهَّلين لذلك - لكان حَرِيًّا بهم أن يتجنَّبوا كثيرًا من المخاطر والكوارث، وأن يسيروا على طريقٍ لاحبٍ، وسُنَّةٍ قويمةٍ، ولوفَّروا جهودًا عظيمةً كانت تذهبُ عبثًا وتضيعُ سُدًى.

فما أعظمَ الشورى، وأكبرَ أثرَها، وأعمَّ نفعَها!



هذا الرجل العظيم[1]

الحاج أحمدو بللو رئيس حكومة شمالي نيجيريا رجلٌ نادرٌ في هذا العصر، وقليلٌ جدًّا من يماثله في أعماله الجبَّارة لخدمة الإسلام ونشرِه في أصقاع الأرض من ذوي السُّلطة في هذا الوقت، ويُدهِشُك ما يقوم به من جهودٍ عظيمةٍ في هذا السَّبيل رغمَ العَقَباتِ الصَّعبة والمشكلات الكثيرة، وتألُّب الاستعمار والصَّليبيِّين والصَّهاينة على الإسلام والمسلمين.

لقد قرأتُ خِطاب أحمدو بللو الذي ألقاه في (الرابطة الإسلاميَّة)، ونشرته بعضُ الصُّحفِ المحلية فازددتُّ إعجابًا به، وإكبارًا لأعماله؛ لقد قال: ومن جهودي أنا شخصيًّا فقد نذرتُ نفسي للإسلام، وضحَّيت بما أملكُ في هذا السَّبيلِ؛ ولعلَّه يسرُّكم أن تعلموا - إخواني الأعزَّاء - بأنَّني استطعتُ بحمد الله إدخال ستِّين ألفًا في دين الإسلام في مدَّة خمسة أشهر من يونيو **١٩٦٣** إلى مارس **١٩٦٤**،

(١) نُشرت في "البلاد" العدد (١٦٠١) في ١/ ١/ ١٣٨٤هـ.

وقبل هذا النجاح العظيم في سبيل الإسلام وفَّقني الله ﷻ إلى بناء مساجدَ عديدةٍ في أماكن رئيسيَّة بقدر ما وَسِعَني، وهذه المساجدُ كانت منبعًا كبيرًا للدَّعوةِ إلى الإسلام.

وزيادةً على ذلك فحكومةُ شمالي نيجيريا التي أرأسُها اتَّخذت من الترتيبات ما يكفُل تدريسَ الدِّين الإسلاميِّ في جميع المدارس الحكوميَّة، وقد أتاحت الحكومةُ انتشار مليون نسخةٍ من القرآن الكريم في كلِّ ناحية من نواحي الإقليم الشَّمالي، كما أنشأنا قسمًا لتدريس اللغة العربيَّة في (جامعة أحمدو بللو).

ويذكر أحمدو بللو ما تبذُله البُلدان المسيحيَّة للمبشِّرين النصارى من الأموال الطائلة، وما تَتَعرَّضُ له بلادُه من إغراء (إسرائيلَ) بمساعدتها، إلا أنَّه رفضَ رَفضًا قاطعًا، وفضَّل أن تبقى بلادُه مُتخلِّفةً على أن تأخذَ المساعداتِ الإسرائيليَّة؛ لأنَّه مسلمٌ، وهو مع ذلك يأمُل أن تقومَ البلاد الإسلاميَّة بمساعدة بلاده.

هكذا يُبرهِن أحمدو بللو - بإيمانه القوي، وعقيدته الإسلاميَّة، وتصميمه - على السَّير في نشر الإسلام، والصمودِ في وجه المتاعب.

إنَّ هذا الرجلَ غريبٌ في زمنه، ويَجدُرُ بالرؤساء والعلماء وذوي السُّلطة الاقتداءُ به في جهوده وإخلاصه وغَيرَتِهِ على نصر الإسلام.

إنَّ الأمَّةَ الإسلاميَّة في أمسِّ الحاجة إلى رجالٍ أمثال أحمدو بللو، وإذا ما قارنَّا بين موقفه وموقف بعض الزعماء في العالم العربيِّ والإسلاميِّ وجدنا البَونَ الشاسعَ والفَرقَ الهائل؛ إنَّ بعضَ أولئك الزعماء ينأَون عن ذِكر الإسلام - إلَّا في المناسبات القليلة - ويُنادون ليلًا ونهارًا بشعاراتٍ دَخيلة، ونُعَراتٍ تفرِّقُ ولا تجمِّع وتُشتِّتُ ولا تُوحِّد، ويخبِطون خَبطَ عَشواءَ بين الشرق والغرب واليمين والشمال، ويصمُّون آذانَهم عن الإسلام، ويسترون عيونَهم عن رؤيته.

إنَّ أحمدو بللو بطلٌ من أفذاذ الرجال، ويجبُ تكريمُه والإشادةُ به ومؤازرتُه.

وإنَّ هذه البلاد - وهي أملُ المسلمين في شتَّى أقطارهم - لجديرةٌ أن تكونَ السبَّاقةَ إلى هذا الشرفِ العظيم.

إنَّني أطلبُ من (وزارة المعارف) أن تدرِّسَ ترجمةَ أحمدو بللو في مدارسها كجزءٍ من تعريف النشء بأبطالِ

الإسلامِ وعظمائِه، وليكون حافزًا للعمل على نهجه.

إنَّ الشُّيوعيِّين والمسيحيِّين يُشيدون بمن يبذل جهدًا في نشر عقائدهم، والمسلمون أولى أن يقوموا بذلك، وأن يكرِّموا أمثال أحمدو بللو ويُعَرِّفوا الشبابَ بزعيم كهذا أمثالُهُ قليلون.



البطلُ المسلمُ أحمدو بللو[1]

وجاءت أنباءُ نيجيريا المفجِعة تحملُ بين طيَّاتها وحشيَّة الغدر، وخطَّة الخيانة، وولوغَ الأشرار في دماء النفوس المؤمنة، ومع فَداحةِ الخَطب وشناعته واتِّجاهه إلى ناحيةٍ معيَّنَةٍ تحاولُ القضاء على الإسلام ورجاله في هذا البلد، الذي قام أحدُ زعمائه العِظام أحمدو بللو رئيس وزراء الإقليم الشمالي النيجيري بالدَّعوة إلى الإسلام؛ فأقبَلت الألوفُ المُتعَطِّشة إلى صَفاء الإسلام وسلامتِه وإشراقِه، تَنبِذُ الوثنيَّة والدِّياناتِ المُحَّرفةَ والمنسوخة، وتُهرَعُ إلى الإسلام لتتفيَّأ في ظلالِه الوارفةِ الهَناءَ والسَّعادةَ.

ودوَّى اسمُ أحمدو بللو، وأصبحَ له وَقعٌ عجيبٌ وصدًى هائل في كلِّ البلاد، فَسُرَّ به المؤمنون والمسلمون، وغِيظَ به المشركون والصَّليبيُّون والشُّيوعيُّون والصهاينة، وأضحى هدفًا لكلِّ أعداء الإسلام في هذا

(١) نُشرت في جريدة "البلاد" العدد (٢١٢٤) في ١٣/ ١٠/ ١٣٨٥هـ، ثم نُشرت في كتاب "الشهيد أحمدو بللو" الذي أصدرته (رابطة العالم الإسلامي) بمكةَ عام ١٣٨٥هـ.

العصر؛ يريدون القضاءَ عليه حتى يُوقفوا مدَّ التيَّار الإسلاميِّ حسَب تصوُّرهم الخاطئ.

إنَّ الأخبارَ التي وردت من نيجيريا تُشيرُ إلى أنَّ أحمدو بللو كان الهدفَ الرئيسَ من هذا التمرُّد، وأنَّ خُطَّةً بعيدةَ المدى قد وُضِعت لتطويق الإسلام وتفتيته.

ومن الغريب أن يلتقيَ أعداءُ الإسلام الرئيسيُّون في هذا الوقت ويتواطَؤوا على حرب الإسلام، مُتناسِين ما بينهم من خِصام وعَداءٍ وليسَت هذه المؤامرة جديدة، والمُتتبِّعُ للأحداث الجارية يُدرك أنَّ ذلك التخطيطَ كان مرسومًا لمحاربة الإسلام في كلِّ مكانٍ؛ في فلسطين، وفي قُبْرص، وكَشمِير، وجنوب السُّودان، والعراق، وفي الجزائر، والجنوب، وفي زَنْجِبَار، والقِرم، والتُّركستان، وألبانيا؛ ممَّا يعطي أكبرَ برهانٍ على مدى الاتِّفاق بينَ أعداء الإسلام على مقاومته بكلِّ وسيلةٍ، ومهما اختلفوا وتبايَنت أفكارُهم وعقائدُهم وأهدافُهم فإنَّهم يَلتقون في هذا الطريق.

وقد كان واضحًا للعِيانِ أنَّ نيجيريا كانت تُحاك لها المؤامرات الشريرة؛ ومنذ عام كنتُ كتبت كلمةً في

"النَّدوة" العدد (١٨١٧) في ١٧/ ٩/ ٨٤ بعنوان (نيجيريا ومؤامرات الاستعمار) قلت فيها: «وما يجري الآن في نيجيريا يظهر أنَّ هناك خُطَطًا استعماريَّة صليبيَّة مزدوِجَة، تعملُ لتقويض دعائم الدولة النيجيريَّة التي انتشر فيها الإسلام بسرعةٍ مُذهلةٍ، وصارت مَعقِلًا للإسلام في إفريقيا».

وقلتُ عن المسلمين وعلى الأخصِّ زعماؤهم: «إنَّه يجبُ ألَّا يُغمضوا عيونَهم عمَّا يجري الآن في نيجيريا، وما يمكن أن تُعقِبَه المؤامراتُ الاستعماريَّة التي تَنشَط حاليًّا في نيجيريا، وإلَّا فسوف يأتيها دورُها في المؤامرات الاستعماريَّة عاجلًا أم آجلًا».

وبعد مُضيِّ عام ينكشف الغطاء تمامًا ويصعبُ العلاج في نيجيريا، وعسى أن يكون فِيما حدثَ مُعتَبَرٌ، وأن يُبادر المسلمون، ولا سيَّما علماؤهم وقادتُهم إلى العمل الجادِّ لما فيه نَصر الإسلام وتعاون المسلمين، وأخذ الحذر والحيطة؛ تنفيذًا لأمر الله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفَال: ٦٠] وأمثالها.

إنَّ أعداءَ الإسلام سوف يبوؤن بالخسارةِ والفَشَل، وسوف ينتشرُ الإسلامُ مهما وضعوا في طريقه من

العَراقيل؛ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الصَّف: ٨]، وواجبُ المسلمين أن يعملوا بجدٍّ ونشاطٍ لإعزاز الدِّين والجهاد في سبيل الله، وردِّ كيدِ الكائدين.

ولنتذكَّر قولَ أحمدو بللو نفسه: «إنَّ المسلمين لا يستقيمُ لهم حالٌ، ولا يقوم لهم مجدٌ إلَّا إذا جمعتهم أخوَّةُ الإسلام، وبغير ذلك سيظلُّون مَغلوبين على أمرهم، ويتحكَّمُ فيهم أعداءُ الله جميعًا».

إنَّ أحمدو بللو أحدُ أبطال الإسلام الذين ذهبوا في سبيل الله، والذي هو إن شاء الله مع الشهداء الأبرار، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝١٦٩﴾ [آل عِمرَان: ١٦٩].

وقد كان أحمدو بللو عظيمًا ونادرًا، ومن الرجال الذين يُعدُّون مَفخرةً لأمَّتهم وبلادهم، وكان يبذل في سبيل العقيدة الدِّينيَّةِ، ونشرِ الإسلام كلَّ شيء.

وقد سبق أن كتبت كلمة في جريدة البلاد العدد (١٦٠١) في ١/ ١/ ٨٤ عن أحمدو بللو بعنوان (هذا الرجل العظيم)، وإنِّي أكرِّرُ اقتراحًا قُلته فيها وهذا نَصُّه: «إنَّني

أطلبُ من (وزارة المعارف) أن تُدرِّسَ ترجمة أحمدو بللو في المدارس كجزءٍ من تعريف النشء بأبطال الإسلام وعظمائه، وليكون حافزًا للعمل على نهجِه.

إنَّ الشُّيوعيِّين والمسيحيِّين يُشيدون بمن يَبذُل جهدًا في نشر عقائدهم، والمسلمون أولى أن يقوموا بذلك، وأن يكرِّموا أحمدو بللو، ويعرِّفوا الشباب بزعيمٍ كهذا، أمثالُه قليلون».

رحم الله أحمدو بللو، وأسبغَ عليه شآبيبَ رحمتِه ورضوانِه، وأسكنَه فسيحَ جِنانه، ووفَّق المسلمين إلى أن يدركوا الأخطاءَ المحيطة بهم، وأن يعملوا لتجنُّبها ومقاومتها قبلَ فَواتِ الأوان، وأن يشُدَّ بعضُهم أَزْرَ بعض متعاوِنينَ على البرِّ والتَّقوى، إنَّه سميعٌ مُجيب.



النَّهضة المنشودة[1]

نغمةٌ تُردَّدُ على الشِّفاه، وتنطلقُ بها الألسُن، وترجع صَداها الصِّحافةُ والأنديةُ؛ تلكم هي (النهضة) التي ينشُدها الجميعُ وإن اختلفوا في مدلولِ كلمتها، هناك إجماعٌ على الرغبة في النهوض والرقيِّ، ولكن ما نوعُ هذا الرقيِّ وما مِيزةُ هذا التطوُّر؟ هنا تختلفُ الآراء وتتبايَنُ وجهاتُ النَّظر (وكلٌّ يغنِّي على لَيلاه).

إنَّ بعضًا من هؤلاءِ المنادين بالنَّهضة والتطوُّرِ ينأَى بمفهوم الكلمتين عن الهدف منه، ويشتطُّ في مَرامِيه، وقد يكون من هؤلاءِ بعضُ من تثقَّفوا ثقافةً أجنبيَّة، وعاشوا رَدَحًا من الزمن في أوطانٍ ومجتمعاتٍ تختلف كليًّا عن مجتمعنا، وبيئاتٍ سادَ فيها الانحلالُ والتفكُّك، وقد أَلِفَ تلك المناظرَ والعاداتِ الفاسداتِ حتى صارت لديه شيئًا مفضَّلًا ورمزًا للتطوُّرِ والحريَّة، ومثل هؤلاءِ كمَن يلتقط النِّفايات والفَضَلات في أوعيةٍ بَرَّاقة.

---

(١) "اليمامة" العدد (٣٥٢) في ٢٨/ ٦/ ١٣٨٢هـ.

وهناك فئاتٌ كثيرةٌ من المواطنين الواعين تنظرُ للتطوُّرِ والنهضة نظرةً مُمَحِّصَة؛ فتريد أن تأخذَ منها ما فيه صلاحُ ونفعُ المجتمع، وما يتَّفق ومُثُل الأمَّةِ وآدابها وعقيدتها؛ فهي تريد أن تكون قويَّةً ناهضةً صناعيًّا وزراعيًّا واقتصاديًّا وعسكريًّا وثقافيًّا، وأن تأخذ ما لا يتنافى والخيرَ والصلاحَ دونَ ما فيه فسادٌ أو يجرُّ إلى المساوئ والرذائل.

ونحن - بحمد الله - لدينا دينٌ قَويمٌ وكتابٌ شاملٌ وتراثٌ حافل، وشريعتُنا سَمْحَةٌ واسعةٌ تدعو للعلمِ والقوَّةِ والإيثار، وما علينا إلَّا أن نقتبِسَ من أنوارها، ونستمدَّ من مَعينها، علمًا بأنَّ من الإصلاحات الكثيرة ما ليس مَوضِعَ جَدَلٍ أو اختلاف؛ مثلًا: تطوُّر الطُّرُق والزِّراعة والصِّناعة، وهي من أهمِّ المشكلات التي تواجِهُ البلادَ وتقفُ عَقَبَةً كَأدَاء في طريق رُقيِّها.

فإذا ما أردنا النهضةَ الصحيحةَ فعلينا أن نُبادِرَ بالعمل المثمِر لتذليل العقباتِ صفًّا واحدًا دونَ تشتيتٍ للجهود، وبَعثَرةٍ للقُوى.

ومَثَلٌ آخر الأموال التي يُبَعثِرُها البعضُ يمينًا وشمالًا بلا حساب، فقد آنَ الأوانُ لحفظها وصَرفها في مصارفها

المعقولةِ لخير الأمَّة وازدهار البلاد، والأموالُ التي يكتنِزُها ويَشُحُّ بها آخرون، فقد آن لها أن ترى النورَ.

إنَّ المُخلِصين يَنشُدون نهضةً قويَّةً مبنيَّةً على أُسُسٍ سليمة، متمشِّيةً مع آمال الأمَّةِ وتاريخها وأمجادها بلا تهُّورٍ أو خمول.

أمَّا النهضة التي تبتدئ من حيثُ انتهى الناس، وتأخذُ النِّفاياتِ ممَّا يُدعى (حضارة) وهو الزائف من الحضارة، وأمَّا النهضةُ التي لا تفرِّق بين الصالح والطالح والنافع والضارِّ - فتلك وبَالٌ وشرٌّ مُستطيرٌ، وأمَّا التجارِبُ غير مأمونةِ العاقبة فمن الخير أن نكونَ إزاءها حذِرينَ بلا اندفاع أو عدم تفكيرٍ في العواقب.

وعسى أن يوفِّق الله الأمَّة حكومةً وشعبًا، أفرادًا وجماعة إلى الخير والنجاح وتحقيق الآمال الكريمةِ السامية.



سلامة موسى عدوُّ العرب والمسلمين[1]

لعلَّ من المؤلم جدًّا أن تنشرَ بعضُ الصُّحفِ المحليَّةِ إطراءً لسَلامَةَ موسى وأمثاله من الحاقدين على الإسلام والعرب، ولستُ أدري هل الحاملُ لأولئك المادِحين جَهلٌ بحال الرجل وتاريخه العَدَائيِّ للمسلمين، أم أنَّ الأمرَ كما جاء في المثل: (الطيورُ على أشباهِها تقَع)؟! ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [البَقَرَة: ١١٨].

وإن كنت أميلُ إلى أنَّ الجهلَ هو في الغالبِ الحاملُ على إضفاء هالاتٍ من التعظيم والثناء على سلامة موسى وكتبه الإلحاديَّة.

ونسي هؤلاءِ الكاتبون أو تجاهلوا حقيقةَ سلامة موسى وأهدافَه، وما قالَه في كتبه ولا سيَّما في كتابه "اليوم والغد"؛ يقول في هذا الكتاب: «والهمُّ الكبيرُ الذي يشغَلُ بالَ (السير ولكس) بل يُقلِقُهُ هو هذه اللغة التي نكتبُها ولا نتكلَّمُها؛ فهو يرغبُ في أن نهجرَها، ونعودَ إلى لُغتنا

(١) "صحيفة الدعوة" العدد (١٥٣) في ٢٣/ ٢/ ١٣٨٨هـ.

العاميَّة، فنؤلِّف فيها وندوِّن بها آدابنا وعلومنا».

هكذا يُحاربُ سلامةُ موسى اللغة العربيَّةَ ويُضمِر لها العَداء.

ويقول في كتابه المذكور: «ينبغي ألَّا يُغرس في أذهانِ المصري أنَّه شرقيٌّ؛ فإنَّه لا يلبثُ أن ينشأ على احترام الشرق، وكراهةِ الغرب، وينمو في كبرياءٍ شرقيٍّ، ويحسُّ بكرامةٍ لا يطيقُ أن يجرحَها أحدُ الغربيِّين بكلمةٍ، الرابطةُ الشرقيَّة سَخافةٌ، والرابطةُ الدِّينيَّة وقاحةٌ، والرابطةُ الحقيقيَّةُ هي رابطتنا بأوربَّا».

على هذا النحو يبغِضُ سلامة موسى الإسلامَ، ويحاولُ هدمَه من أساسه، ويرمي اللغة العربيَّة بالبُهتان، ويدَّعي أنَّها لا تُلائم العصر، ولا تَفي بمتطلَّباته، ويهوِّلُ صعوبتها، ويُسهِّلُ العامِّيَّة بدلًا منها، ويرى أنَّ الرابطةَ الدِّينيَّةَ وقاحةٌ، والرابطةَ الحقيقيَّةَ هي الرابطةُ مع أوربَّا!

إنَّ سلامة موسى عميلٌ للاستعمار الغربيِّ، وعدوٌّ للإسلام والعرب، وقد حملَ مَعاوِل الهدم يَبغي هدمَ اللغة العربيَّة والدِّين الإسلاميِّ، ولم يدَّخِر وسعًا في الوصول إلى غرضه السيِّئ، وهذا معلومٌ لكلِّ من عَرَفَ تاريخَه الأسود.

ومن المؤسف أن يجهرَ كاتبٌ في بلدِ الإسلام وأرضِ الحرمَينِ الشريفَين وعلى صفَحات صُحفها بالتمجيدِ لعدوِّ العرب والمسلمين سلامة موسى، ويعدُّه مناضلًا ومفكِّرًا وعبقريًّا، ويبالغ في مدحِه والإطراءِ له؛ كما صنعَ كاتبٌ في صحيفةٍ محليَّةٍ منذ أيَّام، وكما دَأبَ كُويتِبٌ مغرورٌ في كَيلِ المديح له وإطراء عبقريَّته ومواهبه!

فهل يريد هؤلاء الكتَّاب وأشباه الكُتَّاب أن يحتذيَ الآخرون حَذوَ سلامة موسى في أفكاره وآرائه؟! ذلك هو التفسيرُ المنطقيُّ للتنويه به، وإضفاء الألقاب الرنَّانة عليه.

وتذكيرًا للقرَّاء وتنبيهًا لطالبي الحقيقة والراغبين في معرفة طريق الصَّواب أحببنا أن نُوردَ هذا الإيضاحَ والتنبيه[١].



(١) كتبَ سلامة موسى في "جريدة النداء" العدد الصادر في شهر ذي القعدة سنة ١٣٦٨هـ مقالًا بعنوان (الرجعيَّة تتحدَّى الزمن) جاء فيه:
ونحن نقرأ هذه الأيام عن حركات يُراد منها تقييدُ التعليم في الجامعة، وبعثُ التعليم الدينيِّ في المدارس على الرغم ممَّا سيُحدِثه من خلاف وشِجار بين المسلمين والأقباط!

حول الصِّحافة[1]

معروفٌ أنَّ الصِّحافة سلاحٌ ذو حدَّين، وأنَّها كما يمكن استعمالها للتوجيه والإفادة فقد تُستعمل في الشرِّ والهدم، وبلادُنا - بحمد الله - هي مركزُ الإشعاع ومنارُ الإسلام، ومنها ارتفعَت رايةُ التوحيد، وشعَّ نورُ الإيمان ليضيء للعالم أجمع وليبصِّره بالهداية والصِّراط المستقيم.

وإنَّ الدَّعوة إلى تكاتف المسلمين وتضامُنهم تستدعي أن تكونَ وسائلُ الإعلام مُعرِبةً عن آمال الأمَّةِ الإسلاميَّة وآلامها في هذا السَّبيل العظيم، وهذا الشأنِ الخطير، ومن هذه الوسائل: الصِّحافة؛ لتكون داعيةَ خيرٍ ووسيلةً إلى غايةٍ نبيلة.

وذلك ما يقتضي - بَداهةً - أن تكون الصِّحافةُ في أيدٍ أمينةٍ على تراث الأمَّة وأمجادها، مُتزوِّدةٍ بالمعرفة، راغبةٍ في الإصلاح، تسيرُ على بصيرةٍ من أمرها، مُستهديةً بشريعة الله، تنافحُ عن العقيدة بكلِّ إخلاصٍ، لا تكتب

---

(١) نُشرت في "مجلة المنهل" المجلد (٢٧) لشهر ربيع الثاني ١٣٨٦هـ.

للمجاملة أو السَّير مع الرِّيح حيث تسير، وإن رأت أنَّ مصلحتها الذاتيَّة في دعوة الخير دَعَت، وإن رأت أنَّ مصلحتَها في تحبيذِ النقيض هُرِعَت إليه.

ولا تلك الأقلام التي إن سَمِعت نداءَ الحقِّ أُصيبت بالخَرَسِ والبَكَم وانزوَت تعملُ في الظلام للتخريب والتضليل، وإذا رأت فرصةً مُواتِيةً أسرعَت تتملَّق؛ ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [الأحزاب: ١٩]، ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤].

الصِّحافة أمانةٌ ومسؤوليَّةٌ عظيمةٌ، ومن الواجب ألَّا تُوكلَ هذه الأمانة إلَّا لمن يُوثق فيه ومَن يُوجِّه إلى الخير، أمَّا المُخرِّبون ومن عُرفوا باتجاهاتِهم الضارَّة، وكلماتِهم المسمومة فيجبُ تطهير الصِّحافة منهم حتى تسلَم الأمَّةُ من سمومهم التي ينفِثونها، وأفكارهم التي يشوِّشون بها، وحتى لا يقعَ الشبابُ فريسةً لأهوائهم ونزَغاتِهم، وليكن لنا في تجارِب البُلدان المجاورة درسٌ نستفيد منه قبل أن يُصيبنا ما أصابهم.

وإنَّ حكومةَ هذه البلاد - وهي الحريصةُ على

معتقدات الأمَّةِ وسلامتها وطُمأنينتِها واستقرارها - قد عملت الكثيرَ لهذه الغاية السامية، وننتظر منها أن تبادرَ لتنقيةِ الصِّحافة في هذه البلاد ممَّا عَلِقَ بها من أشياءَ هي بَوادر لم تصل إلى حدِّ الاستفحال أو الدَّاءِ العَيَاء، وذلك قبل أن ترسُخَ جذورُها، وتبلغَ أهدافَها، والحكومةُ إذ تفعل إنَّما تؤدِّي واجبًا يمليه عليها دينُها وأمانتُها وحرصُها على نزاهةِ الصِّحافة ورُقيِّها.

وكلمةٌ أخيرةٌ هي إيضاحٌ لما سلف: هل الصِّحافة تؤدِّي دورَها كما يجب؟ وخاصَّة نحو الدَّعوة الإسلاميَّة الخَيِّرة، ونحو التعاون والالتقاءِ بين المسلمين؟!

إنَّ بعضَ الصُّحف ساهمت مساهمةً مشكورة، ولكن بعضها تتعمَّد إغفالَ هذا الأمر أو تتجاهله إلَّا لِمامًا، بل إنَّ بعض الصُّحف هنا كأنَّها لا تصدر من بلاد فيها الكعبة، ومنها بُعث الرسول ﷺ، وخرج المجاهدون في سبيل الله ينشرون الحقَّ، ويدعون إلى توحيد الله، وبلاد لا ترضى بغير حكم الله وكتابه بديلًا، ولا لغير شِرعته منهجًا.

وهذا البعض من الصُّحفِ إذا ما قُورن بين ما تكتبُه عن الإسلام وعلمائه، وما تملأ به صفحاتها من أخبار

المغنِّين والملحِّنين، أو عن الرياضة وُجِدَ أنَّ ما تكتبه عن الإسلام يكاد لا يُذكر بجانب ذلك، وهذه ظاهرةٌ تستدعي العلاجَ السريعَ الحاسمَ قبل أن يصبح الدَّاءُ مُزمنًا.

إنَّ هذه الكلمة قد تكون مُرَّةً وقاسيةً على بعض النفوس، ولكنَّ قولَها كانت تُمليه دوافعُ أقوى، دوافع تنبعُ من الرغبةِ في الإصلاح، وأن يكون بناءُ الأمَّة قويًّا متماسكًا، لا يُترك للعبث أو التحطيم.





أتاتورك ومُعَلِّق التلفزيون[1]

بمناسبةِ زيارةِ شخصيَّةٍ تركيَّةٍ كبيرةٍ إلى المملكة علَّقَ أحدُ المذيعين في التلفزيون فأشاد بمصطفى كمال أتاتورك وقال عنه: إنَّه بحقٍّ أبو تركيَّا الحديثة، وخَلعَ عليه من الألقاب والمديح ما أراد.

ولستُ أعرفُ ما هي الدوافع لمثل هذا المسلك الذي سلكه المُعَلِّقُ الوافدُ من وراء البحار! ليشيد بمصطفى كمال أتاتورك في الوقت الذي تقوم هذه الشخصية التركية بزيارة للبلاد ومليكها، سعيًا وراء تصحيح أخطاء أتاتورك، وما ورَّطَ فيه المسلمين من خروجٍ على نصوص القرآن وجنوحٍ نحو العلمانيَّةِ الإلحاديَّةِ، ومحاربة اللغة العربيَّة والأخلاق الإسلاميَّة.

وفي وقتٍ ترتفعُ فيه الدَّعوة إلى التضامن الإسلاميِّ؛ لأنَّه الطريقُ السليم المؤدِّي إلى خير النتائج وإنَّ كثُرُ الصُّراخ ضدَّهُ، وأعْوَلَ الملحدون والجاهلون بخطره وأرجفوا ونعتوه بالنُّعوت الباطلة.

---

(١) "صحيفة الدَّعوة" العدد (١٥٣) في ٢٣/ ٢/ ١٣٨٨هـ.

أقولُ: ما زلتُ في حَيْرةٍ من أمر ذلك المُعَلِّق، والاستياء يملأ نفسي من وقتها إلى يومنا لذلك الموقف المنكَر.

وقد اعتزمتُ الكتابة في الموضوع منذ ذلك الحين، ولكن المشاغل والنِّسيانَ وبعض العوامل والعوائق حالَت دونَ هذا المَطلَب، وقد تذكَّرتُ الآن هذه الحادثة، وكنتُ أتصفَّحُ كتابًا للأستاذ الفاضل محمود محمد شاكر بعنوان "أباطيل وأسمار"، ورأيته يكتب عن مصطفى كمال أتاتورك في كتابه هذا ما يحسُن الاطِّلاعُ عليه، والتنبُّه للنِّقاط التي تناولها، وهو يؤكِّد ما يعرفه علماء المسلمين في هذا العصر عن أتاتورك ومساعيهِ لهدم الدِّين واللغة العربيَّة.

يقولُ محمود شاكر الأديب الشهير في معرِض نقاشه للمؤرِّخ توينبي (ص١٨٨):

«ومصطفى كمال أتاتورك الذي زعمَ توينبي أنَّه قَدَّمَ للشعب التركي خدمةً كُبرى وللعالم الإسلاميِّ، بمحاولته حلَّ مسألة الاستغراب باتِّخاذه الأفكار الغربيَّة دونَ تحفُّظ، ومن بينها القوميَّة قد أساء إلى الشعب التركيِّ غايةَ الإساءة؛ لأنَّه عاقَ سيرَ التاريخ، ودمَّرَ بُنيانَ الماضي، وجعلَه رُكامًا على الطريق يسدُّهُ، وأنزل بالعالم الإسلاميِّ

نكبةً كُبرى بفِقدانه عضوًا من أعضائه الذين حملوا العِبءَ قرونًا متطاولةً بلا تَمَلمُل بل بصبرٍ وقوَّةٍ ودماءٍ تسيل، ولو كان مصطفى عاقلًا مُدركًا لما ينبغي أن يفعل، لما حاول ما حاول من تدمير اللغة التركيَّة، وتدمير العقيدة التي ينتمي إليها التُّرك، وإنشاء شيءٍ يُقال له: القوميَّة التركيَّة.

كان سيرُ التاريخ يقتضيه أن يحوِّلَ الشَّعبَ التركيَّ مرَّةً واحدةً إلى إتمام العمل الذي تمَّ نِصفُه، وهو جعل اللغة التركيَّة المُتعرِّبة لغةً عربيَّةً خالصةً، وجزءًا لا يتجزَّأ من القوميَّةِ العربيَّةِ التي لا قوامَ لها إلَّا بالإسلام، والذي ينتمي إليه التركيُّ بنفس القَدرِ الذي به إليه ينتمي العربي.

وأيضًا، فالذي فعلَه مصطفى كمال لم تَكسِب به تركيا شيئًا، بل فقدَت ماضيَها، وهدَّدت مستقبلها، وشلَّت حاضرَها، وصارت كأنَّها تائِهٌ مُتحيِّرٌ في باديةٍ يُطَوِّقُها سرابٌ من آمالٍ لا يمكن أن يتحقَّقَ، وتوينبي نفسُه يعرف هذا...».

وهذا كلامٌ واضحٌ لا يحتاجُ إلى تعليق، وإن كان في حاجةٍ إلى وعيٍ وإدراك.



التلفزيون[١]

هذا الابتكارُ العجيبُ، والاختراعُ المُدهِشُ الذي يجتذِبُ المشاهدين ويؤثِّرُ في نفسيَّات الرَّائِين بما يعرضُه، وما يقدِّمُه من صورٍ وأفكار، وما يبثُّه من أخبار.

هو كغيره من الأدوات القابلة للضدَّين والمشتمل على النقيضَين؛ إمَّا أن يعرضَ الحسنَ والنافعَ فيكون ذا فائدةٍ ومُتعةٍ؛ عندما يقدِّمُ الأحاديثَ الدينيَّةَ والتوجيهاتِ الإسلاميَّةَ والندَوات الأدبيَّةَ والعلميَّة، وعندما تُبَثُّ منه الإرشاداتُ التعليميَّة، والإفادات المنزليَّة والتربويَّة فيكون وسيلةَ نفع.

وإمَّا أن يكونَ مستغلًّا لعرضِ الصورِ الخليعةِ، أو الأفكار المخرِّبة، أو الصُّدود عن ثقافة الإسلام وحضارته ورجاله، فإنَّه حينئذٍ يكون وبَالًا وبَلاء.

وما دام الحديثُ عن التلفزيون فإنَّ لي ملاحظاتٍ هي على الأصحِّ مَدارُ حديث الكثيرين وتعليقاتهم:

---

(١) "المنهل" شهر ربيع الأوَّل ١٣٨٦هـ.

١- الأحاديثُ الدِّينيَّةُ والندوات العلميَّةُ والأدبيَّةُ قليلةٌ إذا قِيسَت بما يُعرض في التلفزيون هنا من أغانٍ وأفلام بعيدةِ الصِّلة عن تاريخ الأمَّةِ وأمجادها وحضارتها، والإرشاداتُ التربويَّة والمنزليَّة قليلةٌ والحاجةُ ماسَّةٌ إلى الإكثار منها.

٢- الأفلامُ البوليسيَّة وأفلامُ الجرائم ضررُها أكثرُ من نفعها، ومع أنَّ بعضَ النَّاس يدَّعي أنَّ بها فائدةً؛ لأنَّها تكافحُ الجرائم وتعلِّمُ طُرق التوَقِّي منها إلَّا أنَّ كثيرًا من البُلدان قد لقِيَت من ذلك الكثيرَ من المتاعب، ممَّا جعلها تجأرُ بالشكوى مناديةً بإبعادِ هذه الأفلام، وعدم عرضِها لما أحدثَته من نتائجَ عكسيَّة.

٣- الندواتُ الأدبيَّة والأحاديثُ مع المسؤولين التي يبثُّها التلفزيون هنا، كثيرٌ منها يدورُ فيها الحوارُ والمناقشةُ باللغة العاميَّةِ، ولستُ أعرف لماذا لا تكون المحاورةُ باللغة العربيَّة؟!

ولستُ أريدُ أن يكون باللغة العربيَّة التي لا يفهمُها إلَّا المثقفون، ولكنِّي أدعو إلى أن يكون البحثُ والنِّقاشُ باللغة العربيَّةِ الواضحةِ، وبالأسلوبِ السهل.

فاللغةُ العربيَّة هي وسيلةُ التَّفاهم مع كلِّ العربِ، أمَّا الاستمرارُ في استعمال العاميَّةِ حتى في الندوات الثقافيَّة والأدبيَّة بين رجالِ العلم والأدبِ وحَمَلةِ الشَّهادات العالية، فأمرٌ يدعو للاستغراب والاستدراك، فإذا كانت اللغةُ العربيَّة قد شُنَّت عليها حملات الصَّليبيِّين وغيرهم ممَّن يريدون طمسَها، ويُحاربها من لا يعبأ بالدِّين من بعضِ تلاميذهم، فإنَّ واجبَ الحفاظِ عليها ونشرِها وتقويةِ أواصرها شيءٌ مهمٌّ جدًّا، وتُحَتِّمُهُ اعتباراتٌ كثيرة.

وإنِّي آمُلُ أن تجد هذه الملاحظة إصغاءً واستجابةً من ذوي الغَيرة والإصلاح وروَّاد العلم والمعرفة.



وهذه الأفلام![1]

ما جدوى أفلام المصارعة والملاكمة التي يَعرِضُها التلفزيون على النَّاس في هذا البلاد، وكأنَّها ضَرْبَةُ لازبٍ يُكره النَّاس عليها استكراهًا، وتُفرَض عليهم بالرغم من معارضتِهم لها - كما عَبَّر أحدُ الكُتَّابِ - وما الذي يستفيدُه الأطفالُ والمراهقون والكبارُ أيضًا من مشاهدتِهم لهذه الوحشيَّة القذرة؟!

وماذا يمكنُ أن تعكِسَه في نفوسهم من آثار سيِّئة أقلُّها: إضعافُ وازِع الرحمة في النفوس، وقلبُ الحقائق والمفاهيم حين تُسمَّى الوحشيَّةُ بطولةً، والقَسوةُ رجولةً، والعُدوانُ شجاعةً؟! أيُّ فخرٍ لفَقءِ عين الملاكم، ومشاهدة النَّاس الدماءَ تسيل منها، وليس له ذنبٌ ولا جَرِيرَة، ثم ينال المعتدي ألقابَ البطولة والجوائزَ المُغرية؟!

ولا يقلُّ عن هذه المشاهد لعبةُ (مصارعة الثِّيران) التي تتمثَّلُ فيها العقليَّةُ الماديَّةُ المُتحجِّرة لعصرٍ طغَت فيه

---

(١) نُشرت في "صحيفة الدَّعوة" العدد (١٥٢) في ٢٣/ ٢/ ١٣٨٨هـ.

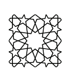
المادَّةُ، واستُبيح في سبيل الحصول عليها كلُّ شيء.

فلماذا يُقتل الثَّور على تلك الصِّفة الهمجيَّةِ؟ وكيف يُعَرِّضُ الإنسانُ نفسَه لثورٍ هائجٍ يفتِكُ به؟ ويغرسُ قرونَه في جسمه ليمزِّقه إرْبًا، ويدوسَه بأظلافه انتقامًا من طعَناته المميتة؟! ولماذا تُعرَضُ هذه المناظر المزعِجَة في التلفزيون هنا ويُواظَب على عرضها!؟

إنَّني أتصوَّرُ التلفزيون وُجِدَ لغايات أنبلَ من هذا وأنفَع، وفي القضايا الإسلاميَّة والعربيَّة وإلقاء الأضواء عليها، والتعريف بواقع البُلدان واستعراض التاريخ الإسلاميِّ المُشرق، ونشر المعارف والعلوم، كلُّ أولئك ممَّا ينبغي أن يُوليَه المشرفون على وسائل الإعلام والعاملون فيها عنايتَهم، وألَّا يحوِّلوا هذه الوسائلَ إلى النشر الضارِّ وما لا يُفيد عاجلًا وآجلًا.

وإنَّني أطالبُ مع الكثير، بل مع الأغلبيَّة الساحقة من هذا الشعب بمنع هذه الأفلام التي تُعَلِّمُ الوحشيَّة والقسوَة وأن يختارَ ما يكون فيه الفائدة والمنفعة.



هذه الإذاعات ما دَورُها؟[1] 

الذي يستمعُ إلى بعض الإذاعات العربيَّة يستولي عليه الذهول، وتتملَّكه الدهشةُ من موقف هذه الإذاعات التي لا تزال سادرةً في إلهاءِ الجماهير، وصرفِ أنظارها عن الخطر المُحدِق بها.

هذه الإذاعاتُ التي تَصدِم الأسماعَ بالزفير والشَّهيق والنَّحيبِ والتأوُّهات والأغاني الخليعةِ المصحوبةِ بالتثنِّيات، وكأنَّ الحياةَ هي الغَرامُ والهُيَام، وضربُ المواعيد المشبوهة واللِّقاءات المرتابة! وكأنَّ الأخطارَ لا وجودَ لها، والأعداءَ قد زَهِدوا في مطامعهم وتنازَلوا عن احتلالهم، وكلَّ شيءٍ على ما يُرام؛ فليس هناك ما يشغَلُ الأذهان من متطلَّبات؛ فانصرف النَّاس إلى اللهو السادِر والترفيهِ البريء! وكأنَّ الحياةَ لهوٌ ولَعِبٌ لا جِدَّ فيها ولا حزمَ نحتاجُه!

وليس غرضي أن أُسمِّيَ إذاعاتٍ مُعيَّنة؛ لئلَّا يقال: إنَّ

---

(١) نُشرت في "الجزيرة" العدد (١٦٢) في ١٦/ ٥/ ١٣٨٧هـ.

هذا تحاملٌ على جهةٍ من الجهات، ولا أريدُ أن أصدرَ حكمًا على إذاعة من الإذاعات، فذلك متروكٌ للسَّامعين الذين يعرفون ما هي الإذاعة المُجِيدة والإذاعةُ غير المُجيدة، وما هي الإذاعة الجَادَّة وما هي الإذاعةُ الهازلة وقتَ الجِدِّ؟

ربَّما يقول قائل: ولكنَّ الحياةَ ليست جِدًّا كلُّها ولا بدَّ للمرء من راحةٍ واستِجمام!

ونقولُ: إنَّ هذا الكلام غير مُستساغ؛ أوَّلًا: لأنَّنا في ظروفٍ عَصيبةٍ جادَّة، الأمر يتطلَّبُ منَّا أن يكون وقتُنا كلُّه جِدًّا لا أثرَ فيه للهَزلِ والخُمُول؛ فالعدوُّ قد احتلَّ المسجدَ الأقصى، وألحقَ هزيمةً شنيعةً بالعربِ يُمالئه أعداء الإسلام ويؤازرونه، فنحن إذًا أمامَ عدوٍّ محتلٍّ يجبُ بذل كلِّ جُهدٍ، وتعبئةُ كلِّ طاقةٍ، وإنارةُ كلِّ فكرةٍ؛ للسعي لإزالةِ عدوانِه وطردِ احتلاله.

ثم إنَّ العدوَّ لا يكتفي بما حصل عليه بل يريد أن يوسِّعَ دائرته، وأن يحتلَّ كلَّ بلدٍ عربيَّةٍ وإسلاميَّةٍ بل هو يأمُل السيطرةَ على العالم. وما احتلالُه الحاضر في زعمه وآماله إلَّا نواةٌ لاحتلالٍ واسعٍ جدًّا يفوقُ كلَّ تصوُّرٍ؛

فالعربُ إذًا في حالةٍ تستدعي الوقوفَ صفًّا واحدًا مع كلِّ المسلمين في أنحاء الأرض؛ لطردِ العدوِّ وكبح جِماحِه وإلحاقِ الهزيمةِ به، واستعادةِ الأمَّة العربيَّة والإسلاميَّة كرامتَها.

أمَّا من يدَّعي أنَّ التسليةَ مهمَّة، ويشغل الأذهانَ ويملأ الإذاعاتِ برخيصِ القولِ ومُبتَذَلِ الغناء وترديدِ المائع ممَّا يسمُّونه طربًا، فذلك منطقٌ معكوسٌ، وإساءةٌ بالغةٌ إلى الأمَّةِ، وتثبيطٌ لعزيمتها، وصَرفٌ لها عن أهدافِها وطموحِها؛ فالعربُ والمسلمون في حاجةٍ إلى التوعيةِ وإلى التنبيهِ على الأخطار المُحدِقة بهم، وإلى أخذ الحذر واليَقَظَة التامَّةِ حتَّى لا يُفاجئوا بهجوم العدوِّ وهم عنه غافلون، ولا يَركَنوا للاستكانةِ والغفلةِ لئلَّا يندموا حين لا ينفعُ الندمُ.

وليس الدافعُ لهذا الكلام التشاؤمَ أو النظرَ للأشياء بمنظارٍ أسودَ كما يقولون، ولكنَّه الواقع الذي يفرِضُ نفسَه، ومن يتغافَلُ عنه فهو كمَن يُنكر الشمسَ في رائعةِ النهار.

أرأيتَ لو أنَّ إنسانًا أبصرَ شخصًا يكادُ يهوي في حفرةٍ

بسبب ضَعفِ بَصَرِه - مثلًا - فهل من اللائق أن يحدِّثَه عن الطقسِ الجميلِ أم أن يصرُخَ فيه: احذَر من السُّقوطِ في الحُفرة؟!

ولو رأى امرؤٌ رجلًا قد أقبلَت نحوَه أفعى - وبالمناسبة فقد جاء في (الإنجيل) وصفُ اليهودِ بأولادِ الأفاعي - فهل من المعقول أن يدعُوه إلى حفلةٍ مليئةٍ بما لذَّ وطابَ؟! أم يصيحُ فيه: الأفعى وصلتكَ! انتبه؟! وماذا يُقالُ لو أنَّه ناداه: على رِسلِكَ! كن مطمئنًّا! هيَّا إلى اللَّعِب!

هذه حالٌ تشابه الوضعَ الذي تسيرُ عليه بعضُ الإذاعات العربيَّةِ، وإشغالَها السامعين بالتوافِه، والابتعادَ بهم عن رُوح الجِديَّةِ والحَزم.

فعسى أن تستيقظَ تلك الإذاعات من غفوَتها وتغيِّرَ من نهجها؛ لكي تكونَ على مستوى الأحداث ولتكون أداةَ إصلاحٍ ونهوض.



المجتمع المثاليُّ(١)

وُجِدَ المرءُ في هذه الدُّنيا لغاياتٍ نبيلةٍ، ووهبَه الله عمرًا محدودًا قد يكون ساعاتٍ أو أيَّامًا أو سنين، وهذا العمرُ مهما امتدَّ فهو في نهايته كحُلِم أو قيلولةٍ في ظلِّ درجة، حياةٌ إن لانَ ملمسُها أو خَشُنَ عيشُها فهي إلى فَناء..

وكان الأجدرُ بالإنسان أن يَعِيَ وضعَه، وألَّا يضيِّع أوقاتَه فيما لا يُجدي، الحياةُ مزرعةُ الآخرة؛ فمَن زرعَ حَصَد؛ ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ [فُصِّلَت: ٤٦]، وُجِدَ فيها ليعبدَ الله، ويَتَفَقَّه في الدِّين، ويعملَ الخير، ويدعوَ إلى الحقِّ ويتعاونَ مع إخوانه المسلمين على البرِّ والتَّقوى في أُخوَّةٍ صافيةٍ ومحبَّةٍ نقيَّةٍ، ويسعى لكسبِ رزقِه، وينفقَ ممَّا آتاه الله، وأن يكون لَبِنَةً قويَّةً في بناء مجتمع إسلاميٍّ متماسك، تسودُه الأُلفَةُ والرحمةُ والتعاطفُ والتكاتُف .

وقد جاء الإسلامُ بكلِّ ما يقوِّي هذه الأواصر، ويُشيِّد

---

(١) أذيعت من تلفزيونات المملكة.

هذا البناءَ في مَنَعَتِه قوَّة المسلمين وإعزاز الدِّين ودفع الشرور والمكائد.

وفي الاجتماعِ على العباداتِ وطلبِ العلمِ وأنواع الصدقات، وفي الزكاةِ والنَّفقةِ، وإجابة الدَّعوةِ، وزيارةِ المريضِ، وحقِّ الجارِ، وإمهالِ المُعسِرِ، وصِلَةِ الأقاربِ، ووضعِ الجوائح، وحبِّ المسلم لأخيه ما يحبُّ لنفسِه.

وفي التناصُح والأمر بالمعروف والنهيِ عن المنكر، والدَّعوةِ إلى الله على بصيرةٍ وتشجيع العلم وتقديم أهلِه، ومقتِ الغِيبةِ والنميمةِ والسُّخرية والبُهتان والهمزِ والظنِّ السيِّئ - ما يمكِّن لهذه الدَّعائم من الرسوخ والتماسك، وفي النَّدِب إلى البَدءِ بالسلام والحثِّ عليه، ووجوب الردِّ على المسلِّمِ بمثلِ تَسليمه أو أحسن، وتحريم هجرِ المسلم لأخيه أكثرَ من ثلاثة أيام، والترغيبِ في إفشاء السلام على من عرفتَ ومن لم تعرف - ما يجعل من المسلمين مجتمعًا مثاليًّا يتوقُ لمثله الفلاسفةُ والمصلحون، وفي هذا الحديث أبلغُ دَلالةٍ وأعظمُ دافع لتحقيق السعادة:

«والذي نفسي بيدِه لا تدخلوا الجنَّةَ حتَّى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا؛ أفلا أدلُّكم على شيءٍ إذا فعلتموه

تحابَبتُم؟ أَفشُوا السلامَ بينَكم»، وفي حديثٍ آخر: «لا يَحِلُّ لمسلمٍ أن يهجرَ أخاه فوقَ ثلاث؛ يلتقِيانِ فيُعرِضُ هذا ويُعرِضُ هذا، وخيرُهما الذي يبدأ بالسلام».

هكذا جاء الإسلامُ؛ داعيًا إلى هذه الأخلاق الساميةِ والآدابِ العاليةِ، والتي بها تُنظَّمُ حياةُ النَّاس هانئةً سعيدةً، وينالون المثوبةَ الكريمة والأجرَ العظيم؛ ففيها سعادةُ الدارَين، والنعيمُ المقيم.

ومن المؤسِفِ أنَّ بعضَ الناس يُذهِبُ أوقاتَه سُدًى، أو يصرفُها فيما لا طائلَ من ورائه، أو فيما فيه ضَرَرٌ مُحقَّقٌ.

كما أنَّ من النَّاس من يُهدِر عمرَه في الشِّقاقِ والمنازعاتِ وإيغارِ الصدور؛ فيكونُ عاملًا من عوامل الهدم والتنغيص وتكدير الحياة.

وبقدرِ ما عصى هؤلاءِ ربَّهم وخالَفوا الشريعةَ الإسلاميَّةَ السمحاءَ التي جاءت لهداية النَّاس واطمئنانهم، فإنَّهم مكروهون من الخلقِ منبوذون، ويُنظَر إليهم على أنَّهم طفيليَّات مؤذية؛ لما يسبِّبونه من فتنٍ وإيذاءٍ.

وخيرٌ لهؤلاءِ أن يرجعوا إلى الصَّواب، وأن يثُوبوا إلى رُشدهم؛ ليسهموا في عمل الخير، وتوحيد الصُّفوف واجتماع الكلمة، ونشر المحبَّة والأُلفة بين النَّاس؛ كما دعا الإسلامُ وأمرَ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المَائدة: ٥٠].





بماذا يُذَكِّرُنا العيد؟[(١)]

ما هو العيدُ؟ وما الذي يعنِيه؟

لست أريدُ أن أناقشَ الكلمةَ من ناحيةٍ لُغويةٍ أستعين فيها بالمعاجم والقواميس اللغويَّة، وأنقِّبُ في بطون الكتب عن معنى كلمة (عيد)؛ فذلك ممَّا قُتل بحثًا، أو ذُبح تكرارًا، ولكنِّي أُريدُ أن أعبِّرَ عن شعورٍ لا بدَّ أنَّه يغمرُ نفسَ الإنسان عندما تمرُّ هذه الكلمة الجميلة، أو تُشَنِّف سمعَه بجَرْسها الرنَّان ولفظِها البديع.



(١) ملحق "صحيفة الجزيرة" العدد (١٧٥/ ١٧٦) تاريخ ٢٦/ ٩/ ١٣٨٧هـ.

فرحة بلقاءِ العيدِ وغِبطَة بحلوله

والمسلمون في كلِّ ناحيةٍ من الأرض يبتهجون بالعيدَين عيد الفطر وعيد الأضحى المبارك؛ لأنَّهما عيدا أهلِ الإسلام، ولهما روعةٌ ومَسرَّةٌ؛ فلا عجب أن يأنسَ كلُّ مسلمٍ يشهدُهما، وأن تشرقَ البسماتُ وتطفحَ الوجوهُ بالبِشر.

وأحسَبُ أنَّ المسلمين كذلك سيذكرون في هذين العيدَين - وهم يُبصرون تجاوبًا في المشاعر وتضامنًا في الفرحة، وإدراكًا لأسرار عظيمةٍ وحِكَم لطيفةٍ - أنَّ هناك آمالًا مشتركة وآلامًا مُتشابهةً ينبغي أن يجعلوا من هذه الأيَّام - وما ضاهاها من أيَّام فاضلةٍ تبدو فيها صلاتُ المسلمين القويَّة وأخوَّتهم المتينة، وإن تناءت بهم الدِّيارُ، وشطَّت بهم المسافات - مناسبةً طيِّبةً للتعاون والتآزُرِ والسعي لحلِّ المشكلات، وتقويةِ الروابط بين المسلمين في شتَّى ديارهم وتفاوت أمصارهم.

وإذا كان هذا العيد يمرُّ بالمسلمين على إثر نكبةٍ

فادحةٍ وخَطبٍ جَلَل، كيف لا واليهود المعتدون قد استولَوا على المسجد الأقصى؛ ثالث الحرمَين الشريفَين، وأفضل المساجد بعدَهما، وعاثوا فيه فسادًا من قتلٍ وسلبٍ، وانتهاكٍ للحرمات، واستخفاف بالأمَّةِ الإسلاميَّةِ وكرامتها ومشاعرها!

فما أحرى المسلمين أن يتذكَّروا أنَّ الأواصِرَ التي تشدُّهم إلى بعضهم أمتنُ وأقوى من آصِرَةِ النَّسبِ والوطنِ والجنسِ. وفي ذلك حافزٌ لهم على الاستعدادِ وصدِّ العدوان.

وهم اليوم يفرحون بحلولِ العيد جميعًا أينما وُجدوا وحيثما سَكنوا، وفي نفسِ الوقت يبتئسون لما نزل بهم من قارعةٍ لا تقتصرُ على أهلِ فلسطين أو سوريا أو الأردن أو مصر، ولكنَّها كارثةٌ لكلِّ المسلمين سواء كانوا في الصِّين أو في المغرب أو في الهند أو في أميركا.

وذلك ممَّا يدعو المسلمين جميعًا إلى إدراك هذه الحقيقة التي غَفَلوا عنها وتجاهلَها بعضٌ من زعمائهم، فكان هذا من أسباب النَّكبة وعواملها.

إنَّ في العيدِ مشاعرَ متقاربةً وعبادةً متماثلة؛ وذلك ممَّا

يُنَبِّه كلَّ مسلمٍ إلى واجبه تُجَاه إخوانه المسلمين في أنحاء الأرض.

وإذا كانت صدقةُ الفطر فُرضت طُهرةً للصائم من اللَّغو والرَّفَث، وطُعمةً للمساكين؛ ليكون التضامن بين المسلمين عمليًّا بارزًا، وليصبح الجميع مظلَّلين بالعيدِ، ناعِمين في مسرَّاته - فإنَّ فيه تنبيهًا إلى الاهتمام بشؤون المسلمين، ودرءِ الخطر عنهم، وردِّ العدوان عن بلادهم.

وأن يكونوا يدًا واحدةً وصفًّا واحدًا؛ لا يقوى الأعداء على غلبتهم، ولا ينالون منهم مَنالًا، وليتبوَّؤوا مكانةً لائقةً في هذا العالم الصاخب...

بمثل هذه المعاني السامية ينبغي أن تتطلَّعَ إلى العيد، فلا تصبحُ السعادةُ محصورةً في ناحية بينما الغَفلَةُ تضرب رِواقَها على نَواحٍ كثيرةٍ، وحتى يضحي العيد شاملًا لأمَّةِ الإسلام بمدلولهِ الأرحَبِ وسعادته الوارفة.



ألعاب الفروسيَّة[١]

الرياضةُ في بلادنا مَقصورةٌ على لُعبة الكُرةِ وبعض ألعاب مشابهة؛ ويظنُّ البعضُ أنَّ هذه هي الرياضةُ وحدَها، وينسى أو يتناسى أنَّ الرياضةَ التي ينبغي أن تُكرَّسَ لها الجهودُ شيءٌ آخر يختلف عن هذه اللُّعب، ويفوقُها نفعًا وأثرًا، بل ربَّما كانت النسبةُ بينهما معدومةً.

أين ألعابُ الفروسيَّة؛ من الرِّمايةِ وركوبِ الخيلِ والسِّباقِ والمصارعة؟!

في البُلدان الأخرى يجعلون التدريبَ العسكريَّ إجباريًّا؛ وينشأ الشبابُ قويًّا يُحسِنُ الرِّماية، ويَقدِرُ على الدِّفاع عن بلاده إذا داهَمها خطرٌ، ويذودُ عن حياضِه إن ناله مكروهٌ من عدوٍّ، ولدينا بالعكس؛ فالشابُ ينشأ (خاملًا) لا يُجِيدُ الرِّماية ولا يعرف الجنديَّةَ، ولا يقوى على الذَّودِ عن بلاده، وردِّ العدوِّ عن أمَّته.

---

(١) أُذيعت من إذاعة الرياض ليلة الأربعاء ٣٠/ ٣/ ١٣٨٥هـ، (حديث السَّهرة).

وغنيٌّ عن القول أنَّ الدِّينَ الإسلاميَّ جاء بالترغيب في تعلُّمِ الرمي والحثِّ عليه وإعداد القوَّة؛ ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وفي الحديث: «مَن تعلَّم الرَّميَ ثم جَهِلَهُ فليس منَّا»؛ رواه مسلم، وفي حديثٍ آخرَ: «ألا إنَّ القوَّةَ الرمي، ألا إنَّ القوَّة الرمي، ألا إنَّ القوَّة الرمي»؛ رواه مسلم.

وركوبُ الخيل الذي كان مِيزَةَ العرب وعنوانَهم قد تركوه زاهدِين، في الوقت الذي يُعنى الغربيُّون بهذه الرياضة الجميلة، ويدرِّبون أبناءهم على تعلُّمها، ويعتنون بالخيل ويقتنون أجاوِدَها، ويتباهَون بذلك ويفخرون!

وقد جاء الإسلام مرغِّبًا في ركوب الخيل واقتنائها والعناية بها؛ ففي "سنن أبي داود" و"النَّسائي" من حديث أبي وهب الجُشَمِيِّ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ارتَبِطوا الخيلَ، وامسَحوا بنواصِيها وأكفالِها وقلِّدُوها، ولا تقلِّدُوها الأوْتَارَ».

وفي الصحيحين عن أنس؛ قال: كان رسولُ الله ﷺ أحسنَ النَّاس وأجودَ النَّاس وأشجعَ النَّاس، ولقد فَزِعَ أهلُ المدينةِ ليلةً، فركبَ فرسًا لأبي طَلْحَةَ عُرْيًا، فخرجَ النَّاس

فإذا هم برسول الله ﷺ قد سبقَهم إلى الصَّوتِ، قد استبرأ الخبر، وهو يقول: «لن تُرَاعُوا»، وقال النبيُّ ﷺ: «إنَّا وجدَناه بَحْرًا»؛ قال ثابت: فما سُبِق ذلك الفرسُ بعد ذلك وكان فَرَسًا يُبَطَّأ.

وفي حديثٍ آخر: «الخيلُ معقودٌ في نَواصِيها الخيرُ إلى يوم القيامةِ الأجرُ والمَغْنَمُ»، وروى النَّسائيُّ في "سننه" عن أنس؛ قال: لم يكن شيءٌ أحبَّ إلى رسول الله ﷺ بعدَ النِّساء من الخيل.

وفي "الصحيح" من حديث ابن عِمران أنَّ النبيَّ ﷺ سابَقَ بين الخيلِ؛ فأرسلَ التي ضُمِّرَت من الحَفْيَاءِ إلى ثَنِيَّةِ الوَدَاع، والتي لم تُضَمَّرْ من ثَنِيَّةِ الوَداع إلى مسجدِ بني زُرَيْق، وبين الحَفْياءِ إلى ثَنِيَّةِ الوَداع ستَّة أميال أو سبعة، ومن ثَنِيَّةِ الوَداع إلى مسجد بني زُرَيْقٍ مِيل.

وفي "مسند الإمام أحمد" و"سنن أبي داود" من حديث عائشة؛ قالت: سابَقني النبيُّ ﷺ فسبَقتُه، فلبِثنا حتَّى إذا أرهقَني اللَّحم سابقَني فسبَقَني؛ فقال: «هذه بتِلك».

وفي "صحيح مسلم" عن سَلَمَةَ بنِ الأَكْوَع؛ قال: بينما نحن نَسيرُ، وكان رجلٌ من الأنصار لا يُسبَقُ أبدًا،

فجعل يقول: ألا مُسابِقٌ إلى المدينة! هل مِن مُسَابقٍ؟ فقلت: أما تُكرِمُ كريمًا وتهابُ شريفًا؟ قال: لا؛ إلَّا أن يكونَ رسولَ الله ﷺ، قال: قلتُ: يا رسولَ الله بأبي أنت وأمِّي ذَرني أُسابقُ الرجلَ! فقال: «إن شئتَ»، فسبقتُه إلى المدينة.

وروى أبو الشَّيخ الأصبهانيُّ عن عبد الله بن الحارث؛ قال: صارعَ النبيُّ ﷺ أبا رُكَانَةَ في الجاهليَّةِ وكان شديدًا، فقال: شاةٌ بشاةٍ، فصرعَه النبيُّ ﷺ، فقال أبو رُكَانَةَ: عاوِدني في أخرى، فصرعَه النبيُّ ﷺ، فقال: عاوِدني أخرى، فصرعه النبيُّ ﷺ، فقال أبو رُكَانَة: ماذا أقولُ لأهلي؟ شاةٌ أكلَها الذِّئب، وشاةٌ نَشَزَت، فما أقولُ للثالثةِ؟! فقال النبيُّ ﷺ: «ما كنَّا لنجمعَ عليكَ أن نصرعَكَ ونُغْرِمَكَ؛ خُذ غَنَمَك».

بمثل هذه الألعاب الرِّياضيَّة الفروسيَّة جاء الإسلامُ داعيًا للأخذِ بوسائل القوَّةِ، وهكذا فَهِمَ السَّلف وطَبَّقوا، وعندما تخلَّفَ المسلمون كان من ضمن ما جَهِلوا - أو تركوا - الفروسيَّة، وبذلك تخلَّوا عن أحدِ مصادر قوَّتهم وكرامَتِهم.

وما أحرى أهلَ هذه البلاد أن يكونوا قدوةً في هذه الأشياء، وفي كلِّ مجالٍ نافعٍ! ولقد سُرِرتُ عندما سمِعتُ أنَّ هناك عزمًا على إنشاء نادٍ للفروسيَّة بالرياض، وابتهجتُ لهذا الخبر، فعسى أن يكون اسمًا على مُسمًّى، وأن يؤدِّيَ واجبَه في هذا المِضمارِ.

فهل نراه قريبًا؟! نرجو أن يكونَ ذلك.



التدريب العسكريُّ ضرورة مُلحَّة[1]

إنَّ الواجبَ يتطلَّبُ منا أن ندافع عن ديننا وعقيدتنا وحُرماتنا وأوطاننا ضدَّ المعتدين والمجرمين.

وإذا كان الأمنُ الشاملُ قد جعلَ من التدريب في السنين الماضية شيئًا لا تدعو له الحاجة فإنَّنا في هذه الظروف التي يَكِيدُ فيها الطغاةُ لبلادنا، ويدبِّرون المؤامرات ويكررون الاعتداءات مدعوون للتجنيد وللتدريب.

إنَّنا نطالبُ أن يُفتحَ بابُ التدريب العسكري بأقصى سرعةٍ، وأن يُهيأ الشعب في هذه الجزيرة المترامية الأطراف لحمل السلاح وإجادة الضرب بالمِدفَع والبندقيَّة وقيادة الدبَّابة المدرَّعة.

إنَّ الوقتَ لا يسمحُ لنا بالتأخُّرِ عن هذا الواجب أو التهاون به، إنَّنا بين أمرين لا ثالثَ لهما؛ إمَّا أن نعملَ بما يمليه الواجبُ الديني والإباء العربي وهو التَّأهُّبُ للضرب،

(١) نُشرت في "البلاد" العدد (١٢٠٣) في ١٣/ ٨/ ١٣٨٢هـ.

حتى إذا دعا الداعي لبينا مُسرعين مُزوَّدين بالعلم والقوَّةِ. وهذا هو المعقولُ، وهو ما جاء به ديننا ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]؛ فلْنُعِدَّ القوَّةَ ولنكن أقوياء «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ من المؤمن الضعيفِ» وإمَّا أن تتقاعسَ عن هذا الواجب المُحَتَّمِ وحينئذٍ نتحمَّلُ المسؤوليَّة الجَسيمة لما قد ينشأ نتيجة لهذا التخلُّفِ.

إنَّنا يجب أن نعملَ وفق ما يمليه ديننا وضميرنا.. وألا نظلَّ في ضَعْفٍ وخَورٍ، بينما أعداؤنا يتربَّصون بنا الدوائر، ويستعدُّون لتدميرنا والسيطرة على وطننا وفرض سيادتهم الدكتاتورية على بلادنا وإشعال الفتن والقلاقل.

إنَّه لا يصحُّ أبدًا أن نقفَ متفرِّجين في هذه الظروف القاسية ليس لنا إلَّا دور المتفرِّج، وإن جاوزَ الأمر فبالكلامِ فقط، وإنَّه لا يعقل أن نلقي تبعة حمل السلاح على الجيش وحده؛ لأننا جميعًا مجنَّدون للدفاع عن ديننا وبلادنا بكلِّ ما نملك وما نقدر عليه وندركه.

وإن قصَّرنا في ذلك فقد انطبق علينا قولٌ قديمٌ: (اقعد فإنَّك أنتَ الطاعمُ الكاسي) ولن نرضى بهذه المذلَّة، ولا يمكن أن نستكينَ كما يفعلُ العاجزُ الواهن.

إنَّ الدول الأخرى قد أدركتُ أهميَّةَ التدريب العسكري فجندَت الشَّعبَ كلَّهُ، وفرضت التجنيدَ الإجباريَّ ليكونَ الجميعُ على استعدادٍ للقيامِ بالواجبِ إذا انتُهِكت الحُرُمَات أو اعتدى باغٍ أثيم، ونحن أولى أن نطبِّقَ هذا التجنيد في بلادنا، وأن نأخذَ من الماضي درسًا ونحاولَ استدراك ما فات قبل أن تفوتَ الفرصةُ ولا ينفعَ الندم.



علّة تحريم لحم الخنزير[1]

قرأتُ ما كتبه الأخُ الأستاذُ عطيَّة محمَّد سالم في "صحيفة القسم" العدد (٨) بعنوان: (الإسلام والطب الحديث)؛ وهو بحثٌ قيِّم، وفكرةٌ جميلة، وقد أحببتُ المشاركةَ في البحث.

وذلك أنَّ العِبارة التالية التي كتبَها الأستاذُ تحتاجُ إلى إيضاحٍ وإتمام؛ وإليكَ العِبارة المُشار إليها، يقول الأستاذُ: وقد حُرِّمَ لحمُ الخنزيرِ لعللٍ أخرى قد شاهَدنا آثارَ بعضِها في كلِّ مَن استحلَّهُ وتعاطاه آكلًا؛ أمَّا العللُ الأخرى فمنها: أنَّهُ قد وقع العِقابُ على قوم فمُسِخوا قِردةً وخنازير؛ وعلى هذه كيف تَطيبُ نفسُ الإنسان أن يأكلَ مَن كان معه في جنسه؟!

أمَّا العلَّةُ الكبرى التي ظهرَت آثارُها فهي أنَّه قد ثبتَ عند علماء الحيوان أنَّ جميعَ أنواعه مُشبَعٌ بالغَيرَةِ الجنسيَّةِ وقوى الرابطة بين أزواجه إذا تآلفا، وهذا مشاهَدٌ فيما بين

(١) نُشرت في "القصيم" العدد (١٠) في ٥/ ٨/ ١٣٧٩هـ.

أيدينا من الحيوانات والطيور المُستأنَسة، وما هو معلومٌ عند الكثير عن الحيوانات المتوحِّشة باختصاصِ كلِّ ذَكَرٍ بأُنثاه، وربَّما وقعَت مُهارَشاتٌ بينهم إذا حاول بعضُ أفرادها الاعتداءَ على أليفةِ غيرِه ما عدا هذا الحيوانَ الخسيس؛ فإنَّه لا يُبالي بهذه الغريزة، ولا يُمانعُ أو يُدافعُ دونَ أُنثاه؛ ولهذا قال بعضُ العلماء: إنَّ تناولَ لحمه يؤثِّرُ على هذا الإحساس النبيل، ويُضعِفُ ذلك الشُّعورَ السامي؛ فيصبحُ صاحبُه إزاءَ محارمه كهذا الحيوان إزاء أُنثاه!!

ولا غرابةَ في ذلك؛ فربَّما أثبتَ علمُ التغذية شيئًا من ذلك، ويُرِيدُ الأستاذُ الفاضل أن يُثبتَ هاتَين العلَّتين لتحريم أكل الخنزير، وهذا غرضٌ رفيعٌ إلَّا أنَّ التعليل الأوَّلَ يحتاجُ إلى إيضاحٍ؛ فقد يخطرُ ببالِ بعض النَّاسِ أنَّ القِرَدةَ والخنازيرَ الموجودةَ الآن من نسل تلك الحيوانات الممسوخة، وهذا الظنُّ كثيرًا ما توهَّمَهُ العامَّةُ وهو غلطٌ؛ قال أبو حيَّان في "البحر المُحيط": «وجمهورُ المفسِّرين على أنَّ الذين مسخَهم الله لم يأكُلوا ولم يشربوا ولم ينسِلوا بل ماتوا جميعًا، وأنَّهم لم يعيشوا أكثرَ من ثلاثة أيَّام»، وفي "صحيح مسلم" عن ابن مسعودٍ أنَّ رسولَ الله

ﷺ قال لمن سألَه عن القِرَدة والخنازير؛ أهي ممَّا مُسِخ؟ فقال: «إنَّ الله لم يُهلِكَ قومًا - أو لم يمسَخ قومًا - فيجعل لهم نسلًا، وإنَّ القِرَدة والخنازير كانوا قبل ذلك».

وروى أبو داود الطَّيالِسيُّ في "مسنده" وأحمد عن ابن مَسعود؛ قال: سألنا رسولَ الله ﷺ عن القِرَدة والخنازير؛ أهي من نَسلِ اليهود؟ فقال: «لا؛ إنَّ اللهَ لم يلعَن قومًا قطُّ فيمسَخَهم فكان لهم نسلٌ، ولكنَّ هذا خَلق كان، فلمَّا غَضِبَ الله على اليهودِ فمسخَهم جعلَهم مثلَهم».

وقال الضحَّاكُ عن ابن عبَّاسٍ؛ يقول: إذ لا يحيَون في الأرضِ إلَّا ثلاثةَ أيَّام. قال: ولم يَعِش مِسْخٌ قطُّ فوقَ ثلاثة أيَّام، ولم يأكُل ولم يشرَب ولم يَنسِل، وقد خلقَ الله القِرَدَةَ والخنازيرَ وسائرَ الخلق في الستَّةِ الأيَّامِ التي ذكرَها الله في كتابه، فمَسَخَ هؤلاءِ في صورةِ القِرَدَةِ، وكذلك يفعلُ الله بمن يَشاءُ كما يشاء ويحوِّلَهُ كما يشاءُ.

انظر: "تفسير ابن كثير".

وقال المُناويُّ في كتابه "فيض القدير شرح الجامع الصغير" (٢/ ٢٥٤) في شرح حديث «إنَّ الله لم يجعَل لمِسْخٍ نَسْلًا ولا عَقِبًا»: وقد كانت القِرَدةُ والخنازيرُ قبلَ

ذلك... يعني: فليس هؤلاءِ القِرَدةُ والخنازيرُ من أعقَاب من مُسِخ من بني إسرائيل، كما توهَّمه بعضُ النَّاس؛ ثم استظهرَ على دَفعِه بقوله: وقد كانت القِرَدةُ والخنازيرُ قبلَ ذلك؛ أي: قبل مَسْخِ من مُسِخَ من الإسرائيليِّين، فأنَّى لكم في أنَّ هذه القِرَدةَ والخنازيرَ الموجودةَ الآن من نَسْلِ الممسوخ؟! هذا رَجمٌ بالغَيبِ... قال السُّهيلي: وفي الحديث ردٌّ على ما زعمَه ابنُ قُتَيْبَةَ أنَّ قولَه تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠] يدلُّ على أنَّ القِرَدةَ والخنازيرَ من نَسلِ أولئك الذين مُسخوا.

قال ابنُ العربيُّ رحمه الله تعالى: قول (الممسوخُ لا ينسِل) دعوى، وهذا أمرٌ لا يُعلم بالعقل وإنَّما طريقُ معرفته الشَّرع، وليس في ذلك أثرٌ يُعَوَّلُ عليه. انتهى. وهو غُفُولٌ عُجَاب، مع ثُبوته في أصحِّ كتاب! ثم رأيتُ الحافظَ الزَّينَ العِرَاقيَّ قال: قال ابنُ العربيُّ: «قولهم (الممسوخُ لا ينسِل) دعوى» غَلَطٌ منه مع ثبوته في "مسلم". اهـ.

فظهر أنَّ ما ذهبَ إليه القاضي أبو بكر بن العربي من أنَّ الممسوخين قد عاشوا، وأنَّ القِرَدة والخنازير الموجودةَ من نسلهم - غيرُ صحيح؛ للأدلَّةِ الثابتةِ في ذلك.

وهذه الناحيةُ أحببنا التنبيهَ عليها لوقوع كثيرين في الخطأ؛ حيثُ يَظنُّون أنَّ القِرَدةَ والخنازيرَ الموجودةَ هي من نسل الممسوخين، وفيها إتمامٌ للبحثِ الذي ذكرَه الأستاذُ عَطيَّة.

أمَّا التعليلُ الثاني الذي ذكره الأستاذُ وهو: أنَّ الخِنزيرَ من بين سائر الحيوانات والطُّيور لا غَيرَةَ عندَه على أُنثاه. فهو تعليلٌ جيِّدٌ، إلَّا أنَّه يحتاجُ إلى التَّيقُّن من صِحَّة وقوعه؛ فإنَّ هذه أخبارٌ، وحبَّذا أن يتفضَّلَ الأستاذُ فيُفيدَنا عمَّن قال ذلك، أو مَن الذي شَهِدَه، وليكون الأمرُ يقينًا.

وقد ذُكر في "حياةِ الحيوان" خلافُ ما قاله الأستاذ، أو هكذا يتبادرُ منه؛ فقد ذكر الدَّمِيريُّ في "حياة الحيوان" (٣٠٣/١) في الخِنزير البَريِّ ما يلي: وهو يشتركُ بين البهيميَّةِ والسَّبُعيَّةِ؛ فالذي فيه من السَّبُعِ: النَّابُ وأكلُ الجِيَفِ، والذي فيه من البهيميَّةِ: الظِّلْفُ وأكلُ العُشبِ والعَلَف، وهذا النوع يُوصَف بالشَّبَقِ.. والذَّكَرُ من هذا النوع يطردُ الذكور عن الإناث، وربَّما قتلَ أحدُهما صاحبَه، وربَّما هلكا جميعًا.

كما أنَّ صاحب "حياة الحيوان" يذكر أيضًا - عن

الخِنزير أنَّه يأكل الحيَّات أكلًا ذريعًا ولا يؤثِّرُ فيه سمومُها، فمن الممكن إذًا أن يُضاف إلى التعليلات التي ذكرَها الدكتور سعيد رباح والأستاذ عطية هاتان العلَّتان؛ وهما: أنَّه موصوفٌ بالشَبَق، وأنَّه يأكل الحيَّات؛ فقد يتأثَّر آكلُه بالسُّموم أو يُصاب بالشَّبَق.

فما رأيُ الأستاذ عطيَّة وما رأي الأطبَّاء المحترمين؟!



لماذا نُحاربُ الاشتراكيَّة؟[١]

نعم لماذا نحارب الاشتراكيَّة؟ وما هو سببُ الخِصام بيننا وبينها؟

سؤالٌ يحتاج إلى الإجابة عليه وإن كان الجوابُ معروفًا سَلفًا.

إنَّ الذين يصرخون في شراسةٍ بأنَّ الاشتراكيَّةَ (البُلشفيَّة) هي الطريقُ السويُّ للعرب، وأنَّها هي التي تستطيع أن تخلِّصهم من الفقر والمساوئ الأخرى، هؤلاءِ الصائحون يزعمون - إفكًا - أنَّ مَن يعادي الاشتراكيَّة فهو إقطاعيٌّ رأسماليٌّ رجعيٌّ، وهو إمَّا عميلٌ خائنٌ أو إقطاعيٌّ جائرٌ... إلى آخر الهَذَيان المحموم الذي يُلقونه جُزافًا.

وتناسى هؤلاءِ أنَّ الكثيرين من مناوئي ما يسمُّونه بالاشتراكيَّة الديمقراطيَّة التِّيتويَّة ليسوا من أيِّ صِنفٍ من تلك الأصناف، ولكنَّ الافتراءَ والطُّغيان هو الذي يحملُهم على مزاعمهم الباطلة.

(١) نُشرت في "اليمامة" العدد (٣٢٠) في ٤/ ١١/ ١٣٨١هـ.

ونحن عندما هاجَمنا الاشتراكيَّة وقُلنا: إنَّها شيوعيَّةٌ مقنَّعةٌ، وإنَّ التسمية لا تغيِّر الحقيقةَ، لم نكن إقطاعيِّين أو رأسماليِّين أو رجعيِّين، ولكن الدِّعاياتِ المضلِّلةَ تُلصِق بالنَّاس أشياء، وتلقِّبهم بألقاب تنفيرًا وحقدًا.

والذي تجاهلَه الظالمون أنَّنا حاربنا الاشتراكيَّةَ لأنَّها والإسلامَ على طَرَفَي نقيض؛ ذلك أنَّ الاشتراكيَّةَ المستوردةَ من يوغسلافيا وموسكو والدُّول الأخرى المسمَّاة بالدول الاشتراكيَّة إنَّما قامَت على أشلاءِ الدِّين وأنقاض الإيمان، وهي الكفرُ الصُّراح؛ لأنَّها مؤسَّسة على الإلحاد ونبذ الأديان.

لهذا حارَبناها ولهذا فقط أعلنَّاها كلمةً مُدوِّيةً أنَّ: هذه الاشتراكيَّةَ باطلٌ يجب أن يزولَ، ورِجسٌ يجبُ أن يُمحى، ومن هذه الجزيرة التي هي مأرِزُ الدِّين ومركز الهداية انطلقَت السِّهامُ، ونطقَت الألسُنُ، وسالَت الأقلام مُعلِنةً أنَّ هذه الاشتراكيَّةَ جريمةٌ في حقِّ المسلمين والعرب أجمعين.



كيف نُقاوم الاشتراكيَّة؟[1]

إنَّ مثلَ هذا السؤال لا مَندوحةَ عنه إذا ما أردنا أن نركِّزَ الجهودَ لوقفِ التيَّار الشُّيوعيِّ الملحِد الذي يَلبَسُ ثوبَ الاشتراكيَّةِ في بعض البلاد العربيَّة، والذي تُجنِّد له تلك الحكوماتُ كلَّ طاقاتها لنشر الشُّيوعيَّة اللِّينِينِيَّة، وتصرف الأموالَ الطائلة، وتجنِّد أجهزةَ دِعايَتها من صِحافةٍ وإذاعةٍ وغيرِهما لنشرها على نطاقٍ واسعٍ، ولكي نسدَّ الثُّغرةَ التي يَلِجُ منها أعداءُ الإسلام لنشرِ مفترَياتِهم وأباطِيلهم.

أجل؛ إنَّنا لا بدَّ وأن نتساءل: كيف نُقاومُ الاشتراكيَّة؟ والجوابُ على هذا السؤال ميسورٌ نظريًّا، ولكنَّا نريدُ أن نرى الجوابَ العلميَّ المقنِعَ يسير جنبًا إلى جنبٍ مع الجواب النظري.

إنَّ الإسلامَ في غُنْيَةٍ عن أكاذيب الاشتراكيِّين وتُرَّهاتِهم، وما يزعمون من مساواةٍ وهميَّةٍ، بَيدَ أنَّها

(١) نُشرت في "اليمامة" العدد (٣٢٢) في ١٨/ ١١/ ١٣٨١هـ.

مساواةٌ في الفقر والجوعِ والاضطهادِ.

ففي الإسلام العلاجُ الحازمُ لداء الشُّيوعيَّةِ المزمِن؛ فهناك الزكاةُ المفروضةُ في أصناف المال من ذهبٍ وفضَّةٍ ومعادنَ ومَواشٍ وتجارة، وهناك النَّفقاتُ الواجبةُ للزوجِ والأقارب، وهناك الحقوقُ المفروضة في بيت المالِ للعاجزين والمنكوبِين... إلى آخره؛ لذا فنحن في حاجةٍ ماسَّةٍ إلى دراسة الإسلام دراسةً صحيحةً؛ لنستخرج كنوزَه الثمينة، ونحن في حاجةٍ أشدَّ إلى تطبيق أحكامه.

إنَّنا في أشدِّ الحاجةِ إلى دراسة الإسلام، والاهتمامِ بتحفيظ الناشئة (القرآنَ الكريم)، وتفهيمهم لمعانيه؛ حتى يكون فيه سندٌ قويٌّ، وحاجزٌ مكينٌ؛ يَدرأ الأخطار الشرِّيرةَ الإلحاديَّةَ عن التسرُّب إلى العقولِ، وتلويث الأفكار بسمومها القاتلة.

كما أنَّ من أهمِّ الوسائل في مكافحةِ أخطارِ الشُّيوعيَّة: توزيعَ الزكاة على المحتاجين توزيعًا إسلاميًّا عادلًا، وحفظَ أموال المسلمين من العبثِ، ومكافحةَ البَذَخ والإسرافِ والرِّبا والأمراضِ الاجتماعيَّة الفاتكة، كلُّ ذلك على ضوءِ الإسلام، وتعاليمِه السَّمحة العادلة.

انهيار النظام الشُّيوعي[1]

إنَّ الأحلامَ التي صوَّرها وَهمُ لينين وأحزابِه من أئمَّة الشُّيوعيَّة، وظهرَ زَيفُها وبُطلانُها ومناقضتُها للفِطرةِ والسُّننِ وطبائع الأشياء، ومُجافاتُها للمواهبِ والخِلال الإنسانيَّة، وبعدَ مرورِ ما يُقارب نصفَ قرنٍ على الثورة الشُّيوعيَّة الحمراء في روسيا، والدِّماء الغزيرة التي سُفِكَت فيها عُدوانًا وظلمًا.

ورغمَ المجازرِ الجماعيَّة الوحشيَّة ومَنَافي سيبريا، والاغتيالات السياسيَّة والسجون الرهيبة والدَّعاوى الطَّنَّانة - فإنَّ تقهقرَ الشيوعيَّة واندحارَها وفشلَها الذريعَ يزدادُ يومًا بعد يوم، وكلَّ يومٍ يظهرُ دليلٌ جديدٌ على خَطَلِ الشُّيوعيَّة ومجافاتِها للأذواقِ في تقشُّفٍ وسوءِ حال.

وتنشَط في الصِّين الدِّعايةُ والوسائل المتنوِّعة الجماعيَّة لتحديد النَّسل؛ بسبب التدهورِ الاقتصادي، وفَشَلِ المزارعِ الجماعيَّة، وتحطيم معنويَّة الفرد وإنكار جهودِه؛ ممَّا جعل

(١) نُشرت في "الندوة" العدد (١٨٢٦) في ٥/ ١٠/ ١٣٨٤هـ.

الحياةَ في ظلِّ النظام الشُّيوعيِّ جحيمًا لا يُطاقُ ولا يُحتمل.

ومن الملاحظ أنَّ كلَّ بلدٍ دعا إلى الاشتراكيَّة الشُّيوعيَّة، وأرادَ تطبيقَها فسرعانَ ما يتدهورُ اقتصاديًّا بشكلٍ فظيعٍ، وكاسترو الشُّيوعيُّ العَتيدُ في القارَّةِ الأمريكيَّة بعد أن طبَّقَ الإصلاحَ الزراعيَّ، وسلبَ الأراضيَ من مالكِيها وأعطاها للفلَّاحين - قد تبيَّن بسرعةٍ خطأه فتراجع، وأعلن أنَّ الإصلاحَ الزراعيَّ قد فَشِلَ وأنَّه رجعَ عنه.

وفي بعضِ البُلدان التي طبَّقت جزءًا من النُّظُم الشُّيوعيَّة، وإن لم تكن تريدُ السَّير في موكب الشُّيوعيَّة والإعجاب بمبادئها، وطبَّقت التأميمَ على الشركات، ونفَّذت الإصلاحَ الزراعيَّ، تراجَعت بعد أن تأكَّد لها فشلُ هذه الأعمال، وضررُها المحقَّق على الاقتصاد والنواحي الاجتماعيَّة.

وخروشوف في آخر عهدِ رئاسته في الاتِّحاد السُّوفياتي أدلى بتصريحاتٍ يُفهم منها تحبيذُه للنِّظام الاقتصاديِّ الحرِّ، بل عمل فعلًا للسَّير خطواتٍ في التقليل من توجيهات الدولة وسيطرتها على الاقتصاد، وذلك بعد جَوْلاته في البُلدان غير الشُّيوعيَّة التي تعيشُ في رخاءٍ وازدهار.

ونشرت الصُّحفُ الصادرة في ٢١/ ٩/ ٨٤ نقلًا عن جريدة "ترود" لسانِ حال نقابات العمَّال في الاتِّحاد السوفياتي «أنَّ مجلسَ الاقتصاد الأعلى قرَّر إعطاء أربعمئة مصنع الحريَّةَ في إنتاج السِّلع التي تختارها؛ وبذلك تُحرَّر هذه المصانع من التوجيه الذي كان يأتيها من الإدارة المركزيَّة، ويفرِضُ عليها أن تنتجَ السلعَ التي تختارُها الدولة.

وهذا التطوُّر هو جزءٌ من سياسة تقرَّرت في أواخر عهد خروشوف، وأعلن عنها خَلَفُه كوسجين في خطابٍ ألقاه قبل بضعة أيَّام، كما نشرت الصِّحافةُ السوفياتيَّة عدَّة مقالاتٍ تنتقدُ سياسةَ التوجيه في إنتاج السِّلع، ودعَت إلى إطلاق حريَّة المصانع لكي تختارَ إنتاجَها حسَب حاجات السُّوق والضرورات الاقتصاديَّة، لا حسَب التعليمات المركزيَّة الشُّيوعيَّة».

إنَّ هذا الدليلَ الجديدَ يعطي حقيقةً ينبغي أن يفهمَها أولئك الذين يُؤخَذون بألفاظٍ برَّاقةٍ، وخيالاتٍ موهومةٍ لا تلبَثُ بعدَ التجرِبة أن تذوبَ كملحٍ في ماء.

ومن الخيرِ لنا ونحن نرى اصطِراعَ المذاهبِ وتطاحُنَها، وعجزَها عن تحقيق الرَّخاءِ والسَّعادةِ للبشريَّة

جمعاء، ولمعتنِقِها على وجهٍ أخصَّ، أن نحمدَ الله على ما لدينا من دينٍ قويم وشريعةٍ لاحِبَة؛ تُؤمِّنُ للبشريَّة احتياجاتِها وطُمأنينتَها ورخاءها، وتعطي الجسمَ حقَّه، والرُّوحَ قدرَه، والقلبَ نصيبَه، والعقلَ حظَّه، فلا يَبخَسُ جانبٌ منها جانبًا، ولا يقهرُ منها جناحٌ جناحًا، ولا تُغالي في المادِّية والاستبداد، ولا تهملُ الجسدَ أو تضيِّع شأنَه، كلٌّ بقَدْر؛ «إنَّ لنفسِكَ عليك حقًّا، ولبَدنِكَ عليكَ حقًّا، ولأهلِكَ عليكَ حقًّا، ولوَلَدِكَ عليكَ حقًّا».

قال الله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧﴾ [القَصَص: ٧٧].

إنَّها الطريقةُ الوسطى التي لا ترجحُ كِفَّةٌ فيها على حساب الكِفَّةِ الأخرى، وسطٌ في كلِّ شيءٍ فلا إسرافَ ولا إجحافَ، ولا غلوَّ ولا تقصير، ولا تبذيرَ ولا تَقتِير، ولا قسوةَ ولا إهمال، وَسَطٌ دائمًا، وخيرُ الأمورِ أوسطُها.





وأخيرًا فشِلَت الشُّيوعيَّة

بعد تجرِبةٍ تُقارب الخمسين عامًا منذ أن قامت الحركةُ الشُّيوعيَّةُ في روسيا، بعد تقليب المبادئ الشُّيوعيَّة الهدَّامةِ بطنًا لظهر وظهرًا لبطن، وبعد المحاولات اليائسةِ لجعل الشُّيوعيَّة تُوائمُ مُتطلَّبات البشر ورغَبات النفوس، وبعد وعودٍ معسولةٍ وخِداعٍ وتمويه، وبعد أن أفرَغَ الشُّيوعيُّون جميعَ ما في جَعْبَتِهم من تشويقٍ وإطراءٍ وتجارِبَ لشُيوعيِّتهم الحمراء واشتراكيَّتهم المناقِضَةِ للعقول والفِطَر وسُنَنِ الكون.

بعد ذلك كلِّه جاءت الحقيقةُ ناصعةً كالشَّمس، تشقُّ ضبابَ الأوهام، وأكاذيبَ المضلِّلين، ووعودَ لينينَ وأضرابِه التي هي سَرابٌ بِقِيعَة.

ففي كلِّ يومٍ تحملُ الأنباءُ دليلًا جديدًا على فشلِ الشيوعية واندحارها، وهذا آخرُ ما أوردته وكالات الأنباء من مقر الكرمْلِين وقاعدة الاشتراكية الحمراء:

فقد أعلن رئيسُ الوزراء السوفيتي كوسيجين أنَّ نظامَ

الربح سيطبق على جميع الصناعات الاستهلاكيَّة في الاتحاد السوفياتي. وتضيف (وكالة اليونايتد برس): «أنَّ القرارَ الجديدَ يعني أنَّ نظامَ الربح الفردي سيطبَّقُ على جميع الصناعات الاستهلاكية في الاتحاد السوفياتي».

إنَّ خروشوف قد أدركَ خطأ الشيوعية، وأرادَ التراجع عنها، وخاصَّةً في النواحي الاقتصاديَّة، وهؤلاءِ خَلَفُه يسلكون نفسَ الطريق؛ فقد عرفوا أنَّهم يسيرون في اتجاهٍ معاكسٍ للتطوُّرِ والرَّفاه.

إنَّ الشُّيوعيَّة المُلحدة التي تتنكَّر للقِيم الرفيعةِ والمُثُل الفاضلة، وتقاومُ الأديانَ السماويَّة، وتكذِّبُ بوجودِ الله واليوم الآخر، وكلِّ ما يملأ النفسَ إيمانًا واطمئنانًا، تتركُ الإنسانَ في فَراغٍ قاتلٍ، وتجعلُ منه آلةً صمَّاء لا وزنَ لها.

لقد تنكَّرت الشُّيوعيَّةُ للفرد - وما الفردُ إلَّا دِعامةُ الجماعة - وزعمَت أنَّها تحقِّقُ لطبقةِ العمَّال والكادحين الهَناءَ ورغَدَ العَيش.

ومع ذلك فقد أصبحَ العمَّالُ في نظر الشُّيوعيَّةِ مُجَرَّدَ آلاتٍ مسلوبةِ الإرادةِ، وتملَّكت الدولةُ وسائلَ الإنتاج، وزعمَت أنَّها تُطبِّقُ الاشتراكيَّة (بلا تمايُز) ولم تَقدِر على

تطبيق الاشتراكيَّة لسببٍ بسيط جدًّا؛ هو أنَّ ذلك مناقضٌ لجميع الاعتبارات.

فكما أنَّ النَّاس لا يستوون في مَلَكاتِهم ومواهبِهم ومعارفِهم وعقولِهم وقُواهم الجسديَّة فمن المستحيلِ أن يُفرضَ عليهم المساواةُ في الأُجور، وما ينالونَه من الغذاءِ والكِساءِ والمسكَنِ والوسائل الأخرى.

ووجدَ المجتمعُ الاشتراكيُّ المزعومُ طبقةً تحكم حكمًا دكتاتوريًّا، وتُرفِّهُ نفسَها وذَويها، وتثيرُ حربَ الطبقاتِ والصِّراعَ بين الفئاتِ المختلفة من الشعب، وكلُّ أولئك على حساب العامل الكادح الذي لا ينالُه إلَّا النَّزْرُ اليسيرُ من جهدِه وعَمَلِه.

ونتيجةً لذلك ولشعورِ الفردِ بضياع جُهدِه وحِرمانِه من ثمرةِ عمله فقد انحدرَت السِّياسةُ الاقتصاديَّةُ في ظلِّ الشُّيوعيَّة، ولا سيَّما الإنتاجُ الزراعي، وذهبت جميعُ الجهودِ لإصلاح الأوضاع الاقتصاديَّة في ظلِّ الشُّيوعيَّةِ سُدًى، وسارَت من سيِّءٍ إلى أسوأ، حتى أدركوا أخيرًا أنَّ الحلَّ الوحيدَ هو في إعطاء الفردِ مزيدًا من حريَّة التصرُّف في التملُّكِ والرِّبح.

إنَّ الإسلامَ الذي يحارب الشُّيوعيَّة في كلِّ ميادِينها، والذي يتناقضُ مع تعاليمها سواءٌ سُمِّيت شيوعيَّة أو اشتراكيَّة - يرفض النظريَّات الشُّيوعيَّة الاقتصاديَّة.

وليس معنى هذا أنَّ الإسلامُ يؤيِّدُ الرأسماليَّة بجميع صُورِها وألوانِها، ولكنَّه يعطي الفردَ الحقَّ في التملُّك والرِّبح بطريقٍ مشروعةٍ، ويحرِّم الرِّبا والوسائلَ غير الشريفة التي توجدُ في النُّظم الرأسماليَّة الغربيَّة.

وإذا كانت الشُّيوعيَّةُ الاقتصاديَّةُ قد قامَت بسببِ طغيانِ رأس المال الفَرد، وما فيه من مساوئ في الحضارةِ الغربيَّة - فإنَّ الإسلامَ يخلو من هذه المساوئ، ويحقِّقُ للبشر الرفاةَ ورَغَدَ العيش والاطمئنان، والمساوئ التي تبدو في اقتصاد الدُّول الإسلاميَّة إنَّما مردُّها الجهلُ بشريعة الإسلام أو سوء التطبيق.

فهل يعودُ أولئك الذين خبَروا المذاهبَ الاقتصاديَّةَ المختلفةَ إلى الاقتصاد الإسلامي؛ ليجدوا فيه بُغيتَهم، وأملَهم المنشود؟!

إنَّ البشرَ لو أخذوا بما في الإسلام في كلِّ نواحيه في الإيمان والسِّياسة والاقتصاد والاجتماع وغيرها لسعدوا،

وسلموا من مشاكلهم التي يعانونها؛ ولا عجبَ فهو شرعٌ للبشر أجمعين، ودينُ الله الخالد؛ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].



الشيوعيَّةُ الفاشلةُ(١)

نشرت "جريدةُ المدينة" العدد (٣٧٠١) في ٢٥/ ٦/ ٧٨ المقابلةَ الصَّحفيَّة التي أجراها نخبةٌ من الصَّحفيِّين مع سفيتلانا ابنة ستالين دكتاتور روسيا الشيوعيَّة؛ تحدَّثت فيها عن أشياءَ كثيرةٍ، يهمُّنا منها الآن قولُها:

«ولكنَّني أعتقدُ بعد مرور خمسين سنة فَشِلَت ما يُسمَّى بالماركسيَّةِ أو اللِّينِينِيَّة من أن تكون العقيدةَ المسيطِرةَ لدى الشعب، وكنتُ أعتقدُ فيما مضى أنَّها مذاهبُ تجلِب التقدُّمَ والازدهار؛ وهذا ما دفعَ الناسَ إلى اعتناقها.

ولكنَّني الآن لا أستطيعُ القولَ إنَّ الأمرَ قد بَقِيَ على ما كان عليه، وإنَّني شخصيًّا لستُ حالةً خاصَّةً؛ بل أنتمي إلى جيلٍ معيَّنٍ في روسيا خاب أملُهم في هذه العقيدة، وعلموا أخيرًا بأنَّها خاطئةٌ، ووجدوا أنَّها ليسَت قادرةً على إعطاء الشَّعب ما وعدَتهُم في البداية».

هذا ما تعبِّرُ عنه امرأةٌ عاشَت في ظلِّ الشُّيوعيَّة وفي

---

(١) نُشرت في "صحيفة الجزيرة" العدد (١٦٦) في ١٤/ ٧/ ١٣٨٧هـ.

أعلى مستوياتها، وهو شعورُ جيل بكامله كما تقول، وليست نَزَعَةً فرديَّةً.

لقد شهِدَ شاهدٌ من أهلِها، ومَن أولى مِن بنت ستالين الدكتاتور الشُّيوعي؟ ونحن لا نستغرِبُ فشلَ الشُّيوعيَّة، ولا نجدُ فيما قالَته ابنةُ ستالين المجرِّبة المُتيقِّنة من الأمر برهانًا جديدًا يزيد على ما نؤمن به وما نعلمُه يقينًا.

فالشُّيوعيَّةُ تقدِّم للإنسان خِداعًا وتَعِدُه سرابًا، يطولُ به السَّيرُ ويُضنِيه السُّرى، لكي يصلَ إلى مَرساه، فلا يجد في النِّهاية إلَّا الدَّجَلَ والتضليل، والشُّيوعيَّةُ تجعل معتنِقَها يعيش في ضياعٍ وقَلَقٍ نفسيٍّ؛ لابتعادِه عن الدِّين الذي يرتاحُ به البال، وتهدأ النَّفس؛ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرّعد: ٢٨].

والشُّيوعيَّةُ و الدِّينُ على طَرفَي نقيضٍ؛ فالشُّيوعيُّون لا يؤمنون بالله ولا بالبعثِ بعدَ الموت ولا بالملائكة والكتبِ والرسل، ولكنَّ الفردَ كالآلة الصمَّاء؛ قيمتُه تحدِّدُها قدرتُه على الإنتاج الماديِّ، والدَّوران في فَلَكِ الشُّيوعيَّةِ الحمراء، قد قتلَ طُموحَه الشَّخصي؛ إذ يرى الإنتاجَ للدولة؛ فلا تنافُسَ يَدفعُه لجودة الإنتاج ونمائه وتطويره.

ولا عجبَ إذا ما تدهورَ الاقتصادُ في البُلدان الشُّيوعيَّةِ، وضعُفَ الإنتاج الزراعيُّ؛ كما هي الحالُ في روسيا والصِّين رغمَ كَثرةِ البحثِ والسَّعي لزيادةِ الإنتاج!

الشُّيوعيَّةُ ضدَّ الفِطرةِ التي فَطرَ الله النَّاسَ عليها، والشُّيوعيُّون يعيشون في سجنٍ رهيبٍ، دونَ أن يَقدروا على الخروج من هذا السِّجن، أو أن يعبِّروا عن رأيهم فيه، أو يُبدوا نقدًا لإصلاح الأوضاع، دونَ أن يجدوا مجالًا لتنميةِ مواهبهم والاستفادةِ من طاقاتهم، أو الانتفاع بما منحهم الله من مِيزات؛ فدعوى المساواة والشُّيوعيَّة اللِّينِينِيَّة تقفُ حاجزًا دونَ انطلاقهم في الميادين التي تغذِّي مواهبَهم وتحقِّقُ طموحَهم؛ لأنَّ الشُّيوعيَّةَ ضدَّ الطموح، وعدوٌّ للتنافُس، وقتلٌ للمواهب، وما الإنسانُ في نظرِها إلَّا قطعةٌ كأيِّ قطعةِ حديد.

وقد حدَّثني أستاذٌ كبيرٍ زارَ الاتِّحاد السوفيتيَّ، وشاهدَ حادثةً رآها بعينه؛ فقد أبصرَ نِسوةً عجائزَ يُزحنَ الثلوج من الطرقات، وهنَّ في حالةٍ من الإعيَاء، والبردُ القارس يُذيبُ القلوب، فسأل مُرافقَه الروسيَّ عن السبب في قيام هؤلاءِ النِّسوةِ الضعيفاتِ بهذا العمل الشَّاق، فكان الجواب

المذهل أنَّ هاتيكَ النِّسوةَ العجائز لا يَصلحن للعمل لكِبَر سِنِّهنَّ؛ ولذا فإنَّ الدَّولة تريدُ التخلُّصَ منهنَّ وسرعةَ موتهنَّ بهذه الطريقة وأمثالها!

هذه حقيقةُ الشُّيوعيَّة: إلحادٌ، وقتلٌ للمواهب، وخَنقٌ للهِوايات التي يستطيعُ بها الإنسانُ أن يقومَ بدَورِه على وجهٍ صحيحٍ، ولذا فلا غرابةَ أن تفشلَ الشُّيوعيِّة في عُقر دارها وأن يتداعى بنيانُها المهزوم.



عِبرة من كُوبا[1]

نشرت "صحيفةُ المدينة" مذكِّرات إخوانيتا، شقيقةِ فيدل كاسترو، دكتاتور كُوبا الشُّيوعيِّ، وقد أوضحَت هذه المذكِّرات مدى تعسُّف الحكم هناك وبطشِه بالمواطنين، وتغلغُل الشُّيوعيِّين.

وممَّا ورد في هذه المذكَّرات: «أنَّه في **٢** ديسمبر **١٩٦١** أعلن فيدل كاسترو أنَّه كان ولا يزال ماركسيًّا لِينِينِيًّا، وعندما سمعتُ ما يقول من الراديو قلتُ لنفسي: أيُّ ممُثِّل رائع كان ولا يزال! فقد استطاعَ طِيلةَ ذلك الوقتِ لا أن يخدعَ كلَّ أصدقائه وحَسْب، بل وعائلتَه أيضًا.

ولقد أعلن كاسترو أنَّه شيوعيٌّ منذ حَداثةِ سنِّه، ومع هذا أتساءل: كيف يمكن لشخصٍ مثلِه لا ينقصُه شيءٌ أن يكون شيوعيًّا؟!».

هذا بعضُ ما ورد في الحلقة الثالثة المنشورة في "جريدة المدينة" العدد (٢٨٢) في ٧/ ١٠/ ٨٤هـ، وقد

---

(١) نُشرت في "البلاد" العدد (١٨٣٩) في ١٨/ ١٠/ ١٣٨٤هـ.

وردَ في الحلقةِ الثانية المنشورة في "جريدة المدينة" بالعدد (٢٨٢) في ٦/ ١٠/ ٨٤هـ أنَّ كاسترو سأل شقيقتَه: لماذا تتَّهمين الحكومةَ بأنَّها شُيوعيَّةٌ؟ وأجابَت: هذا ليس اتِّهامًا! بل هي الحقيقة.

وقد استغرقَ النِّقاشُ بينهما مدَّةَ ساعة لكنَّهما لم يتوصَّلا إلى تفاهُم.

وهذه المذكَّراتُ وأمثالُها تستحقُّ التعليق، والإشارةَ إلى أشياءَ قد تكون ذاتَ فائدة؛ نظرًا لتجارِب الآخرين الذين مرُّوا بأحداثٍ فيها دروسٌ واعتباراتٌ لغيرِهم.

إنَّ ثورةَ كُوبا تُشبه الثَّوْرات الشُّيوعيَّة الأخرى في جميع أنحاء العالم، في تمويهها وتضليلها، وسعيها إلى الوصولِ إلى الحكم والتمكُّنِ من أجهزةِ الدولة، ثم سُفورِ وجهها الكالحِ، والجهرِ ببُلشفِيَّتها الملحدة، وحكمِها الدكتاتوريِّ الأحمرِ القاني...

إنَّ للشُّيوعيِّين أساليبَ رهيبةً، وتخطيطاتٍ دقيقة، وهم يتقرَّبون لكلِّ شعبٍ بما يحرِّك مشاعرَه ويُلهِبُ أحاسيسَه، ويبذلون الوعودَ السخيَّة في تحقيق آمالِ الشعوبِ وإزالةِ آلامِها، ولا مانعَ لديهم من إخفاء مذهبِهم الشُّيوعيِّ

والمناداةِ بشعاراتٍ لا يُعرف ما تهدفُ إليه؛ فقد يُنادون بحربِ الاستعمار، والديمقراطيَّة، وأنَّهم أنصارُ السلام، وبرفع مستوى العامل، ومحاربة الطُّغيان والفساد والإقطاعيَّة والرجعيَّة!

بل إنَّهم مستعدُّون لإنكارِ الشُّيوعيَّة والتنصُّل منها إذا كانوا في مجتمعٍ يمقُتُ الشُّيوعيَّة، ولكن ما إن تُواتِيهم الفرصةُ ويستولوا على السُّلطة - بأساليبهم الماكرة، وبمؤازرةِ الشُّيوعيِّين في الخارج - حتَّى تبرُزَ نواياهم الإجراميَّة، وحتَّى يسوموا الشَّعب الذي كانوا ينادونَ برفع الظلم عنه سُوءَ العذاب، وحتى يقتلوا ويسلُبوا ويعتدوا على الحُرمات، ويجعلوا من البلاد سجنًا كبيرًا.

هذه وقائع الشُّيوعيَّة، وأعمالها أينما حلَّت، والشُّيوعيُّون لا يؤمنون بالله ولا باليومِ الآخر، ولا بالأنبياء، ولا الكتب السماويَّة، وليس عندَهم إلَّا هذه الحياةُ الدُّنيا؛ فهي كلُّ شيءٍ، وكلُّ ما عداها خُرافة؛ ومن ثَمَّ فإنَّ القوَّةَ والبطشَ هما أساسُ حكمهم، ولا فرقَ بين تَلَفِ إنسانٍ وتَلَفِ آلةٍ تُؤدِّي دورَ الإنسان، المهمُّ هو الإنتاج!

أمَّا الإنسانُ والرحمةُ والإيمان، ورجاء الثوابِ من الله وخوفُ عقابه، فلا شأنَ لها في قاموس الشُّيوعيَّة القائمة على الإلحادِ وإنكار الأديان.

وما جرى في كُوبا يجب أن يُؤخَذَ منه عِبرَة، وأن يكون النَّاس على بيِّنةٍ ممَّن قاموا بانقلابٍ وأشعلوا فتنًا لصالح الشُّيوعيَّة، وخِداع الشُّعوب بشعاراتهم المموَّهة.

وأذكر أنَّ إحدى المجلَّات في قُطرٍ مجاورٍ سبقَ وأن نشرَت منذ سنوات مقالًا لفيدل كاسترو؛ زعمَ فيه أنَّه ليس شيوعيًّا، وإنَّما هو ثوريٌّ حياديٌّ يريدُ انتزاعَ حقِّ بلدِه من الأجانبِ الاحتكاريِّين، كما أنَّ بعضَ الصُّحف العربيَّة قد أشادَت به وأسبغَت عليه المديح.

ولم يكن ذلك إلَّا أسلوبًا من مخطَّطات الشُّيوعيَّة؛ فها هو كاسترو رُكنٌ من أركان الشُّيوعيَّة العالميَّة يجهر بمذهبه الهدَّام دونَ خوفٍ أو مجاملة، برغم كراهة الشَّعب الكوبيِّ للشُّيوعيَّةِ وحَنَقِه عليها، ولكنَّه الإرهابُ الذي يشُنُّه كاسترو على الشَّعب، والسُّلطةُ التي وصل إليها بالتمويهِ وتبنِّي مطالب الجماهير، ثم استعمالها وَفْقَ مبادئهِ الضالَّةِ، دونَ أيِّ اعتبارٍ لرغبات الشَّعب الكوبيِّ وآماله.

وماذا جَنَت كُوبا من الشيوعيَّةِ غيرَ القَلَق وسوءِ العيش، وتمزيق شَمل الشَّعب؟ فكاسترو لم يمزِّق شملَ الشَّعب وحدَه، بل مزَّقَ شمل أسرته أيضًا! وها هي أُخته تُناوِئه، وتبذلُ كلَّ جهدها للإطاحة بحكمه الأسود.

وجملةٌ وردَت في كلامِ شقيقة كاسترو تستحقُّ الانتباه، هي تساؤلها: كيف يمكن لشخصٍ مثله أن يكون شيوعيًّا؟ أجل إنَّها الغِشاوة التي تُعمي العين، والعقل، والفؤاد وتسيِّرهُ في متاهاتٍ مظلمةٍ قاتمة:

يُقضَى على المرءِ في أيَّام مِحنَتهِ حتَّى يرى حَسَنًا ما ليسَ بالحَسَنِ

وإنَّها لخسارةٌ أن تَفقِدَ البُلدانُ عقولًا وأرواحًا كان يُؤمَّل منها أن تنفعَ بلادَها، فعكسَت الآية، ودهوَرت بلادَها، وجرَّت النكَبات على شعوبها.

وإنَّه لمؤسِفٌ أن يقومَ أشخاصٌ في بعض البُلدان الثائرةِ باستغلال ثمرات الجهادِ والكفاحِ إلى شيءٍ آخر هو أبعدُ ما يكون عن أهدافِ الأمَّةِ وأمانيها، بل وضدُّ معتقداتِها وأمنِها، والارتماء في أحضان الشُّيوعيَّة العالميَّة التي تريد تكبيلَ العالم بأغلالِ المذهبِ الهدَّام، وإشعالَ نيرانِ الحرب لكي تنتشر الشُّيوعيَّة كما يتوهَّمون.

ويـجبُ أن ينتبه العالمُ الإسلاميُّ لهذه الأخطار، ويجب على علماء المسلمين ومُصلِحِيهم وكتَّابهم أن يُبرهِنوا لشعوبهم عن فَداحَةِ الخَطبِ بالشُّيوعيَّة، وعن أساليب الشيوعيين الماكرة؛ حتَّى لا يؤخذوا على غِرَّة، وحتَّى يَعتَبروا بما جرى في كُوبا وغيرها.



ضَجيج الحاقدين[1]

نَحمدُ الله على أن وهبَ هذه البلادَ نِعمًا عُظمى لا يجدُها أكثرُ سكَّان المعمورة، ممَّا جعلَ الحياةَ في بُلدان عديدةٍ مزيجًا من القهر والرُّعب؛ فلا يُصان لها حقٌّ، ولا يُحفظُ لها ذِمار، ولا تهنأُ بعيشٍ، ولا تقدِرُ على أن تعبِّرَ عن عقيدتها، ولا أن تُمارسَ فروضَها الدِّينيَّة مطمئنَّةً، ولا أن تَقوى على نَيلِ ما تَرُوم من مقوِّماتها، أو تُتاح لها الفُرصةُ لتعملَ وتستقرَّ؛ والأمثلةُ ليسَت قليلةً من الشرق والغربِ ومن الشَّمالِ والجنوب.

في أمريكا وروديسيا وجنوب إفريقيا يُضطَهد الزنوج، والدافع لذلك التعصُّبُ العنصري، وفي روسيا والصِّين وجميع الدُّول الاشتراكيَّة المتفرِّعة منهما يُحارَب الدِّين والمتدَيِّنون، ويُقصى المعارضون، ويُقتل المناهضون للشُّيوعيَّةِ بتهمةِ الإقطاعيَّةِ والرجعيَّةِ والرأسماليَّة.

وفي بلادٍ كثيرةٍ تعمل العصاباتُ المسلَّحةُ أعمالَها

(١) نُشرت في "المدينة" العدد (٧٠٦) في ٢٦/ ٣/ ١٣٨٦هـ.

الإجراميَّة؛ فتغتالُ الأبرياء، وتسلُبُ الأموال، وتنتهكُ الأعراض، فلا يكون هناك مَن يستطيعُ رَدعَها، أو استئصالَ شرِّها، وقد انفلَتَ فيها زِمام الأمن واضطربت الأحوالُ.

ونحن في هذه البلاد نحمدُ الله على ما أولانا من النِّعم التي لا تُحصى؛ فالدَّولةُ تعتزُّ بتحكيم الشريعةِ السَّمحةِ، وإذا نفَّذت الأحكامَ الشرعيَّة فهي تنفِّذها عن قناعةٍ وعلم بجَدواها، واطمئنانٍ لنتائجها، وتجرِبةٍ طويلةٍ لصلاحيَّتها، وهي تُدرك يقينًا أنَّها تسيرُ على صراطٍ سويٍّ يحقِّقُ العدالةَ والأمنَ والهدايةَ للبشريَّة جمعاء.

وقد نَعِمَت البلادُ باستقرارٍ وأمنٍ لم يحصُلا لأكثر سكَّان الدُّنيا، في عصرٍ طَغَت فيه المادَّة، وأرجَفَ المرجفون، وتمنَّى كلُّ بلدٍ لو كان ينالُ من الأمن والاستقرار ما نالَته هذه البلاد، وحتَّى لو بذلوا كلَّ ما يستطيعون.

وها هي البُلدان المجاورة تتوالى فيها الفتنُ والانقلابات، وتسيلُ الدِّماء، وتُزهَق النفوس، وتُهان الكرامات، وتغَصُّ السجون بالناس، وتُنصَبُ المشانقُ لأصحاب ذاك الفريق تارَةً، ولأتباع ذلك المتزعِّم تارةً أخرى.

وهكذا دَوالَيكَ يعيشون في قَلَقٍ وفوضى، وإنهاكٍ اقتصاديٍّ، وجَذْبٍ رُوحيٍّ، واضطراباتٍ لا تنتهي إلَّا لتبدأ من جديدٍ، وكلَّما قفزَ شخصٌ إلى كرسيِّ الحكم فتكَ بمُناوِئيه، وسامَهم ذلًّا وخَسفًا وإهانةً، ثم لا يلبَثُ إلَّا شهورًا أو سنينَ معدودةً وإذا بخَمرِ الزَّعامةِ والرِّياسة قد لَعِبَت برؤوس لم يُعجِبها نصيبُها من التَّرِكَة، فتَثِبُ هي الأخرى لتُطيحَ بالحكم، وتستولي على السُّلطة اغتصابًا وغدرًا، والتنكيلُ والانتقامُ هما دَيدَنُها، وإرهاقُ الشَّعب ونكَباتُه هما قِطافُها، والتَّدهور والفوضى هما ثمرتُها.

وإذا كان بعضُ الحاسدين والحاقدين لا يَروقُ لهم أن تستقرَّ هذه البلاد، ويَسعَون جاهدين لبَذرِ الفِتَن، ونشرِ القلاقلِ بأكاذيبهم ومُفترياتِهم وبعملائهم ومَن يُغرِّرون بهم، ويهدِّدون بقوَّتهم التي لم يوجِّهوها لأعداءِ العربِ والإسلام - فإنَّ الشَّعبَ والحمد لله يعرف مرامِيَهم الخبيثة، ومقاصدَهم الشرِّيرة، ولم يَعُد يُحسن بهم ظنًّا، وإنَّما صارَ يعرفُهم على حقيقتهم، ويُدرك أنَّهم شيوعيُّون طامعون، وهو لذلك يَسخر من هَذَيانِهم ودِعاياتِهم التي أصبحت لغوًا في القول، وعبثًا في السُّخف، ولكنَّهم في غيِّهم سادرون.

التعاون هو الأساس(١)

كلُّ أمَّةٍ تطمحُ للنهوض، وتُريد أن تتبوَّأ مكانةً مرموقةً بين الأُمَم فلا بدَّ لها من التعاون المبنيِّ على الفَهم المدرِك لضرورة التكاتُفِ لنَيل النجاح، ولولا التعاونُ لم تبرُز هذه المجهوداتُ الجبَّارةُ، وهذه الثمراتُ الناضجة التي يجنيها المرءُ سهلةً لذيذة، فالدِّينُ والعقلُ والفطرةُ البديهيَّة تُنادي بأهميَّةِ التعاون، وتدعو إليه في إصرارٍ وعَزم، وتبيِّنُ ما للتعاون من أثرٍ بارزٍ في قوَّةِ الأُمَم، وإرساءِ دعائمها على أُسسٍ ثابتةٍ تتحطَّمُ فوقَ صخرتها الصُّلبة عواصفُ الفِتَنِ وهُوجُ الزوابع.

وفي القرآن الكريم: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المَائدة: ٢]، ويقول الرسول ﷺ: «المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنيانِ يشُدُّ بعضُه بعضًا»، وقد عبَّر عن ذلك أبو الطيِّب إذا يقول:

النَّاسُ للنَّاسِ من بدوٍ وحاضرةٍ بعضٌ لبعضٍ وإن لم يَشعُروا خَدَمُ

(١) نُشرت في "اليمامة" العدد (٤٠٨) في ٢٥/ ٣/ ١٣٨٣هـ.

والتعاونُ لا مناصَ منه لأيِّ فردٍ في أكثر حالاتِه، وإن كان في حالاتٍ يمتازُ به أشخاصٌ دونَ آخرين، ويتفاوتُ في فهمِه بعضُ النَّاس عن بعض؛ فلولا التعاونُ لم يستطِع إنسانٌ أن يعيش، فما بالُكَ بالمركَبِ والمسكَنِ والترفُّه.

إنَّ الأيدي الكثيرةَ والجهودَ العديدةَ تتضافرُ لتهيِّئ الأكلَ وسائرَ وسائل العيشِ والملبَسِ والسُّكنى وسِواها، ولن يَقدرَ أيُّ فردٍ أن يقومَ منفرِدًا بتهيئةِ كلِّ شيءٍ بنفسِه ممَّا يحتاجُه دونَ جهودِ الآخرينَ وعَمَلِهم.

إنَّ هذا بديهيٌّ، وليس في حاجةٍ إلى التقرير، ولكنَّ عدم إدراكِ بعض النَّاس لأهميَّةِ التعاون يجعلُ من الحديثِ عن التعاون شيئًا لا يستغني عن التقريرِ وإبراز البراهين.

وعندما ننظرُ إلى واقعِ المسلمين فلا نتردَّدُ أن نعلِنَ عن حقيقةٍ مؤلِمَة، هي إغفالُ التعاون وضعف الشعورِ بالمسؤوليَّة إزاءَ المجتمع الكبير، الذي تربِطُه العقيدةُ والعواطفُ والتاريخُ الحافل والأمجادُ العظيمة العريضة، وذلك ممَّا سبَّبَ الانتكاسَ للمجتمعِ الإسلاميِّ في كلِّ عصرٍ حلَّت فيه النكبةُ بالمسلمين.

وليس أدلَّ على هذا من التناحرِ والتنابزِ بالألقاب، وإيغار الصُّدور وتطاول بعضهم على بعض في هذا الوقت بالذَّات، بينما أعداؤهم يطرَبون لهذا التطاحُن، ويُبدون سرورَهم وشماتَتهم بأمَّةِ الإسلام، التي يحقِدون عليها ويتوارَثون بُغضَها.

وإذا أعدنا النظرَ إلى مجتمعِنا الخاصِّ في هذه البلاد، فإنَّا نجدُ ظاهرةَ عدم المبالاة بدأ يستشري خطرُها وينمو صغيرُها، وذلك لا يُبشِّر بخيرٍ ولا تسُرُّ طلائعُه، وقد تكون هذه (الأنانيَّة) وفدَت مع مدنيَّة الغرب وحضارته.

ولكن إذا كنَّا في حاجةٍ قصوى إلى صناعة الغرب وشيءٍ من حضارته، فإنَّ من المهمِّ جدًّا ونحن في بداية الطريق ألَّا نُغمِضَ عيونَنا عن محاسنِ الحضارة الغربيَّة ومساوئها؛ حتى ننتقِيَ منها ما ينفعُ وندعَ ما لا فائدةَ تُرجى منه.

وإنَّ من مساوئ الحضارة الغربيَّة ما صاحبَها من الغلوِّ في الحرِّيَّةِ الشخصيَّة، والفرديَّة الجامحة؛ ممَّا نتج عنه (أنانيةٌ بَشِعَة)، أصبحَ من جرَّائها تفكيكُ أواصر الأُسرة وانفصامُ عُرى التكاتف وانتزاعُ الثِّقة بالمجتمع والعقائد

والتقاليد الجميلة - أمرًا بارزًا للعَيان.

ومن الخيرِ للأمَّةِ أن يسودَها التعاون، وأن تنظرَ له كشيءٍ محبَّبٍ إلى النَّفس، ولازمٍ من لوازم الحياةِ، ودِعامةٍ للرقيِّ؛ لتربط بين ماضيها التَّليد، وحاضرها المتوثِّب، ومستقبلِها المشرِق بإذن الله.



ما هو دَور العلماء؟!

شرَّفَ اللهُ العلماءَ بما أَولاهم به من وِراثةِ الأنبياء، ومن حَملِ الشريعة الإسلاميَّةِ والفقهِ في الدِّين، وكثيرون من المفسِّرين يرَون أنَّهم (أُولو الأمرِ) المَذكُورون في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النِّسَاء: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجَادلة: ١١]، وفي الحديثِ الصحيحِ: «مَن يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين».

وليس قصدي تَعدادُ مَزايا العلم وفضلِ أهله؛ فذلك معلومٌ، وحديثُه يطولُ، ولكنَّي أتساءل عن دور العلماء - وأعني علماءَ الإسلام - في سائر الأقطار، وهل قاموا بواجبهم؟ وهل أُتيحَت لهم الفرصةُ لكي يؤدُّوا هذه الأمانةَ العظيمةَ والمسؤوليَّة الخطيرة؟ وإذا كان هناك تقصيرٌ واضحٌ فمن أينَ جاء؟ وما مصدره؟ وما هو السَّبيلُ إلى تذليل العَقَبات المانعةِ من أداء الواجب العظيم؟

إنَّني أعلم بأنَّ مقالًا واحدًا لن يَفِيَ بجوانب الموضوع

ومتطلَّباته، وأنَّ الأمرَ يحتاجُ إلى مناقشةٍ جادَّةٍ مستَنيرةٍ مبنِيَّةٍ على البحثِ العميقِ والدِّراسةِ الوافيةِ؛ لأنَّ إغفالَ هذه الناحيةِ المهمَّة يعودُ بالمصائب على الأمَّةِ الإسلاميَّة في شتَّى ديارها.

وإذا تأمَّلنا حالةَ العالم الإسلاميِّ اليوم نكادُ لا نسمع للعلماء إلَّا أصواتًا خافِتةً، وقد تختلفُ درجةُ الإمكانيَّات لدى العلماء علمًا وثقافةً، قدرةً على القولِ وعجزًا عنه، إتاحةَ فرصةٍ أو حرمانًا، وعلى كلِّ تقدير فإنَّ المرءَ لا يسعُه إلَّا أن يشعرَ بأنَّه كان ينبغي أن يكون للعلماء دورٌ أكبر، وصوتٌ أعلى، ومكانةٌ أسمى.

وأحسَبُ أنَّ من أسباب النَّكبات التي يُعاني منها العالم الإسلاميُّ اليومَ وقبلُ إبعادَ العلماء عن مجالاتهم أو ابتعادَهم هُم، وأنَّ التصوُّرَ الخاطئ بحَصرِ مسؤوليَّتهم في نواحٍ محدَّدةٍ لا يجوز لهم أن يتخطَّوها كان من عوامل الضعفِ والتَّدهورِ في كيان العالم الإسلامي.

ونحن اليومَ في حاجةٍ إلى صَوتٍ جهيرٍ من قِبَل العلماءِ يصدعُ بالحقِّ بلا مُوارَبة، ويدعو إلى الله على بصيرةٍ، ويُشارك في التوجيهِ مشاركةً طليعيَّةً وَفْقَ ما يقتضيهِ

الدِّينُ وتُوجِبُه الشريعة السَّمحاء.

وإنَّ ممَّا يُؤسَف له أن يقبعَ العلماء - وأن يُراد لهم ذلك - في زوايا النِّسيان، وفي بعض البُلدان العربيَّة والإسلاميَّة يُغفَل العلماء؛ فلا يكاد يَرِدُ لهم ذكرٌ في الصِّحافة والإذاعة، ولا ينالُون من الإشادةِ والتقدير في وسائل الإعلام مِعشارَ ما يُكال لأتفَهِ المغنِّين من مديح، وما تردِّده من إشادةٍ بأدنى لاعب (كورة)، وهذه ظاهرةٌ محزِنةٌ إن لم نقُل إنَّه تخطيطٌ ماكِر.

إنَّ البُلدانَ النصرانيَّةَ مع ما انحدرَت إليه من فوضى وانحطاطٍ لم تصِل إلى هذا الحضيض، فما بَرِحَت تُفاخِر بعلماء الدِّين لديها وتحترمُ آراءهم.

وهذه البلادُ التي تضمُّ الحرمَين الشريفَين وتضطلِع بتجديدِ الدَّعوة إلى التضامُن الإسلاميِّ، حَرِيٌّ بها أن يكون للعلماء فيها دورٌ يختلف عن الحالةِ المؤلمة التي وصلَت إليها حالةُ العلماء في بعض البُلدان الإسلاميَّة.

وبالمناسبة فإنِّي أُلاحظ أنَّ المؤتمرات والزيارات الرسميَّة التي تتمُّ على مستوياتٍ مختلفةٍ توشِكُ أن تفقِدَ العلماء، بينما المفروض أن يكونوا إحدى الدِّعامات لتلك

المؤتمرات؛ لتستنِيرَ بعلمِهم، ولتصبحَ قراراتُها ومناهجُها متَّفقةً مع الأُسسِ الشرعيَّة التي يجب أن تكون هي السائدة.

ونتمنَّى أن نجدَ من العلماء في هذه البلاد وغيرها إدراكًا لدَورِهم في كلِّ شأن؛ في القضاء والفُتيا والخَطابة والتدريس والمعاملات والاجتماع وغيرها؛ لأنَّهم يحملون شريعةً شاملةً ودِينًا كاملًا.

وهذه إشارةٌ، ورُبَّ إشارةٍ أبلغُ من عِبارة[١].



(١) نُشرت في "صحيفة الدَّعوة" العدد (١٦٢) في ٢٦/ ٤/ ١٣٨٨هـ، ونقلتها "مجلَّة الحج" في العدد (٢٢) الجزء (١٢) لشهر جُمادى الآخرة ١٣٨٨هـ/ سبتمبر ١٩٦٨م، ونقلَت مقتطفاتٍ منها "جريدة الحياة" اللبنانيَّة.

العلماء والخطباء[1]

العلماءُ ورثةُ الأنبياء، وبهذا الميراثِ العظيم يتحمَّلون مسؤوليَّةً جسيمة؛ من بيان الشَّرع، والدَّعوة إلى الله، والجهادِ في سبيله، ومحاربةِ أعدائه بالبَنانِ واللِّسان، وأن يُرشِدوا النَّاسَ إلى الطريق الصحيح، والمَحَجَّةِ البيضاء.

والنَّاسُ دائمًا يتطلَّعون إلى العلماء ليَرَوا ما يوضِّحونه من الحقِّ، وما يُبرهِنون عنه من الصواب.

وعلماؤنا - حمدًا لله - من خِيرةِ العلماء تقًى ووَرَعًا وحِرصًا على الخير؛ ومن ثَمَّ فإنَّ النَّاس ينتظرون منهم أن يتحدَّثوا بصراحةٍ، وأن يقولوا كلمةَ الحقِّ في الأحداث الجارية، وواجبِ النَّاس حِيالَها، وما ينبغي على الأمَّةِ أن تفعلَه.

وقد قرأنا وسمعنا عن آراء البابَواتِ والقُسُس من النصارى، وعن الحاخاميِّين من اليهود، وعن بعض علماء البُلدان الإسلاميَّة.

---

(١) نُشرت في "الجزيرة" ١١/ ٤/ ١٣٨٧هـ.

وعلماؤنا أحقُّ أن تكون لهم الكلمةُ المُدوِّيَةُ، والصَّوتُ الجَهير، والبيانُ الواضح؛ وذلك لما حَبا الله به هذه البلادَ من نعمةِ التوحيدِ الخالص، والسلامةِ ممَّا ابتُلِيَت به كثيرٌ من البُلدانِ الإسلاميَّة من وقوعِ بعض البدع والخرافات والشركيَّات؛ ولأنَّ المسلمين في مَشارق الأرض ومغاربِها يترقَّبون الفرصةَ ليسمعوا فتاوى علماء الحرمين الشريفَين ومركزِ بلاد العرب، وحيثُ يثِقون فيما يسمعونَه ويرتاحون له أكثر.

وواجبُ العلماء في هذه البلاد أن يأخذوا زِمامَ المبادرة، وأن يكونوا أسبقَ من غيرهم إلى بيان الحقِّ، والصدعِ به، وسيجدون الآذانَ الصاغِيَة، والقلوبَ الواعِيَة، إذا فعلوا إن شاء الله.

ومن الغريب أن نسمعَ عن مؤتمراتٍ ذات أشكالٍ وألوانٍ وأوصاف؛ كمؤتمر المحامين والمهندسين والإعلام والطِّبِّ... وغيرها من المؤتمرات الكبيرة والصغيرة، ولا نسمعُ بمؤتمراتِ علماء الإسلام، وقراراتهم إلَّا نادرًا!

واليوم والأمَّةُ الإسلاميَّةُ تواجه أخطارًا من الأعداء: اليهود والصَّليبيِّين والشُّيوعيِّين، فإنَّ واجبَ العلماء أن

يعلنوا ما جاءَ به الشَّرع، وأن يتدارَسوا ويتشاوَروا ويُصدروا البياناتِ التي توضِّح الحقَّ وتجلو الالتباس.

وعلى خُطباء المساجد أن يكونوا مقتدِين بسيِّدِ البشر ﷺ وصحابته الكِرام، فيبيِّنوا حكمَ الله وما يدعو إليه القرآن والسُّنَّة من أخذِ الحَذَر، والاستعداد، وثوابِ الجهاد في سبيل الله، وينفِّروا عن دعوات الجاهليَّة وعصبيَّاتها، وواجبَ الشعبِ حِيالَ الحاكم، وواجبَ الحاكم تُجاهَ الشَّعب، وعن بذلِ الأموال في الطُّرق الصحيحة، وعن الزكاةِ ومصارفها، وما وردَت به الشريعةُ من حَثٍّ على تعلُّمِ الرمي، والسِّباحة، وركوبِ الخيل، وأن تكون خُطَبُ الخطباء معالجةً للمشكلات الراهنة، والأحداث الحاضرة، وبذلك يُثبتون أنَّهم يدركون مسؤوليَّاتهم، ويعلم النَّاس أنَّ الشريعةَ حاويةٌ لكلِّ ما فيه صلاحهم، وأنَّها ليسَت بعيدةً عن حياة النَّاس وتفكيرهم؛ كما يرميها بذلك أعداءُ الإسلام والجاهلون به.

ولكنَّها شريعةٌ كاملةٌ، فيها حياةُ الأمَّة الهانئة وسعادتُها في الدارَين، وعزُّها السامِقُ الذي به بلغَت الشأوَ الرفيع، والمكانةَ التي لا تُدانى، يومَ فَهِمَ المسلمون دينَهم،

ومضَوا في تبليغِه وتطبيقه غيرَ هيَّابين ولا وَجِلِين؛ لأنَّهم يرجون ثوابَ الله، وينفِّذون أوامرَه، ويَعُون شرعَه.

إنَّها دعوةٌ ليست غريبة، ولا تنحو إلى شَطَطٍ أو إحراج، ولكنَّها تهدُفُ إلى التذكير، والذِّكرى تنفعُ المؤمنين.



فلينظِّموا بلادَهم أولاً[1]

بلغ العالمُ الغربيُّ مستوًى رفيعًا، وأحيانًا هائلًا من التقدُّم الصِّناعيِّ، ولكنَّه متخلِّفٌ كثيرًا في النواحي الاجتماعيَّة، والروابط الأُسريَّة، والاستقرار النفسي، والأمن من العدوان.

وفي بلدٍ كأمريكا بلغَ في الحضارة الصِّناعيَّة شأوًا كبيرًا، يفتِكُ به التمييزُ العنصريُّ، ويُضطَهدُ الزُّنوج، وكلُّ ذنبهم أنَّ لونَهم ليس بأبيض، ويلقَون أسوأ معاملةٍ عرفَها تاريخُ البشريَّة؛ لأنَّ حماقةَ التعصُّب العنصريِّ قد سيطَرت هناك على عقول أصحابِ البشرةِ البيضاءِ المُسوَدَّةِ قلوبُهم، وفي أمريكا كما في أكثر دول الغرب تنشطُ عصابات السَّلب والنَّهب وقطع الطريق، و جرائمُ القتل والعدوان قائمةٌ على قَدَمٍ وساق.

ولا بدَّ للمرء أن يفكِّرَ طويلًا ويتساءل عن البواعثِ التي تدفعُ أولئك إلى هذه الأعمال الإجراميَّة؟ ولماذا لا

---

(١) نُشرت في "صحيفة الدَّعوة" العدد (١٤٥) في ٣٠/ ٢/ ١٣٨٨هـ.

يكون جزاءٌ رادعٌ يُوقِفُ هذه الهمجيَّة عندَ حدِّها؟

وإذا بحثَ الإنسانُ وتأمَّل فسيجدُ أنَّ الأنظمةَ هي الدَّاءُ، وأنَّ القوانينَ لديهم هي السببُ؛ فلو أنَّ الأمر عندَهم يُحكَّم وَفْقَ الشريعة الإسلاميَّة؛ فيُقتَل القاتل ويُقطَع السارق، ويُعاقَب المعتدي - لتلاشَت تلك الأعمال العُدوانيَّة أو كادت.

وممَّا يُثلج الصدر، ويُعطي مثلًا رائعًا استتبابُ الأمن في بلادنا وسلامتُها من المصائب التي تُعانيها بُلدان الغرب؛ وذلك بفضل تطبيق الأحكام الشرعيَّة في هذه المسائل.

ومن الغريبِ أن يتشدَّقَ بعضُ أنصاف المتعلِّمين بالأنظمة في تلك الدُّول، ويردِّدَ ما يسمعُه من مبشِّريهم كالبَبْغاءِ تمامًا دونَ أن يَعِيَ ما يقول، أو يفكِّر في واقع تلك البُلدان، وما تُعانيه من ارتباكٍ وفوضى وعدوان، وتقطُّع أواصرِ القَرابة، وتفكُّك الأُسرة، وانتشار الانحلال والاستهتار.

ومن المُؤسف أن يحاولَ هذا البعض تطبيقَ الأنظمة والقوانين التي كانت سببَ البلاء، ويُسبغ عليها من المديح

والإطراء ما يحاول به فرضَها على هذه البلاد الآمنةِ المستقرَّة، ولو تمَّ لهذا البعض المخدوع ما يريد فإنَّ ما يقعُ هناك من الفوضى سيقعُ هنا، وسوف تنتقلُ العدوى إلى هذه البلاد بانتقال الأنظمة والقوانين المريضة.

وما أغنى بلادَنا عن زَجِّ نفسِها في هذه المتاهات، وتعريضِها لتلك الأخطار، وعلى أولئك الخبراء المزعومين أن ينظِّموا بلادَهم، وأن يحاولوا إصلاحَ أنظمتِها وقوانينِها الفاسدةِ قبل أن ينظِّموا لغيرهم.

أمَّا هنا فإنَّ الإسلامَ قد نظَّم شؤون الدِّين والدُّنيا، وأتى بشريعةٍ كاملةٍ وافيةٍ بما يحتاجُه المسلمون على مرِّ العصور وتعاقُب الدُّهور، فليسَت بلادُنا في حاجةٍ إلى قوانينهم وأنظمتهم؛ فهي في غنًى عن أوبائِهم التي يسمُّونها أنظمةً ديمقراطيَّة؛ لأنَّ النَّاس هنا يعلمون ما جرَّته على المجتمعات هناك، وما سبَّبت من نَكَبات (والعاقلُ من اتَّعظ بغيره).



مؤامرة ضدَّ القرآن[1]

لم يدَّخر المبشِّرون الصليبيُّون وأعداءُ الإسلام الآخرون وسعًا في حرب الدِّين الإسلاميِّ والشَّريعة الإسلاميَّة، وإثارةِ الشُّبهات والشُّكوك حولَهما، ومحاولةِ النَّيل منهما، والطعنِ في الإسلام عقيدةً وأحكامًا، والثَّلْبِ لرجال الإسلام، وتلفيقِ الأكاذيب في روايةِ التَّاريخ الإسلامي.

و(زويمر) و(جولد تسيهر) و(جرجي زيدان) من أبطال هذه المؤتفَكات؛ وذلك بدافعِ التعصُّبِ والحِقد، والتكذيب بما لم يُحيطوا به علمًا، أو ما جحدوه عُدوانًا وبغيًا.

لقد شَنُّوا حربًا شَعْواءَ على الإسلام، وقَدحوا في النبيِّ ﷺ، ورمَوه بما هو منه بريءٌ، وزوَّروا في التَّاريخ، وقلَبوا الحقائقَ وتمنَّوا إزالةَ القرآن، ومحوَ الإسلام، وهدمَ الكعبة، أنشؤوا المدارسَ لبَثِّ شبهاتِهم وضَغائنِهم، وأنفقوا بسَخاءٍ على المبشِّرين الذين يُرسلونهم إلى أنحاء العالم، وطبعوا آلافَ الكتب والرسائل لهذه الأغراض، وشجَّعوا

(١) نُشرت في "صحيفة الدَّعوة" العدد (١٦٤) في ١١/ ٥/ ١٣٨٨هـ، و"جريدة النَّدوة" في ١٤/ ٥/ ١٣٨٨هـ.

الحركاتِ الهدَّامةَ والفئاتِ الضَّالَّة؛ من قاديانيَّة وبَهائيَّة ونُصيريَّة ودُرْزيَّة وبُوذيَّة، إمعانًا في الانتقام من الإسلام، وسعيًا للقضاء على المسلمين في شتَّى ديارهم.

واليوم تُطِلُّ فتنةٌ جديدةٌ لا ريبَ أنَّ للدسائسِ الصَّليبيَّة - وربَّما الصِّهيَونيَّة - يدًا فيها؛ فقد قام المدعو الميرزا باقر من لبنان بترتيب القرآن حسبَ التبليغ الإلهيِّ في زَعمِه، ويريد ابنُه طبعَ هذا الكتاب، ويطلبُ الاكتِتابَ في تمويله.

وقد وصفَ عملَه هذا بأنَّه «أعظم مشروع دينيٍّ قام به الفيلسوف الأعظم الميرزا باقر الملقَّب بإبراهيم ذي الرُّوح العِطريَّة»، هكذا مع الأسف!!

وهذا الصَّنيعُ يدلُّ على أنَّ ذلك جُزءٌ من مخطَّطات أعداء الإسلام وأحابيلِهم؛ ليصدُّوا النَّاسَ عن القرآن الذي يعرفُه المسلمون، يحفظونَه في صُدورِهم ويتلُونَه في مصاحِفهم، وقد تداوَلوه منذ ما يَقرُب من (١٤) قرنًا بلا خلافٍ بينَهم، بعد أن جمعَ الخليفةُ الراشدُ عثمانُ بنُ عفَّان ﵁ النَّاسَ عليه خوفًا عليهم من فِتنةِ الشِّقاقِ، ووافَقَه الصَّحابةُ على ذلك، وظلَّ المصحفُ على ترتيبه في السُّور والآيات بلا زيادةٍ ولا نقصانٍ على مدى قرون.

وهذا العملُ الذي يقوم به من ادَّعى الفلسفةَ والروح العطريَّة!! لا يختلف عن قيام إسرائيلَ بطبع مصاحفَ محرَّفة؛ تشكيكًا للمسلمين في القرآن، وزعزعةً لعقائدهم، ورغبةً في قتل الرُّوح المعنويَّة التي يتَّصِف بها المسلم؛ لقوَّة إيمانِه، وثباتِ عقيدتِه، واطمئنانِه باليقين؛ لأنَّه يعتنق دينًا سليمًا من التَّحريف والتَّبديل، ملائمًا للفِطرة، مُلبِّيًا لحاجاتِ الجسدِ والرُّوح، مُنِيلًا للسعادةِ الدُّنيويَّة والأُخرويَّة.

لذا حرَصَ المبشِّرون الصَّليبيُّون والشُّيوعيُّون الملحدون والصِّهْيَونيُّون الماكرون على تحريف القرآنِ وتشويه الإسلام، ولكنَّ محاولاتِهم باءت بالفشل، وبَقِيَ القرآنُ تشِعُّ أنوارُه وتسطَعُ براهينُه، وتلوحُ آياتُه ومعجزاتُه؛ ليُنِيرَ السَّبيلَ إلى الهداية والرشاد، وقيَّض الله لدينِه أنصارًا يُنافحون عنه ويدحضون باطلَ المبطِلين وتشكيكَ الملحِدين.

وقد أحسنَ الشيخُ نَديم الجِسر - مفتي طرابُلُس وشمال لبنان - الذي كتب مقالًا في "مجلَّة الوعي الإسلاميِّ" يُنبِّه إلى خطر هذه الفتنة العَمياء، كما أبرق

عددٌ من علماء هذه البلاد الأفاضل إلى مفتي لبنان؛ علَّه يقِفُ في وجهِ هذه الأعمال الشرِّيرة، وكتب بعض الغيورين يحذِّرون وينصحون.

وواجبُ قادة المسلمين وعلمائهم إيقافُ هذا العَبَثِ وتلكَ الفتنةِ قبل اندلاع نيرانِها والتهابِ شَرَرِها، وإلقامُ ذلك المتنطِّع وأمثالِه حجارةً تُعيد لهم الصواب، ولا بأسَ من إيراد مُثُلٍ من التاريخ لعلَّ فيه العِبرةَ وصلاحَ الاقتداء، ولن يُصلِحَ آخرَ هذه الأمَّةِ إلَّا ما أصلَحَ أوَّلَها؛ كما قال الإمامُ مالك.

فقد جاء أحدُ السُّخفاء إلى أحدِ الخلفاءِ متباهيًا بأنَّه سبقَ إلى ما عَجزت عنه الأوائل، وأنَّه من الذكاء بدرجةٍ تفوقُ الوصف، وقد رأى بثاقبِ فكرهِ أنَّ القرآن ثلاثون جزءًا، وأنَّه يريد أن يُسهِّل على النَّاس فاختصرَ القرآن!

فما كان من الخليفة إلَّا أن أعلنَ مكافأةً سخيَّةً لهذا الرجل تليقُ بمكانته، وكانت المكافأةُ تتلخَّصُ في اختصار الرجل بقَطعِ يَدَيهِ ورِجلَيه، ثم الإجهاز عليه، وبذا طُوِيَت صفحةٌ من صفحات التَّخريب والإلحاد.

وما أحوجَ المتنطِّعين في هذا العصر لمثلِ جائزة الخليفة الحازم[١]



(١) أصدر المجلسُ التأسيسيُّ لرابطة العالم الإسلامي - المنعقد بمكَّةَ في رجب ١٣٨٨ - قرارًا باستنكار هذا العمل الذي قام به ميرزا باقر وابنُه، وهذا نصُّه:
نظر المجلسُ في تقرير الأمانة العامَّة في موضوع محاولةِ ابن ميرزا باقر طبعَ مصحفٍ جديد منسوب إلى والده بترتيب الآيات والسُّور حسبَ نزولها على ما يزعم، واطَّلع المجلسُ على ما قامت به الأمانة العامَّة من اتِّصالٍ بسماحة مفتي الجمهوريَّة اللبنانيَّة، ووعدِه وعدًا قاطعًا بألَّا يُطبع هذا الكتاب إلَّا بعد اطِّلاع سماحته على مقدِّمته كاملة، والإذنِ منه مباشرةً بطبعه، وأنَّ سماحته قد أخذَ وعدًا من وزارة الإعلام بالجمهوريَّة اللبنانيَّة بألَّا يُسمح بطبعِه إلَّا بعد عرضه على سماحته وإذنِه بنَشرِه.
ويرى المجلسُ أنَّ ما قامت به الأمانة العامَّة للرابطة واجبٌ مشكورٌ، وأنَّ طبعَ هذا الكتاب منكرٌ وزورٌ؛ فإنَّ ترتيبَ آي الذِّكر الحكيم كما هو في المصحف الشريف ترتيبٌ توقيفيٌّ من النبيِّ ﷺ، مُوحًى به إليه من ربِّ العالمين، وقد تلا الرسول ﷺ القرآنَ طِوالَ حياته الشريفة، وتلقَّاه عنه الصحابةُ ودوَّن (القرآن الكريم) على حسَب ذلك الترتيب في المصحف الإمام الذي أجمعَ عليه الصَّحابة، ومن بعدَهم من التابعين، وجميعُ علماء المسلمين رضوان الله عليهم.
وكذلك ترتيب السُّور توقيفيٌّ على الأرجح؛ فإنَّه الثابت في المصحف الإمام، ومن ترتيب الآيات في السُّور يُؤخَذ كثيرٌ من الأحكام والحِكَم، وهو وجهٌ من أوجهِ إعجاز القرآن، وكذلك في ترتيب السُّور حِكَمٌ وأوجهٌ من الإعجاز تكفَّلَ ببيانِها أئمَّةُ الإسلام من المقرئين وغيرهم. =

= وفي مخالفة هذا الترتيب في الآيات وفي السُّور إضاعةٌ لكلِّ ذلك، وإقدامٌ على مخالفة ما أجمعَت عليه الأُمَّةُ الإسلاميَّةُ.
ويهيبُ المجلسُ بالأمانة العامَّة للرابطة أن تواصل العنايةَ بالأمر كما بدأت؛ حتَّى لا يُطبع هذا الكتاب بالصورة التي لا تُجيزها الشريعة الغرَّاء؛ صيانةً لكتاب الله تعالى، وحفظًا لعامَّةِ المسلمين من الفتنة والضلالة، ولا سيَّما وقد فرغَ الأئمَّة من بيان المكيِّ والمدنيِّ من الآيات والسُّور، وأسباب النزول وتواريخها، وألَّفوا في ذلك المؤلَّفاتِ الكثيرة، واشتملَت عليه التفاسير العديدة، وأُثبت حتَّى في المصاحف؛ فلا جديدَ في الأمر سوى بَلبلةِ الأفكار وتضليل العقول.
ويرى المجلسُ شكرَ سماحة مفتي الجمهوريَّة اللبنانيَّة على ما قام به من مجهودٍ حميدٍ، ونقلَ ما جاء في هذا القرار إلى سماحته مع الرجاء منه ألَّا يكتفيَ بالنظر في مقدِّمةِ الكتاب فقط؛ بل يتفضَّل بالنظر في الكتاب كلِّه لخطورة هذا الموضوع وأهميَّته.
هذا؛ ونشرت "مجلةُ رابطة العالم الإسلامي" أنَّ مفتي الجمهوريَّة اللبنانيَّة قد منع طبع هذا الكتاب.

العناية بتدريس القرآن[(١)]

«تضمُّ الجامعةُ الإسلاميَّةُ في ليبيا ثلاثَ كليَّات: أصول الدِّين، والشريعة، واللغة، كما تضمُّ **١٣** معهدًا ابتدائيًّا وإعداديًّا وثانويًّا، ومعهدًا للقراءات وأكثر من **١٤٢** مدرسة لتحفيظ القرآن».

هذا خبرٌ نشرته إحدى الصُّحف المحليَّة، وهو خبرٌ سارٌّ بِلا رَيب، وهكذا يجب أن تتَّجه الدُّولُ الإسلاميَّةُ إلى العنايةِ بدراسةِ الشريعة، والمحافظةِ على التراثِ الحافل.

وكلُّ مسلم سيشعرُ بالعزَّةِ والتفاؤل وهو يقرأ مثل هذا الاهتمام بدراسةِ القرآن، في وقتٍ طَغَت فيه المبادئُ الهدَّامة، والآراءُ الفاسدةُ، وُوجِّه إلى الإسلام غزوٌ ثقافيٌّ مسعورٌ، وتشكيكٌ في مقوِّمات الأمَّة الإسلاميَّة وأمجادِها وتاريخها، وأصبحَ التعليمُ في أكثر البُلدان بعيدًا عن دراسة الشريعة والعناية بالقرآن العظيم.

ذلك لأنَّ المُخطَّطات التي رسمها الصَّليبيُّون

---

(١) نُشرت في "جريدة النَّدوة" العدد (٢٣٤٥) تاريخ ٢٨/ ٦/ ١٣٨٦هـ.

والملحدون إبَّان استعمارهم للبُلدان الإسلاميَّة لا تزال آثارُه ومخلَّفاته وتلامذته لها دورها في تشويش الأفكار، ومحاولة إقصاء الأمَّة عن طريق سعادتها وسيادتها، واستعادةِ مركزها القياديِّ في هداية البشر، ونشر الدِّين الحقِّ في أصقاع المعمورة.

وهذه البلاد التي تضطلعُ بمسؤوليَّةٍ جسيمةٍ جديرةٌ بأن تُولي الثقافةَ الإسلاميَّةَ ودراسةَ القرآن عنايةً عظيمة، وإنَّ وزيرَ المعارف الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ حَريصٌ على إصلاح مناهج التعليم وجعلِها تحقِّقُ هذا الهدف، ونأمُلُ أن نرى من التباشير ما يحقِّقُ ذلك الإصلاح؛ كإنشاء المدارس الكثيرة لتحفيظ القرآن.

ولهذه البلاد إمكانيَّاتٌ أكثرُ ممَّا لدى بلدٍ كليبيا، والمتخرِّجون من الكليَّاتِ والجامعات يتضاعَف عددُهم ويطَّرد، ومع أنِّي لا أعرفُ عن عددِ المدارس المختصَّةِ بتحفيظ القرآن إلَّا أنِّي أحسبها قليلة، والتعليمُ في بقيَّة المدارس والمعاهد والكليَّات بوضعها الحالي لا يتخرَّجُ به حافظٌ للقرآن، ما لم يكن قد حَفِظَ في الكتاتيبِ القديمةِ التي اضمحلَّت بعد إنشاء المدارس الحكوميَّة أو كادت.

ونتيجةً لكثرة الدروس في المدارس الرسميَّة لا تكون الحِصصُ المُخَصَّصة للقرآن كافيةً ليحفظَه الطالب.

وبديهيٌّ أنَّ من أوَّل واجبات المسؤولين عن التعليم وكلِّ مسؤولٍ العنايةَ بدراسة القرآن الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فُصِّلَت: ٤٢]، والذي وصفَه الله بقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦﴾ [المَائدة: ١٥-١٦]، ووصفَه الرسولُ بقوله: «إنِّي تاركٌ فيكم ما إن تمسَّكتُم به لن تَضِلُّوا: كتابَ الله وسنَّتي»، وأخبرَ عن فضل تعلُّمه وتعليمه بقوله: «خيرُكم مَن تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَه».

وهو الذِّكر المحفوظ؛ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحِجر: ٩]، وحَسْبُ هاجره وعيدًا وتهديدًا قولُه عزَّ من قائل: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ۝٣٠﴾ [الفُرقان: ٣٠].

ودعوتُنا لإنشاء المدارس لتحفيظ القرآن لا تقتصرُ على وزارة المعارف وحدَها، ولكنَّها دعوةٌ موجَّهةٌ إلى الجهاتِ الرسميَّةِ والأهليَّة على حدٍّ سواء.

ولنتذكَّر أنَّ القرآنَ هو النورُ والهدى، وهو الحاجزُ دون تسرُّب مذاهبِ الهدم وشُبهات النصارى وتحريف اليهود وغير هؤلاءِ وأولئك، من المبطِلين أعداءِ الدِّين.

وليس ببعيدٍ ما صنعَه المستعمِرون والشُّيوعيُّون وما يعملونه ويخطِّطونه من محاربةٍ لتعليم القرآن، وإغلاقِ المدارس التي تُعنى بتدريسِه في كلِّ بلدٍ صار للمستعمِرين الشُّيوعيِّين والنصارى نفوذٌ فيه.

ولكنَّ اللهَ قيَّضَ لدينه أنصارًا، ولقرآنه حَفَظَةً، ولشريعته حُمَاةً؛ فلم تزل أنوارُ القرآن مُضيئةً، ومعالمهُ بيِّنة، وشعلتُه متوهِّجة في النفوس، وبقي على المسلمين في كلِّ مكان أن يلتفتوا نحوَ دراسة الدِّين، وألَّا يعبؤوا بمخطَّطات المستعمرين وتلامذتهم، بل ينبِذون كلَّ ضارٍّ منها نَبْذَ النَّواة، مهما أضفَوا عليها من بهرجةٍ وتحسينات، فما هي في حقيقتها إلَّا أدواتٌ ضدَّ القرآن، ومحاولةٌ لقطع صِلَةِ المسلمين عن ثقافتهم الصحيحة وتاريخهم المجيد.

تدريس القرآن في المغرب[1]

نشرت "جريدةُ الحياةِ" اللبنانيَّة في عددها (٦٩١٣) في ٢٧/ ٧/ ٨٨هـ، الموافق ١٩ تشرين الأوَّل ١٩٦٨م تحتَ عنوان: (إنشاء الكتاتيب القرآنيَّة في المغرب، ما اختطَّهُ ملكُ المغرب الحسن الثاني من طريقةٍ في التعليم تجعل من العنايةِ بالقرآن دراسةً وحفظًا وتأدُّبًا ولغةً شيئًا ذا أهميَّة بالغة في المغرب).

وقال الملكُ في خِطابه الذي ألقاه بهذه المناسبةِ السارَّة: «لقد قرَّرنا أن نبدأ حملةَ الكتاتيب في الأسبوعِ المقبلِ، وقرَّرنا أنَّ التلاميذَ سيدخلون الكُتَّاب في سنِّ الخامسة إلى السابعة، وقرَّرنا على أنَّ كلَّ تلميذ قضى سنتَين في الكُتَّاب سيحظى بالأسبقيَّةِ في الدخول إلى المدرسة».

هذه الخُطوةُ التي جاءت من المغرب هي خُطْوةٌ عظيمةٌ جديرةٌ بالتقديرِ والاحتِذاء.

(١) نُشرت في "صحيفة الجزيرة" العدد (٢١٨) في ٧/ ٨/ ١٣٨٨هـ.

إنَّ وعيَ الأمَّةَ الإسلاميَّةَ يستلزم التفاتَها نحو دينها، وأن تستمدَّ من القرآن تشريعاتِها وأحكامَها وسياستَها واقتصادَها وثقافتَها وعسكريَّتَها، وكيف يتأتَّى لها ذلك إذا لم تكن قد درست القرآن ووَعَته واعتَنَت به؟!

لقد كان من أهداف أعداء الإسلام في الدرجة الأولى إبعادُ المسلمين عن القرآن، وصدُّهم عنه بشتَّى الأساليب، وفي مُقدِّمةِ ذلك: إضعافُ الحِصَصِ الدِّينيَّة في المدارس، وتقليلُ الدروسِ في القرآن.

وأعداءُ الإسلام على اختلاف عقائدهم ونِحَلِهم ومذاهبِهم يرَون في القرآن أكبرَ عَقَبةٍ تقفُ دونَ مَسخِ المسلمين وتحويلِهم عن دِينهم؛ لذا فقد شنُّوا عليه الغارة من جهاتٍ عدَّة، وبطرقٍ متنوِّعة، وبأساليبَ غايةٍ في المكرِ والشرِّ.

وإنَّ نظرةً إلى مناهج التعليم في أكثر البلاد الإسلاميَّة - أو كلِّها - لتُعطي الدليلَ الملموسَ على أنَّ لهذه التخطيطات أثرًا واضحًا قد يجهلُه - مع الأسف - كثيرون ممَّن يتصدَّون للتعليم، ويوجِّهون الناشئة من أبناء المسلمين.

وهذه الخُطوةُ الجيِّدة، بل هذا المشروعُ العظيم الذي قام به ملكُ المغرب لجديرٌ بأن يُقابَلَ بالترحيبِ والابتهاج، والدُّول الإسلاميَّة مَدعوَّةٌ لأن تنهجَ هذا النهج، وتقومَ بواجبها في هذا السبيل، فعليها مسؤوليَّةٌ خطيرة، وأمانةٌ جسيمةٌ حِيالَ أبناء المسلمين وأجيالهم المقبلة.

ولقد قال الرسول ﷺ: «خيرُكم مَن تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمه»، وقال: «ما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله يَتلُونَ كتابَ الله ويتدارَسونَه بينهم إلَّا نزلَت عليهم السَّكينة، وغَشِيَتهم الرحمةُ، وحفَّتهم الملائكةُ، وذكرَهم اللهُ فيمَن عندَه».

إنَّ المغربَ الذي نُكِبَ بالاستعمار عشرات السِّنين ثم تخلَّصَ من سيطرتِه في السِّياسة والاقتصاد والعسكريَّة، يسعى حثيثًا للسلامة من غزوةِ الاستعمار الثقافيِّ ورَواسبِه البغيضة.

فمَرحى لهذا العمل الجليل، وتحيَّةً من الأعماق، وتمنيَّاتٍ بأنَّ تسلُكَ الدُّول الإسلاميَّة الأخرى مَسلكَ المغرب في عودِها إلى القرآن لتربية أبنائها تربيةً إسلاميَّةً صحيحةً على ضوءِ القرآنِ المجيدِ، وعسى أن نسمعَ قريبًا

مشروعاتٍ مماثلةً في أنحاء عديدة من أرجاء الأرض، وما ذلك على الله بعزيز.



لغة القرآن[1]

كان من ضمن القرارات التي أصدرَها المؤتمرُ الإسلاميُّ، ونشرَتها الصُّحف ما ورد في القرار الأوَّل الفقرة رقم (١٠): «اعتبار لغة القرآن الكريم لغةً عالميَّةً لجميع الشعوبِ الإسلاميَّة مع وجوب تعليمها؛ لأنَّه لا يمكن فَهمُ دين الإسلام فهمًا صحيحًا إلَّا بها».

وجاء في القرار الثاني فقرة رقم (٨): «العناية بنشرِ الثقافةِ الإسلاميَّة، وتعليم لغةِ القرآن في البلاد الإسلاميَّة، ولا سيَّما البلادُ الإفريقيَّة؛ وذلك بتقديم المِنَح الدِّراسيَّة، وتخصيص البَعثات العلميَّة، وإرسال المعلِّمين والدُّعاة، وتقديم سائر أنواع المساعدات لنشرِ الثقافةِ الإسلاميَّة، والوقوفِ في وجهِ التيَّارات التي تحاول إبعادَ المسلمين عن دينِهم وزعزعةِ عقائدهم».

كم كان جميلًا أن يكون للغةِ العربيَّةِ هذا الاهتمامُ من قِبَل المؤتمر الإسلاميِّ، وهي به قَمِينةٌ، فاللغة العربيَّة لغةُ

---

(١) نُشرت في "الجزيرة" العدد (٤٥) في ١١/ ١/ ١٣٨٥هـ.

القرآن والدِّين، وهي لغةٌ سهلةٌ جميلة، بعيدةٌ عن الغُموض والتعقيد، وفيها السَّعَةُ والشمول؛ فلا تضيقُ بالجديدِ والمبتكَر، ولا تَعيا عن المُحدَثِ والمُختَرَع، ويتعلَّمها المسلم ليعرفَ دينَه ويفهمَ عبادةَ ربِّه، ويستبينَ دليله؛ فتكونُ طاعةً وقُربةً ينال عليها أجرًا ومثوبةً من الله.

وما إخَالُ مسلمًا يتقاعسُ عن معرفةِ لغةٍ هي وسيلته إلى فَهم دينه، وسبيلُه إلى إدراكِ هدايته، وطريقُه إلى أن يعِيَ واجباتِه الدِّينيةَ وعقيدتَه الإسلاميَّة.

ولذا فإنَّ ممَّا يُثلِج الصَّدرَ ويسُرُّ الخاطرَ أن يهتمَّ المؤتمرُ الإسلاميُّ باللغة العربيَّةِ، ويَسعى لدى الشعوبِ الإسلاميَّة لتعلُّم أهميَّة هذه اللغة وضرورة معرفتها.

إنَّ هذه اللغة التي نزلَ بها القرآنُ وشُغِفَت بها النفوس، وتكلَّم بها خلقٌ كثيرٌ - قد يبلغُ تَعدادُ المتكلِّمين بها في هذا العصر مئتي مليون شخص - وهجرَت شعوبٌ عديدةٌ لغاتِها الأصليَّة، واستبدلتها بالعربيَّةِ قانعةً راضيةً لا تريد عن العربيَّة بديلًا أو تحويلًا.

هذه اللغة التي أشاد بها الكثيرون، وطالَب بعضُ الغربيِّين أن تكون مادَّةً أساسيَّةً في المدارس الغربيَّةِ، وشهدَ

بفضلها الأعداء، وأطراها الشعراءُ - جديرةٌ أن تكون لغةً عالميَّة، وسبيلًا للتفاهم والتخاطُبِ.

يقول حافظ إبراهيم على لسان اللغة العربيَّة:

وَسِعْتُ كتابَ اللهِ لَفظًا وغايَةً وما ضِقْتُ عَن آيٍ بهِ وَعِظاتِ
فكَيفَ أَضِيقُ اليومَ عَن وَصْفِ آلَةٍ وتَنسِيقِ أسماءٍ لمُخْتَرَعاتِ؟!
أنا البَحرُ في أَحْشائهِ الدُّرُّ كامِنٌ فهَل سَأَلُوا الغَوَّاصَ عَن صَدَفاتِي؟

وقد كتبتُ كلمةً في "مجلَّة رابطة العالم الإسلامي" العدد (١٠) السنة الثانية، واقترحتُ فيها أن تقومَ الرابطةُ بإفهام الشُّعوب فضائلَ اللغة العربيَّة ومِيزاتِها، والفوائدَ التي تعودُ على تلك الشُّعوب فيما لو دَرَسَت اللغة العربيَّة ووَعَتها..

وها هي الدَّعوة تأتي على نطاقٍ واسعٍ من المؤتمر الإسلاميِّ، وفي صُلب قراراته المهمَّة، والشيءُ الذي يدعو إلى الحِرص على نشر اللغة العربيَّة، ولا سيَّما بين الشُّعوب الإسلاميَّة ما للُّغة من صِلَةٍ بالدِّين وثيقةٍ ورابطةٍ متينة.

وفي هذا الصَّددِ يقول شيخُ الإسلام ابن تيميَّة في كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم" (ص٢٠٦-٢٠٧): «وإنَّما الطريقُ الحَسَنُ اعتيادُ الخِطابِ باللغة العربيَّةِ، حتَّى يتلقَّنها

الصِّغارُ في الدُّور والمكاتب، فيظهرُ شِعارُ الإسلام وأهلِه، ويكونُ ذلك أسهلَ على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسُّنَّة وكلام السَّلف، بخلاف مَن اعتادَ لُغةً ثم أراد أن ينتقلَ إلى أخرى فإنَّه يصعُبُ عليه.

واعلَم أنَّ اعتيادَ اللغة يؤثِّرُ في العَقلِ والخُلُقِ والدِّين تأثيرًا قويًّا بيِّنًا، ويؤثِّر أيضًا في مشابهة صَدرِ هذه الأمَّةِ من الصَّحابةِ والتابعين، ومشابَهتُهم تزيدُ العَقلَ والدِّينَ والخُلُق.

وأيضًا فإنَّ نَفْسَ اللغة العربيَّةِ من الدِّين، ومعرفتُها فرضٌ واجب؛ فإنَّ فَهمَ الكتابِ والسنَّة لا يُفهَمُ إلَّا بِفَهمِ اللغة العربيَّة، وما لا يتمُّ الواجبُ إلَّا به فهو واجبٌ».

وما دامَ تعليمُ اللغة العربيَّة مؤدِّيًا إلى فَهم الدِّين، وإدراكِ مقاصدِه، فلا عجبَ أن يقول أميرُ المؤمنين عمرُ ابن الخطَّاب رضي الله عنه: تعلَّموا العربيَّة فإنَّها من دِينكُم، وتعلَّموا الفرائضَ فإنَّها من دِينكُم. وكتب مرَّةً إلى أبي موسى يقول: أمَّا بعد؛ فتفقَّهوا في السُّنَّةِ وتفقَّهوا في الدِّين، وتفقَّهوا بالعَرَبيَّة، وأعربوا القرآنَ فإنَّه عربيٌّ.

وممَّا يُؤسَف له أن يُولَعَ بعضُ النَّاس بالأسماءِ الأجنبيَّة الإفرَنجِيَّةِ في الكتابات المُعلَّقَةِ فوقَ الحوانيتِ وفي

المخاطَبات والمكاتَبات، ويَهجرون اللغة العربيَّة، وهي أخفُّ على اللِّسان، وأحسنُ وَقعًا في النَّفس، وأسرعُ إلى الفَهم.

وواجبُ الغيورين على لُغةِ القرآن مقاومةُ هذه الأعمال، ووأدُها في مَهدِها قبلَ استفحال شرِّها وتفاقُم خطرِها؛ فهي مِعوَلٌ هدَّامٌ في اللغة العربيَّة.

وإنا نأملُ المبادرةَ من المسؤولين إلى إزالة هذه اللَّوحات، والمنعِ من استعمال هذه الأسماء بجميع الصُّور والألوان.

وبالله التوفيق.



 اللغة العربيّة لغة عالميَّة[1]

نشرت "جريدةُ المدينة" في عددها (٤٨٧) في ١٥/ ٦/ ٨٥ أنَّ وزراءَ خارجيَّة الدَّول العربيَّة قرَّروا في اجتماعهم بمقرِّ الأُمَم المتَّحدة أن تكون خُطبُهم في الدَّورة الجديدةِ للأُمم المتَّحدة باللغة العربيَّة، وهذه أوَّلُ مرَّةٍ يتحدَّثُ فيها وفودُ الدُّول العربيَّة بلُغتهم.

وهذا الخبرُ له أهميَّةٌ قُصوى؛ فهو يعني أنَّ العربَ قد آنَ لهم أن يُبرزوا لغةَ القرآن في المحافل الدوليَّة، وأن يفرضوها كلُغةٍ يتكلَّمُ بها ما يُقارب مئتي مليون نَسَمَة من العرب والمسلمين، وألَّا يُذيبوا شخصيَّة اللغة في لغات المستعمرين ولُكنَتِهم.

إنَّ اللغة التي كانت قرونًا عديدةً لغةً عالميَّةً ذابَت فيها لغاتٌ كثيرةٌ، وأدَّت دورَها كاملًا وعلى خيرِ ما يُرام، وهي غَنِيَّةٌ بألفاظها ومعانيها وتصرُّفاتها واشتقاقاتها لم تَضِق بالجديد، ولم تَقْصُر عن المستحدَث، ولم تَعيَ عن أن

(١) نُشرت في "الجزيرة" العدد (٧٠) في ١٦/ ٧/ ١٣٨٥هـ.

تقوم بما يُراد منها.

وإذا كانت عواملُ عدَّة قد جعلت اللغة العربيَّة في مَعزِلٍ عن الشؤون العالميَّة في الاجتماعات والمؤتمرات؛ وذلك لضعف العرب، وغَلَبَةِ المستعمِرين، وتحكُّمهم في شؤون العرب، ولأنَّ أهداف المستعمِرين في إبعاد اللغة العربيَّة كخُطَّةٍ من مؤامرةٍ كبيرةٍ تسعى للقضاء على الإسلام، وإضعافِ شأن الروابط بين المسلمين.

وإذا كان الاستعمارُ قد تقلَّص ظِلُّهُ من أقطارٍ كثيرةٍ، واستقلَّت الدُّول العربيَّة تقريبًا، وتخلَّصت بقيَّةُ الدُّول والشعوب الإسلاميَّة في أكثر أقطارها من الاستعمار البغيض - فإنَّ الكابوسَ الذي حاول الاستعمار إبقاءَه في بلاد العرب، و(مركَّبات النَّقصِ) التي أرادَ أن تبقى مدَّة طويلةً في هذه البُلدان يجب أن يتخلَّصَ منها العربُ والمسلمون.

وبدأت التباشيرُ تَلوح؛ فقرَّرت الصُّومال - البلد المسلم - تدريسَ اللغة العربيَّة في جميع المدارس الابتدائيَّة منذ أشهر، وغانا - التي يقطُنها أكثريَّةٌ مسلمةٌ - قرَّرت حكومتُها اعتبارَ اللغة العربيَّة لغةً رسميَّةً منذ مدَّة

ليست بعيدة.

وهذا الخبرُ الذي نعلِّق عليه لا يقِلُّ أهميَّةً عن ذَينِكَ الحَدَثَين الهامَّين بالنِّسبة للُّغة العربيَّة العظيمة، بل إنَّ هذا في نظري يفوقُهما من بعض الاعتبارات؛ ذلك أنَّ هذا الخبرَ يعني أنَّ العربَ قد طرحوا جانبًا (مُركَّبَ النَّقصِ) الذي غرسَه الاستعمار وغذَّاهُ طويلًا، وبدأت ثقتُهم في أنفسهم ولغتهم - التي هي لغة الدِّين الإسلاميِّ الحنيف - تعودُ إليهم بعد طُولِ غِياب.

إنَّنا نطلبُ بإلحاحٍ بالغ أن يستمرَّ العرب، وأن يعملوا على الاتِّفاق مع بقيَّة البُلدان الإسلاميَّة على أن تكون اللغة العربيَّة هي اللغة التي يخطُبون بها في كلِّ مَحفِلٍ ومؤتَمَر، سواءٌ اعتُبرت رسميَّةً أم لم تُعتبَر.

إنَّهم لو صمَّموا على هذا فسوفَ لا يرفعون من قدر أنفسِهم في نظر العالم فحَسْب، ولكنَّهم سيُنَمُّون الثِّقَة في شعوبهم في اعتزازهم بلُغةٍ تربِطُهم بأمجادهم، وتراثِهم الحافِل وتاريخِهم الناصِع.

وما ينبغي أن يُولوه للُّغة العربيَّة من عنايةٍ فائقةٍ ورفعٍ من شأنِها، وإطلاع العالَم على ما تحويه من ذخائر،

وكنوزٍ نفيسةٍ، وشُمولٍ في التعبير، وقوَّةٍ في الأداء، وجمالٍ في التركيب، وأنَّها تفوقُ كلَّ لغةٍ أخرى في كلِّ ناحيةٍ من نواحيها، وطريقةٍ من طرائقها.





الحكومةُ العالميَّة[1]

نشرت "جريدةُ المدينة" في عددها (٢٨٣) في ٧ شوال ٨٤، خبرًا عن المُؤرِّخ الشهير توينبي توقَّع فيه مولدَ حكومةٍ عالميَّة؛ باعتبار ذلك أهونَ شرًّا من محوِ البشريَّة بالأسلحة النوويَّة، وقال: إنَّ قيام الحكومة العالميَّة سيتحقَّق بعد طولِ تردُّدٍ وقبلَ أن تقع الكارثة، ومضى يقول: إنَّ حكمَ العالم الآن هو أسهلُ على الإنسان ممَّا كان حكمُ أثينا على اليونانيِّين القُدامى، وقال: «إنَّ المشكلة الرئيسيَّة التي تعترض الوِفاقَ في العالم هي تسلُّط الرُّوح القوميَّة على الأفراد والأُمم» .

إنَّ هذا الذي يترقَّبُهُ توينبي المؤرِّخ الإنكليزيُّ هو أمنيَّةُ الكثيرين في العالم، وذلك ممَّا دعا إلى إنشاء (عُصبة الأُمم) ثم (هيئة الأُمم)، كلُّ ذلك تقريبٌ للشعوب من بعضها، وإيجاد سُبل التفاهم؛ حتَّى لا تُصاب البشريَّة بكارثةٍ نتيجةَ النِّزاعات والمطامع.

---

(١) نُشرت في "مجلة رابطة العالم الإسلامي" العدد (١٠) السنة الثانية.

ومع أنَّ الهيئات الدوليَّة وُجِدَت إلَّا أنَّ وجود حكومة عالميَّة يبدو بعيدًا في الوقت الراهن، ولكن ذلك لم يمنع أصحابَ المذاهبِ المختلفة من سعيهم لإنشاءِ مثل هذه الحكومة فيما لو تحقَّقَ لهم نشرُ مذهبِهم بصورةٍ تمكِّنُهم من الوصول إلى هذه الغاية.

فالشُّيوعيَّةُ العالميَّة لا تخفي رغبتَها في تحقيق ذلك، إمَّا بالطُّرقِ السلميَّة كما يراه قادةُ روسيا الحاليون، وإمَّا بطريق القوَّةِ كما يراه الصِّينيُّون الشُّيوعيُّون.

ولكن هذه أحلامٌ ضائعة؛ لأنَّ العالم لن يقبلَ حكمًا ديكتاتوريًّا لا يُقيم للإنسان وزنًا، ويقتلُ في الفرد رُوحَ الطُّموح والتنافس، ويعتبرُ الفردَ آلةً صمَّاء، ولا يحقِّقُ للنفسِ هناءها، ولا للرُّوح هدوءها، بل يجعل المرءَ يعيش في فراغٍ قاتلٍ، فهي لا تؤمن بالله، ولا بالأديان، ولا بالمعاد والحسابِ والجنَّة والنَّار، وإنَّما هي مادِّيَّةٌ متحجرةٌ طاغيةٌ.

وهناك الرأسماليَّة التي تتكتَّلُ في أحلافٍ وأسواقٍ مُشتركةٍ ومنظَّمات متعدِّدة، وهذه أيضًا لا يمكن أن تحقِّقُ للإنسان بُغيتَه؛ لأنَّ مقاييسَها للأشخاص على قدر

ما يملكون من مال، كما أنَّ واقعَها المتنكِّرَ للقِيَم الأخلاقيَّة لا يجعلها جديرةً بحُكم العالم، وديانتُها دَخَلَها كثيرٌ من التحريف والتغيير، وشريعتُهم منسوخة.

والصِّهْيَونِيَّة العالميَّةُ ترى أنَّ العالمَ يجب أن يخضعَ لسُلطانها، وأن النَّاسَ عبيدٌ لشعبِ الله المختار - كما يسمُّون أنفسهم - وأنَّ كلَّ ما في الأرضِ فهو مِلكٌ لهم، من حقِّهم استعادتُه بأيِّ وسيلة مهما كانت شرِّيرة، وقد خَبَرَتهم ألمانيا ودولٌ كثيرةٌ، ونبذَتهم البشريَّةُ فضلًا عن أن تقبلهم حكَّامًا لها.

وفي المذاهب البُوذيَّة والكنفوشيَّة والمجوسيَّة وأشباهِها الكثيرُ من الخُرافات والقسوةِ ومنافرةِ الطِّباع؛ كتحريم أكل اللُّحوم، وتعظيم البقر وعبادتها، وعبادة الشمس والنِّيران، ونكاح ذوات المحارم - كما في المجوسيَّة - إلى غير ذلك ممَّا هو معلومٌ وموضَّحٌ في كتب العقائد والتاريخ، بالإضافة إلى أنَّها لا تستندُ على وحيٍ سماويٍّ يجد التقديسَ في النفوس والاحترامَ في القلوب، وإلى صعوبة اللُّغات وتشتُّتها في هذه المذاهب؛ ممَّا يجعل قَبولَها أمرًا مستحيلًا.

إذن فالعالمُ يعيشُ في فراغ: فراغٍ نفسيٍّ ورُوحيٍّ وفَراغ في الثقافة العلمانيَّة أو الخُرافيَّة، وفراغ في العقولِ والقلوب، ولا يملأ هذا الفراغ، ويُعيدُ إلى الإنسانيَّة طُمأنينتَها، ويحقِّقُ للعالم هَناءَه وسعادتَه وأمنَه وطُمأنينتَه إلَّا دينُ الإسلام الذي بعثَ الله به رسولَه محمَّدًا ﷺ رحمةً للعالَمين، ليخرجَ النَّاسَ من الظلماتِ إلى النُّورِ بإذن ربِّهم، والذي بُعِثَ خاتمًا للأنبياء، ورسولًا إلى النَّاسِ كافَّة، لا فرقَ بين لونٍ ولون وجنسٍ وجنس ومذهبٍ ومذهب ووطنٍ ووطن؛ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، شريعةٌ حُفِظَت من المَسْخِ والتغيير، وديانةٌ سَلِمَت من التحريفِ والتبديل؛ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحِجر: ٩].

قرآنٌ يهدي للتي هي أقوَم، نَزَلَ بلسانٍ عربيٍّ مُبين، وديانةٌ سَمْحَةٌ نقيَّةٌ من شوائبِ الخُرافات والضلالات، ومن أوضارِ الانحلالِ والإلحاد، وشريعةٌ وَسَط، فلا غلوَّ ولا تقصير، ولا بخلَ ولا تبذير، ولا تشديدَ ولا إهمال؛ ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۝٢٩﴾ [الإسراء: ٢٩]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى

ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البَقَرَة: ١٤٣] وقال الرسولُ ﷺ: «أُعطِيتُ خمسًا لم يُعطَهنَّ أحدٌ قبلي...»، وذكر منها: «وكان النبيُّ يُبعَثُ إلى قومِه خاصَّةً وبُعِثتُ إلى النَّاسِ عامَّة».

والشريعةُ الإسلاميَّةُ تحقِّقُ للفردِ كرامتَه وطُموحَه، وتُعطِي للجماعةِ حقَّها وعِزَّتها، ولا تجعل المرءَ ماديًّا بحتًا جامدَ القلبِ والإحساس، ولا تتركُه عاطفيًّا لا تفكيرَ له ولا رأي، ولا تُطلِقُ للجسد العِنانَ بلا حدودٍ ولا قُيود، ولا تحرمُه من المتعةِ واللذَّات المُباحة، والطيِّبات من الرِّزق؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ﴾ [البَقَرَة: ١٧٢]، ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾ [الأعرَاف: ٣٢].

أجل؛ إنَّ العالمَ سيتحقَّقُ له الأمنُ والطُّمأنينةُ يومَ يُدرِكُ أنَّ دينَ الإسلام حقٌّ، وأنَّه للبشرِ أجمعين، ويعتنقُ الإسلامَ راضيًا طائعًا.

ولغةُ القرآن (العربيَّة) لغةٌ غَنيَّةٌ بمفرداتها وأساليبها واشتقاقاتها، سهلةُ الألفاظِ والتراكيب؛ فهي قابلةٌ لأن تكونَ لغةً عالميَّة.

وقد أثبتَ التاريخُ والواقعُ ذلك؛ فها هي شعوبٌ كانت لها لغاتٌ متعدِّدَة، وهي اليوم تتكلَّمُ بلغةٍ مشرقةٍ واحدةٍ هي اللغة العربيَّة، وتدينُ بالإسلام لا ترضى عنه بديلًا، ولم تُفلح دِعاياتٌ ممَّن بذلوا كلَّ جهدٍ لثَنيِهم عن دِينهم، وردِّهم عن لُغتهم العربيَّة، فباءت جهودُهم بالفشلِ الذَّريع.

ومن الصُّدَف أن أقرأ في "جريدة المدينة" أيضًا في العدد (٢٨٧) وتاريخ ١١/ ١٠/ ٨٤، ما يلي: تقرَّرَ في غانا تدريسُ اللغة العربيَّة في المدارس الحكوميَّة واعتبارُها لغةً رسميَّة، وقد أعلنَ ذلك نيكروما رئيس جمهوريَّة غانا.

إنَّ حكومةَ غانا لم تقرِّر اعتبارَ اللغة العربيَّة لغةً رسميَّةً اعتباطًا، ولكنَّها رأت فيها السُّهولةَ والغُنْيَةَ واستيفاءها لما يُطلَب في لغةٍ عظيمةٍ راقية.

ومن الغريبِ أنَّه في هذه الأيَّام تريدُ حكومةُ الهند إلزامَ الهنود باللغة الهنديَّة، وأنَّ الاضطرابات تجري في تلك البلاد بسبب اعتبار اللغة الهنديَّة لغةً رسميَّةً، تُرى لو أنَّ الهنودَ اختاروا اللغة العربيَّة - وفيهم خمسون مليون ينتمون للإسلام أو أكثر، يرحِّبون بها أيَّما ترحيبٍ حسبما

نعتقد - فماذا يكون استقبالُ النَّاس لها؟

على أيِّ حالٍ فإنَّنا نجزمُ بشيءٍ لا يُخامرنا فيه شكٌّ، هو أنَّ ذلك لو جرى فسيكون من صالحِ الهنودِ أنفسِهم؛ لأنَّهم سيجدون فيها اللغة التي يتمنَّون أن يجدوها، ومثلُ الهند دُولٌ أخرى في لغتها من الصعوبة ما أوجبَ النُّفورَ والمشقَّة في التفاهم، فحبَّذا لو أنَّ الرابطةَ الإسلاميَّة قامَت بدَورِها المهمِّ في تعريف العالم بمزيَّةِ اللغة العربيَّة، وصلاحيَّتها للاستعمال في كلِّ بلد، إنِّي أحسَبُها ستفعل ذلك عاجلًا إن لم تكن قد فعلَت.

والسلام على مَن اتَّبع الهدى.



دورة تعليميَّة قبل الابتِعاث[1]

يتعرَّضُ الطَّلَبةُ الذين يدرُسون في الخارج لبعض المشكِلات، وهناك جهاتٌ مُعيَّنَةٌ يمكن أن تعمل على حلِّ كثيرٍ ممَّا يُصادِفُ الطلَبَة من نواحٍ مادِّيَّةٍ مثلًا، غير أنَّ هناك مشكلةً تُعدُّ بحقٍّ ذاتَ خطرٍ بالغ؛ ألا وهي ما يُلاقيه الطلَبة من أسئلةٍ عويصةٍ بالنسبة للكثيرين منهم تدورُ حولَ العقيدة الإسلاميَّة، والشريعةِ المحمديَّة.

وقد لا تكون أسئلةً بالمعنى الصحيح وإنَّما هي شُبهاتٌ وتَلبِيسات، يُقصد منها زعزعةُ العقيدة، وإحراجُ المسلمين الذين لم يدرُسوا الشريعةَ دراسةً مَتِينة، ولم يعرفوا الحكمةَ في تلك التشريعات، وبالتالي لا يستطيعون الإجابةَ على الأسئلة ودَحضَ الشُبَهِ التي يروِّجُ لها المبشِّرون وأشباهُهم.

وهذه ناحيةٌ على جانبٍ عظيمٍ من الأهميَّة، وهي مَثارُ الحديثِ لدى الطلَبة وقد كتبَ عنها بعضُ الكتَّاب، وربَّما

---

(١) نُشرت في "النَّدوة" العدد (٢٣٢٩) في ١٠/ ٦/ ١٣٨٧هـ.

تكون الجهاتُ المعنيَّةُ قد اتَّخذت بعضَ الاحتياطات، وعَمِلَت على دَرْءِ هذا الشرِّ قبلَ استفحاله، ومع ذلك فإنَّ هذه الكلمةَ للتذكير، سواء لأولياءِ أُمور الطلبة أو للطلبة أنفسِهم، أو للجهات الحكوميَّة التي ابتعثَت الطلبةَ للدِّراسة في الخارج.

وأحسَبُ أنَّ وزارةَ المعارف - وهي تضطَلِعُ بالقِسطِ الأكبرِ من ابتِعاثِ الطَّلبة، وعلى رأسها وزيرُها الغَيورُ على معتقَداتِ الأمَّةِ وتنشئةِ الأجيال تنشئةً إسلاميَّة سليمة - هي الجهةُ التي يمكن أن توجَّهَ إليها هذه الكلمة، وأن يُطلب منها أن تُعالج هذا الموضوعَ بالتعاون مع الجهات الأخرى، ومع الطَّلبة وأولياء أُمورهم، هذا إن لم تكن قد نفَّذت ذلك من قبل.

وما أوَدُّ أن تقوم به الوزارة في هذا الصَّدَدِ هو أن تجعل دورةً دراسيَّةً يتلقَّاها كلُّ من يُراد ابتعاثُه لمدَّةِ شهر، يُدرِّسُ فيها أساتذةٌ أكفاء لهم درايةٌ بأوضاعِ العصر ومشكلاته، ولديهم سَعَةُ اطِّلاع في المعرفة الشرعيَّة، ويتطرَّقون للنواحي التي يدور غالبًا حولَها النِّقاشُ بين الطلَبة ومُخالِفيهم من ذوي المعتقدات الأخرى.

وأن تُناقَشَ هذه المواضيعُ وتُبحث، على قدرِ ما يتحمَّله الوقتُ المخصَّص: شُمولُ رسالةِ محمَّد ﷺ، وختمُ الأديان بالدِّين الإسلاميِّ، وأنَّ الشريعةَ الإسلاميَّة لجميعِ البشر، والمقارنةُ بين الإسلام والشرائع المنسوخة، وموقفُ الإسلام منها، وبحثُ تعدُّدِ الزوجات، والطَّلاق، والحكمةُ في تحريم الخمر، ولحمِ الخِنزير، وأعيادِ المشركين، والرِّبا...

إنَّ مثلَ هذه البحوث ستكون ذاتَ نفعٍ كبيرٍ، وستُؤتي ثمارَها بإذن الله.

وأظنُّ أنَّ كلًّا من جهاتِ الاختصاصِ ومن أولياءِ أُمور الطلَبة، ومن الطلَبة أيضًا سيرحِّبون بذلك، ويقدِّرون لوزارة المعارف هذا العملَ الجليل.

وإذا قيل: إنَّ بعضَ الطلَبة قد لا يلتحقُ بهذه الدَّورة، أو إنَّ بعضَ أولياء أُمور الطَّلَبة قد لا يطبِّقُ ذلك، فالحلُّ ميسورٌ، وذلك بألَّا يُبتعَث أحدٌ قبلَ أخذِ شهادة الدَّورة، ومَن ابتُعِثَ من غير طريقِ وزارةِ المعارف ولم يلتحِق بتلك الدَّورة بعد إيجادِها لا تقبلُ الوزارةُ شهادتَه.

وهذا رأيٌ أُبديه، وآمُلُ أن يحظى بالعناية؛ لما

للموضوعِ من أهميَّةِ بالنِّسبةِ لمستقبلِ البلادِ، ومستقبلِ الأجيال، وللأمَّةِ الإسلاميَّة جمعاء.



الطَّلَبة مرَّةً ثانية[1]

والحديثُ عن الطَّلَبَةِ مُتشعِّب، وليس من غرضنا الإطنابُ وسردُ الأشياء، ولكن أُريد في هذه الكلمة أن أشيرَ إلى نُقطةٍ مهمَّة؛ فالطَّلَبَةُ - كما هو معلومٌ - يُعَدُّون سفراء لبلادهم على مستوًى شعبيٍّ؛ إن شِئتَ التحرُّزَ في التعبير.

وجميعُ دولُ العالم تُولي موضوعَ الطَّلَبَة المبتعَثين اهتمامًا كبيرًا، وتُحاولُ الاستفادةَ من جُهودِهم وثَقافتِهم واحتكاكهم بالشُّعوبِ الغربيَّة؛ بحيثُ يكونون دُعاةً لبلادهم؛ يُعطُون عنها الفكرةَ الحَسَنَة، ويبثُّون التعاليمَ والأفكارَ والمعتقَداتِ التي تُمارسُها دولتُهم، وتسهِّلُ لهم ما يعينُهم على أداءِ هذا الغَرَض؛ فتُمِدُّهم بالكتبِ والنَّشرات، وتُرشِدُهم إلى ما ينبغي أن يتَّخذوه من مواقف، وقد جَنَت الدُّول من ذلك كثيرًا ممَّا تريد، ووجَدت الغُنْمَ عظيمًا، والتكاليفَ سهلةً بسيطة.

وإذا كان هذا ما يفعلُه الآخرون، وهم ليس لهم من

(١) نُشرت في "النَّدوة" العدد (٢٣٣٣) في ١٤/ ٦/ ١٣٨٦هـ.

الأهداف الساميةِ والغاياتِ النَّبيلةِ ما لهذه البلاد التي تَضطَلِعُ بأعظم دعوةٍ وأشرفِ رسالةٍ وأقوَم شريعة، وهي تتحمَّل هذه المسؤوليَّةَ العُظمى التي تحتاجُ إلى تكريسِ كلِّ الجهود، وبذلِ كلِّ الطاقات، والاستعدادِ لمُجابَهةِ أعداء الإسلام على اختلافِ أجناسِهم وتبايُنِ أشكالهم، سواءٌ كانوا بارزِينَ بعَداوَتِهم، أو متلوِّنين تلوُّن الحِرباءِ ممَّن هم أشدُّ خطرًا وأكثرُ ضررًا.

لقد صمَّمت هذه البلاد مَهْبِطُ الوحي، ومأرِزُ الإيمان، ومَهوى أفئدة المسلمين في أصقاع الدُّنيا، بقادتها وعلمائها الأفاضل، ومفكِّريها النابهين، وأمرائها ووجهائها وجيشها، وجميع فئاتها الصالحة المهتدية - على السَّير في هذا الطريقِ اللاحِبِ غيرَ عابئةٍ بالمرجِفين، وأعداءِ الدِّين، وتلاميذِ الشُّيوعيين، وغيرَ مُكتَرِثَة بضجيج الصَّليبيِّين والصِّهْيَونِيِّين والمغرورين؛ لأنَّها تَعرفُ هدفَها، وتُدرِكُ واجبَها، وتَعي الدوافعَ التي حَدَت بأولئك إلى أن يُناوِئوها، ويَستَمِيتوا في مُعارضتِها، وينشُروا عنها الأقاويلَ المُفتَراة، والأضاليلَ المدسوسة.

ولا شكَّ أنَّ الطَّلَبةَ عليهم واجبٌ جَسيمٌ في هذه

المعركة الضارية، وخصوصًا الطلَبةَ الذين يدرُسون في الخارج؛ ويجب أن يتسلَّحوا بالمعرفة، ويتزوَّدوا بالثقافة، وأن يُعاونوا على أن يكونَ في مُتناوَلِهم ما يُقاومون به هذه التيَّارات والشُّبُهات.

ومن ذلك: تزويدُهم بالصُّحف والنَّشرات والكتبِ التي تُناضل عنِ الإسلام، وتبيِّنُ أهدافَ التضامنِ الإسلاميِّ والأخوَّةِ الدِّينيَّة، وتكشفُ أباطيلَ الاشتراكيِّين والشُّيوعيِّين والصَّليبيِّين والصِّهْيَونِيِّين، وأضرابِهم من المعادِينَ للإسلام.

وبذلك نُساهِمُ في إبعادِ الأخطار الفكريَّة، والتشويشاتِ الباطلة عن أذهان طلَّابنا في الخارج من جِهَة، ونستفيدُ من قُدراتِهم وطاقاتِهم في نشرِ الإسلام والدَّعوةِ إليه ودَحضِ شُبهات المُشبِّهين من جِهَةٍ ثانية.

ولا أحسَب ذلك يكلِّفُ مالًا كثيرًا ولا بذلًا عظيمًا، مع أنَّ فوائدَه جُلَّى ونتائجَه وَفيرة.

وقد سمِعتُ مِرارًا وقرأتُ عمَّا يُعانيه الطَّلَبَة في الخارج من قِلَّةِ وصولِ الصُّحف المحليَّةِ إليهم ونُدرتِها، وما يجدونَه لدى تلك المجتمعاتِ من نَظَراتٍ خاطئةٍ نحوَ الإسلام والبلادِ الإسلاميَّة، وما يفهمونه عنها خطأً من

تصوُّراتٍ بعيدةٍ عن الحقيقةِ وعن الصِّدق.

ويشكو الطَّلَبَةُ مُرَّ الشكوى من انعزالهم عن بلادهم عَزلًا يكادُ يكون تامًّا؛ بسببِ انقطاع الصُّحفِ والكتبِ والنَّشرات، ولا أقول هنا: إنَّ تلك الوزارةَ بعَينِها هي التي تتحمَّلُ أعباءَ ذلك، وهي بمفردِها مسؤولةٌ عنه، ولكنِّي أوَدُّ أن يُدرسَ الموضوعُ دراسةً وافِيَة، وأن تُشَكَّلَ لَجْنَةٌ من مُختَلِف الوزارات لكي تصلَ إلى نتيجةٍ مُرضِيَةٍ ذات فائدة، وإن كانت وزارتا المعارف والإعلام عليهما من المسؤوليَّةِ في هذا الشأن أكثرُ ممَّا على غيرهما.

إلَّا أنَّ ذلك لا يعني أنَّ بقيَّةَ الوزارات ليس عليها قِسطٌ من المسؤوليَّة؛ كما أنَّ (رابطةَ العالم الإسلامي) و(دار الإفتاء) و(الجامعة الإسلاميَّة) هي الأخرى ينبغي أن تُشارك في ذلك مُشاركةً فعَّالة، ولا أظنُّ أنَّ جِهةً من الجِهاتِ التي يعنيها الأمر ستتخلَّفُ عن القيام بهذا الواجبِ بعد أن تُدعى إلى المشاركة فيه.

إنَّها فكرةٌ آمُل أن تتحقَّق.



التماثيل من مظاهر الوثنيَّة(١)

كتب الأستاذُ سليمان قاضي في "جريدة المدينة" العدد (١٢٨٠) في يوم الاثنين ١٤/ ٣/ ١٣٨٨هـ مقالًا بعنوان (يوميَّاتي) استهلَّه بقوله:

«من واجبِ الدُّول العربيَّة الشقيقة المجاورة للدَّولة المِسخِ إقامةُ تماثيلَ لكلِّ فدائيٍّ فِلَسطِيني؛ لأنَّه بطلٌ يفتدي برُوحِه البلدَ المُقَدَّس وقلبَ العالم العربيِّ الذي أضعناه... إلى غير ذلك من الألفاظ العاطفيَّة، بل لأنَّ كلَّ فدائيٍّ يهزُّ إسرائيل».

ونحن لا نختلف مع الأستاذ سليمان في تقدير البطولةِ التي يقومُ بها الفدائيُّون والاعتزازِ بها، ولكن الدَّعوةَ إلى إقامة تماثيل هي التي نُعارِض رأيَه فيها؛ لأنَّها تتناقَضُ مع الإسلام؛ الذي دعا إلى هدم التماثيل، وحاربَها حربًا شَعْواء.

وليس بينَ علماءِ الإسلام نزاعٌ في تحريمها، ووجوبِ

---

(١) نُشرت في "صحيفة الدَّعوة" العدد (١٥٧) في ٢١/ ٣/ ١٣٨٤هـ.

تحطيمِها وإزالتها؛ إبعادًا للمسلمين عن الوثنيَّة ووسائلها ومبادئها، وسلامةً للعقيدةِ من أدران الشِّرك ومُبتدَئاتِه وما يلوِّثُ التوحيدَ ويقدحُ فيه.

ثم إنَّ المحاربين لتخليصِ فلسطين يجبُ أن يكون قتالُهم جهادًا في سبيل الله وابتغاءَ رضاه، متزوِّدين بالإيمان بالله؛ أملًا في نَيل ثَواب الشَّهادة إن قُتلوا، أو النصرِ المؤزَّر، ولا يكون قتالًا للعصبيَّة والفَخر؛ فقد سُئل الرسولُ ﷺ عن الرجل يُقاتِلُ حَميَّةً ويُقاتِلُ شجاعةً ويُقاتِلُ رِياءً؛ أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال: «مَن قاتل لتكونَ كلمةُ الله هي العُليا فهو في سبيلِ الله».

فالَّذين يُقاتلون لتحرير فِلَسطِين يجبُ أن يقتدوا بالمجاهدين المسلمين في سِيرتِهم وأخلاقِهم وآدابِهم، لا بالوثنيِّين والملحدين ومن يعكُفون على التماثيل ويَشِيدُونها.

لقد فتحَ أولئك المجاهدون الدُّنيا لأنَّهم آمنوا بالله واسترخَصوا الحياةَ؛ طلبًا لجنَّةٍ عرضُها السماواتُ والأرض أُعدَّت للمتقين، لا طَمَعًا في أن تُقام لهم التماثيلُ وتُنصَب لهم الأنصاب.

فلو كانت هذه أهدافَهم لم يستَبسِلوا؛ لأنَّ حبَّ الحياةِ

حينئذٍ يكون مسيطرًا عليهم؛ يَحول بينَهم وبين الإقدام واقتحام المخاطر، وستكون رغبتُهم في مشاهدةِ تماثيلهم مانعةً من زَجِّ أنفسِهم في المعارك بين طَعنِ القَنا وخَفقِ البُنُود، أو بينَ الدبَّابةِ والمِدفَعِ.

ولنتصوَّر تنفيذَ الفكرة التي اعتبرَها الأستاذُ سليمان القاضي واجبًا؛ فماذا سنرى؟! إنَّ شيئًا مُضحِكًا يرجعُ بالعقليَّة العربيَّة القَهْقَرى آمادًا طوالًا هو الذي سيقعُ عند ذلك.

إنَّنا سنجدُ الأعمال قد توقَّفت أو كادَت، وانصرفَ النَّاس إلى صُنع التماثيل، ولا ندري هل ستكون هذه التماثيلُ في المدن أو في القرى أو في الصَّحارى، أو تنشأ مدنٌ ليس بها سوى تماثيلِ الفدائيِّين؛ لأنَّ هؤلاءِ يُعدُّون بالآلاف أو بعشرات الآلاف، ويزدادُ عددهم يوميًا؟!

إنَّ الكاتبَ لا يقصدُ ذلك بكلِّ تأكيدٍ، ولكنَّ حماسَه وإعجابَه بالفدائيِّين جَعَلاه يُبدي مثلَ هذه الآراء الغريبة، وهو كمعلِّقٍ سياسيٍّ يعرف ما ينبغي للمعلِّق أن ينهجَه، لا يَشتَطُّ في الألفاظِ ولا يندفعُ في الآراءِ بلا دَرسٍ أو تمحيص، وإنَّما جوُّ الأحداثِ الصاخب وانتعاشُ الآمال

التي كادَ يدُبُّ اليأسُ إليها في الماضي، ثم انتفضت فجأةً على يدِ الفدائيِّين الفِلَسطِينيِّين كلُّ ذلك أثارَ عاطفتَه؛ فكتبَ ما كتب.

وإنَّه لرأيٌ لا ندري بماذا نصفُه ولا سيَّما وهو يصدُر من أرض الحرمَين الشَّريفين في "جريدة المدينة"! والعذرُ أنَّ لكلِّ سَيفٍ نَبوَة، ولكلِّ جَوادٍ كَبوَة؛ كما يُقال في المَثَل.

ولنتذكَّر ما قالَه حَبْرُ الأمَّة وتُرْجُمانُ القرآن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نُوح: ٢٣]؛ قال: هذه أسماءُ رجالٍ صالحين من قومِ نُوح، فلمَّا هلكوا أوحى الشَّيطانُ إلى قومِهم أن انصِبوا إلى مجالسِهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسمُّوها بأسمائِهم، ففعلوا فلم تُعبَد، حتى إذا هلكَ أولئكَ ونُسِيَ العلمُ عُبِدَت.

وقال العلَّامة ابنُ القيِّم: «قال غيرُ واحد من السَّلف: لمَّا ماتوا عَكفُوا على قُبورِهم، ثم صوَّروا تماثِيلَهم، ثم طالَ عليهم الأَمَدُ فعَبَدُوهم.

فهؤلاءِ جمعوا بين الفِتنَتَين: فتنة القُبور وفتنة التماثيل؛

وهما الفِتنتان اللَّتان أشارَ إليهما رسولُ الله ﷺ في الحديثِ المتَّفَقِ على صحَّته عن عائشة رضي الله عنها أنَّ أمَّ سَلَمَة رضي الله عنها ذكرَت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرضِ الحَبَشَةِ يُقال لها: مَارِيَةُ، فذكرَت له ما رأت فيها من الصُّوَر؛ فقال رسولُ الله ﷺ: «أولئك قومٌ إذا ماتَ فيهم العبدُ الصالحُ - أو الرجلُ الصالح - بنَوا على قَبرِه مسجدًا وصوَّروا فيه تلك الصُّورَ، أولئكَ شِرارُ الخَلقِ عندَ الله تعالى».

وفي لفظٍ آخرَ في الصَّحيحَين: أنَّ أمَّ حَبِيبَةَ وأمَّ سَلَمَة ذكرتا كنيسةً رأينَها.

فجمعَ في هذا الحديثِ بين التماثيلِ والقُبور، وهذا كان سببُ عبادةِ اللَّات...»[1].

وقال القُرطُبي:

«وإنَّما صوَّرَ أوائلُهم الصورَ ليتأسَّوا بهم، ويتذكَّروا أفعالَهم الصَّالحة، فيجتَهدوا كاجتِهادِهم، ويعبدوا اللهَ عندَ قُبورِهم، ثم خَلَفَهم قومٌ جَهِلوا مُرادَهم، فوَسوَسَ لهم الشيطانُ أنَّ أسلافَهم كانوا يعبدون هذه الصُّورَ

(١) "إغاثة اللهفان" (١/ ٢٠٣).

ويعظِّمونها».

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنبياء: ٥١-٥٧] الآيات.

ولا نُريدُ التوسُّعَ في هذا المَقام، وبإمكان المرءِ مراجعةُ التفاسير وكتبِ اللغة؛ ليطَّلِع هناك على ما ذكروه بتفصيلٍ وتحليل.

قال ابنُ منظور في "لسان العرب" (١١/ ٦١٣):

والتِّمثالُ: الصُّورة، والجمع: التماثيل...

والتِّمثالُ: اسمٌ للشيء المصنوع مشبَّهًا بخلقٍ من خلقِ الله، وجمعه: التَّماثيل، وأصلُه من: مَثَّلْتُ الشيءَ بالشيء؛ إذا قَدَّرتَهُ على قَدْرِه، ويكون تمثيلُ الشيء بالشيء تشبيهًا به، واسمُ ذلك الممثَّل: تِمثال.

وقال ابنُ القيِّم في كتاب "إغاثة اللَّهفان" :

«وتلاعُبُ الشَّيطانِ بالمشركين في عبادةِ الأصنام له أسبابٌ عديدةٌ، تَلاعَبَ بكلِّ قومٍ على قَدْرِ عُقولِهم؛ فطائفةٌ دعاهُم إلى عبادتها من جِهَةِ تعظيم الموتى، الذين صوَّروا تلك الأصنامَ على صُورِهم.

كما يروي هِشَام عن أبيه أنَّه قال: كان وَدٌّ وسُواعٌ ويَغُوثُ ويَعُوقُ ونَسْرٌ قومًا صالحين، فماتوا في شَهر، فجَزِعَ عليهم ذَوو أقاربهم، فقال رجلٌ من بني قابيل: يا قومُ؛ هل لكم أن أعملَ لكم خمسةَ أصنام على صُورِهم غيرَ أنِّي لا أقدِرُ أن أجعلَ فيها أرواحًا؟ قالوا: نعم. فنَحَتَ لهم خمسةَ أصنام على صُوَرِهم ونصبَها لهم، فكان الرجلُ يأتي أخاه وعمَّه وابنَ عمِّه فيُعظِّمه ويسعى حولَه حتَّى ذهبَ ذلك القَرْنُ الأوَّل، وكانَت عُمِلَت على عهدِ برد بن مَهْلَاييل بن قَيْنان بن أَنُوشَ بن شِيثَ بن آدم، ثم جاء قرنٌ آخرُ فعظَّمُوهم أشدَّ من تعظيم القَرنِ الأوَّل، ثم جاءَ من بعدِهم القرنُ الثالث، فقالوا: ما عظَّمَ أوَّلُونا هؤلاءِ إلَّا وهُم يرجونَ شفاعتَهم عندَ الله؛ فعبدوهم وعظَّموا أمرَهم واشتدَّ كفرُهم، فبعثَ الله إليهم إدريسَ، فدعاهُم فكذَّبوه،

فرفعه اللهُ مكانًا عليًّا، ولم يزَل أمرُهم يشتدُّ - فيما قال الكَلْبيُّ عن أبي صالح عن ابن عبَّاس - حتَّى أدركَ نُوحٌ فبعثَه الله نبيًّا».

وبعد؛ فإنَّ على الدُّول العربيَّة المجاورةِ لعصاباتِ الاحتلال واجبًا من نَوعٍ آخر تُجاهَ الفدائيِّين؛ وذلك بإمدادِهم بالسِّلاح والذخيرة، وإفساح المجال لهم ليعملوا لاستردادِ الأرض المُغتصبَة، وليُنقذوا فلسطينَ من براثنِ اليهودِ المعتدين، وأن تستعدَّ هذه الدُّول لخوضِ المعركة بكافَّةِ الوسائل، أليس كذلك؟!

هذا، وأرجو أن يكون في هذا الإيضاحِ كفاية.

وبالله التوفيق.



مأساة فَرد أم مأساة أمَّة![1]

يوسف عبد الله فالسي - هذا اسمُ إيطاليٍّ أسلَم، وكان اسمُه سابقًا: ماريو فالسي - نَشَرَت مأساتَهُ "جريدةُ البلاد" بتاريخ ١٢/ ١/ ٨٧، وهي مأساةٌ بحقٍّ.

كان يوسفُ يتقاضى مرتبًا قَدرُهُ ألفُ ريال قبلَ إسلامه، فلمَّا أسلمَ منذ أربع سنوات ناصبَه الإيطاليُّون المسيحيُّون العَداء، وفُصِلَ من العمل لدى ابن لادن، وفتحَ ورشة، وتسبَّبت وزارةُ العمل في قَفلها؛ فأصبحَ عاطلًا فقيرًا، فقَدَ زوجتَه وأولادَه وعملَه ومصدرَ كَسبِه، والشَّخصُ شريفٌ لا يريدُ صدقةً إنَّما يريد عملًا.

هذا مُلَخَّص القِصَّة؛ وهي قِصَّةٌ تُدمِي القلبَ وتَكلُمُ الفؤاد، وتُثيرُ في النفوس المؤمنةِ وفي الضمائر الإنسانيَّة أشجانًا وأحزانًا، وهي مأساةٌ عميقةٌ ليس بالنِّسبةِ لهذا الشَّخص الذي أُوذيَ بسبب إيمانِه ورجوعِه إلى دين الحقِّ وشريعةِ الإسلام والنور، وإنَّما بالنِّسبةِ لمستقبل البلاد،

---

(١) نُشرت في "اليمامة" العدد (٣٩٠) في ٢١/ ١/ ١٣٨٣هـ.

فهي تثيرُ الشَّفَقَةَ والألَمَ معًا أن يفكِّرَ مَن يدَّعون الوعيَ والثقافةَ - أو من يُفترض فيهم هذا - ومن أُنِيطَت بهم مسؤوليَّات جِسامٌ بمثل هذا التفكير، وأن تَبلُغَ بهم الاستهانةُ بدِينِهم وأواصِر القُربى مع أخٍ لهم يجبُ تأليفُه والاستبشارُ بهدايتِه وتسهيلُ سُبل العَيش الكريم له، إلى هذا الحدِّ، هذا وهو لم يبدُ منه ما يُثيرَ الرِّيبةَ فيه .

إنَّني ممَّن يقولون: إنَّ أبناءَ البلاد أحقُّ بمصالحها وأَولى بالتقديم؛ حيث إنَّهم يتحمَّلون من الأعباء تُجاه وطنِهم والحرصِ على مصلحته ودرءِ الشرِّ عنه أكثرَ من غيرهم، ولكن لا أريدُ أن يصلَ التعصُّب إلى هذا الحدِّ ولا أن نتجاهلَ الظروف والأحوال الاستثنائيَّة .

إنَّ دينَنا يعلِّمنا أنَّ المسلمَ أخو المسلم، ولنا في المهاجرين والأنصار أُسوةٌ، وأنَّ الله قد شَرَعَ حقًّا مفروضًا في الزكاة للمؤلَّفَةِ قلوبُهم.

وإنَّنا قبلَ ذلك وبعده يجبُ أن نعتزَّ بتعاليم دِيننا وشريعةِ نبيِّنا أكثرَ ممَّا نعتزُّ بقوانينَ وضعيَّةٍ قد تَصلُح لبلادٍ غيرِ بلادِنا ولأوضاعٍ غيرِ أوضاعِنا، وإن حقَّقت لأهلِها مصلحةً فقد تجني علينا بلاءً، وحتَّى الدُّول التي وضَعت

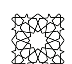
هذه القوانين والأنظمةَ لا تخلو نظمُها وقوانينُها من حالاتٍ استثنائيَّة .

وفي بلادٍ أوربيَّة وأمريكيَّة يجد العامل والوافد مجالًا للعمل والتكسُّب، وخاصَّة في ألمانيا وفي أمريكا الجنوبيَّة؛ حيث يوجدُ عددٌ كبيرٌ من العرب هناك يشتغلون في أعمالٍ شتَّى، ويزاولون مِهَنًا مختلفة، ومع هذا فهم يختلفون عن أهل تلك البلاد الأصليِّين في أشياءَ كثيرة، قد تكون اللغة أو الدِّين أو الرأي، ويجدون مجالًا رَحبًا .

ولا أريد أن يُفهَم من كلامي هذا أنَّي لا أُريدُ تقديم العامل السعوديِّ وتفضيلَه، بل على العكس نظرًا للأسباب التي ذكرتُها مُقَدَّمًا، وإنَّما أُريد أن تُراعى الظروفُ والأحوال، فلكلِّ حالةٍ لَبُوسُها، ولكلِّ مقامٍ مقال، وقلَّ أن تسلَمَ قاعدةٌ من استثناء.

والله المستعان.



 الحِمى من عادات الجاهليَّة[1]

كان من عادات الجاهليَّة أن يحمِيَ الرئيسُ أو الزعيم حِمًى يمنعُ غيرَه من ارتيادِه، ويحظرُ عليه الانتفاعَ بمائِه وكَلَئِه، واشتهرَ (حِمى كُلَيْبٍ) في التاريخ .

ومن طريفِ ما اعتادَه الجاهليُّون في حِماهُم أن يَستَنبِحوا كلبًا؛ فما بلغَ صوتُه اعتُبِر مَحْميًّا .

فجاء الإسلامُ فأبطلَ هذه العادةَ التي تَتَّسِمُ بالعَجْرَفَةِ والتضييقِ على النَّاس، وقد روى البخاريُّ وأحمدُ وأبو داودَ، من حديثِ الصَّعْبِ بن جَثَّامَةَ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا حِمَى إلَّا لله ورسوله».

وكم حربٍ قامَت بين العرب بسبب الحِمى! فجاء الشَّرعُ بإبطال ذلك؛ لما في الشَّرع من الكَمَال والعَدل.



(١) نُشرت في "الجزيرة" العدد (١٩٠) في ١٨/ ١/ ١٣٨٨هـ.

بل يتفاضَل الوقت![1]

كتب أخي الشيخ عبد العزيز بن محمَّد بن مبارك في صحيفة "اليوم" العدد (١٤٥) في ٢٥/ ٩/ ٨٧ كلمةً بعنوان (حديثٌ عن العيد).

استهلَّها بقوله: «الوقتُ من حيث هو - شهرهُ وعامهُ، ثانيتهُ وساعتهُ - وِعَاءٌ وظَرْفٌ، لا يمكن وصفُه بغير كونه كذلك، وإذًا فمتى وُصِفَ بالحسنِ والخيرِ والسعادةِ أو بغيرِ ذلك فإنَّما يلحظ الأحداث التي حصلَت فيه، وكان هو لها ظرفًا»، ثم ضربَ أمثلةً لذلك.

ثم قال: «إذًا الأحداثُ هي التي يمكن أن يلبسَ الزمنُ بها ثوبَ الخير والسَّعادة والحسن، وتُجَرِّدَه ذلكَ الثَّوب، وتَطرحَ عليه أَسْمالَ القُبْحِ والشَّقاءِ والشَّرِّ، وبقدر عِظَم ذلك الحدثِ فإنَّه بلا شكَّ يلفِتُ النظر، وقد يستوقفُ رَكبَ الإنسانيَّة أو أمَّته منها؛ ليتحصَّل من عَوْدِ ذلك الوقت الذي حصل فيه ما لَفَتَ نظرَها عيدًا يكون مُتَنفَّسًا لسرورها

---

(١) نُشرت في "صحيفة الجزيرة" العدد (١٧٨) في ١٧/ ١٠/ ١٣٨٧هـ.

ومُنطَلَقًا لبشرِها وسعادتها».

وأحبُّ أن أستمهل الأستاذَ الفاضلَ في نقطتين ممَّا شَمِلَهما هذا الحديث الذي أورَده، والبحثُ الذي ذكرَه:

أولاهما: سَلبُه عن الوقت فضائلَه، وحصرُها في الأحداث التي حصلَت فيه؛ لأنَّه ظرفٌ ووِعَاءٌ لا يمكن وصفُه بغير ذلك!

وثانيتُهما: أنَّه قد يُفهَم من هذا الكلام أنَّه لو حصلَ حدثٌ مهمٌّ كانتصارٍ في حربٍ مثلًا فيمكن اتِّخَاذ هذا اليوم عيدًا، وإن يكن الأستاذُ في آخر كلمته قد أوردَ ما يُنافي هذا المفهوم، حينَ قال: ولذلك فقد نفى رسولُ الله ﷺ ما عدا عيدَي الفِطرِ والحجِّ، ولكن خَشيةً من أن يتصوَّرَ بعضُ القُرَّاء الأمرَ بعكس حقيقتِه الشرعيَّة فقد رأينا مناقشةَ هذه النُّقطَةَ أيضًا.

وبالنسبة للنُّقطَةِ الأولى وهي: تفاضلُ الوقت، فقد دلَّت النصوصُ من القرآن والحديثِ بما لا يَدَعُ مجالًا للشَّكِّ في تفاضُله، وأنَّ الوقتَ يتفاضَل والمكان يتفاضَل، كما أنَّ البشرَ يتفاضَلون، والوقت الفاضلُ يكون العملُ الصالحُ فيه أفضلَ من العملِ في غيره.

وهذا القولُ هو الصوابُ ولا التفاتَ إلى ما يُخالِفُه؛ ويدلُّ عليه أدلَّةٌ كثيرةٌ؛ منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ [القدر: ١-٣]، وقولُه تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدّخان: ٣]، وقولُه ﷺ: «عُمْرةٌ في رمضانَ تَعْدِلُ حَجَّة» وقوله: «ما من أيَّام العملُ فيهنَّ أحبُّ إلى الله من هذه الأيَّام العَشَرة»، قالوا: ولا الجهادُ في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهادُ في سبيل الله، إلَّا رجلٌ خرجَ بنفسِه ومالِهِ فلم يرجِع من ذلك بشيء».

وورد في فضل يومِ الجمعة ما لم يَرِد في غيره من أيَّام الأسبوع.

وفي الحديث: «صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألفِ صلاةٍ فيما سِواه إلَّا المسجدَ الحرامَ»، وفي رواية لهذا الحديث عند الإمام أحمد: «وصلاةٌ في المسجدِ الحرام خيرٌ من مئةِ ألف صلاةٍ فيما سواه».

وفي (القرآن الكريم): ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ

وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلًاۚ ... ﴿٩٧﴾﴾ [آل عِمرَان: ٩٦-٩٧]، ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ اجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾ [البَقَرَة: ١٢٦].

وتفاضلُ الأرضِ مَن يرتابُ فيه! وشتَّان بين المسجدِ والمَزبلَة! وبين المدرسة والبالوعة! ويقول الشاعر:

وإذا تـأمَّـلـتَ الـبـلادَ وَجَـدتَّـهـا
تَشقى كما يَشقى الرِّجالُ وتَسعَدُ

والحيَواناتُ والأشجارُ والمياهُ والبحارُ تتفاضلُ؛ فالحصانُ ليس كالبغلِ، والعِنَبَةُ لا تُماثل العَوْسَجَة، والحجارةُ التي يُستخرج منها الذهبُ والفضَّةُ لا تُضاهي الحجارةَ الخاليةَ منها، والماءُ العذبُ الزُّلال لا يُقاسُ بالماءِ المرِّ الكَدِر، والبحرُ المملوءُ بالياقوتِ والمَرجانِ والأسماكِ لا يُداني البحرَ الذي تصطَخِبُ أمواجُه وتضطَرِبُ تماسيحُه.

وهذه سُنَّة الله في خلقه، وله الحكمةُ التي لا تُحيطُ بها العقول، ولا يقوى البشرُ على أن يُحيطوا بها علمًا؛

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الرُّوم: ٢٢].

وقد رأيتُ بحثًا نفيسًا للعلَّامةِ ابنِ القيِّم في الموضوع، فأحببتُ إيرادَه لما فيه من فوائدَ عظيمةٍ يحسُن بكلِّ طالبِ علم أن يُلِمَّ بها، وقد اشتملَت على استطراداتٍ ومناقشاتٍ ممتِعَة.

قال العلَّامةُ المُحقِّقُ محمد بن القيِّم في كتابه "زاد المعاد في هدي خير العباد" (ص١٥ -١٨)، ممَّا يُعَدُّ مَبحَثًا مفيدًا: «ولم يُوفَّق لفهم هذا المعنى مَن سوَّى بين الأعيانِ والأفعالِ والأزمانِ والأماكن، وزعمَ أنَّه لا مَزِيَّةَ لشيءٍ منها على شيء، وإنَّما هو مجرَّدُ الترجيح بلا مُرَجِّح.

وهذا القولُ باطلٌ بأكثرَ من أربعين وجهًا قد ذُكِرَت في غير هذا الموضع، ويكفي تصوُّر هذا المذهبِ الباطل في فساده؛ فإنَّ مذهبًا يقتضي أن تكون ذَواتُ الرُّسل كذَواتِ أعدائهم في الحقيقة، وإنَّما التفضيلُ بأمرٍ لا يرجع إلى اختصاصِ الذَّوات بصفاتٍ ومزايا لا تكون لغيرها، وكذلك نفس البِقاع واحدةٌ بالذات ليس لبُقعَةٍ على بُقعَة مزيَّةٌ البتَّة، وإنَّما هو لما يَقع فيها من الأعمال الصالحة،

فلا مَزِيَّةَ لبُقعَةِ البيت والمسجد الحرام ومِنى وعَرَفةَ والمشاعرِ على أيِّ بُقْعَة سمَّيتَها من الأرض، وإنَّما التفضيلُ باعتبار أمرٍ خارج عن البُقعَةِ لا يعود إليها ولا إلى وصفٍ قائمٍ بها.

واللهُ سبحانه وتعالى قد ردَّ هذا القولَ الباطلَ بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ﴾ [الأنعَام: ١٢٤]، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعَام: ١٢٤]؛ أي: ليس كلُّ أحدٍ أهلًا ولا صالحًا لتحمُّلِ رسالَتِه، بل لها مَحَالُّ مُخَصَّصةٌ لا تَلِيقُ إلَّا بها ولا تَصلُح إلَّا بها، والله أعلمُ بهذه المَحَالِّ منكم، ولو كانت الذواتُ متساويةً - كما قال هؤلاءِ - لم يكن في ذلك ردٌّ عليهم .

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ۝٥٣﴾ [النّحل: ٥٣]؛ أي: هو سبحانه أعلمُ بمن يشكرُه على نِعمَتِه؛ فيَختصُّهُ بفضلِه ويمُنُّ عليه، ممَّن لا يشكرُه، فليس كلُّ محلٍّ يَصلُحُ لشُكرِه واحتمال مِنَّته والتخصيصِ بكرامته .

فذَواتُ ما اختارَه واصطفاه من الأعيَانِ والأماكنِ

والأشخاص وغيرِها مشتَمِلةٌ على صفاتٍ وأمورٍ قائمةٍ بها ليسَت لغيرها، ولأجلِها اصطفاها الله، وهو سبحانَه الذي فضَّلها بتلك الصِّفاتِ وخصَّها بالاختيار، فهذا خلقُه وهذا اختيارُه؛ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القَصَص: ٦٨].

وما أبيَنَ بُطلانَ رأيٍ يقتضي بأنَّ مكانَ البيتِ الحرام مساوٍ لسائر الأمكنة، وذاتَ الحَجَرِ الأسوَدِ مساويةٌ لسائر حجارة الأرض، وذاتَ رسولِ الله ﷺ مساويةٌ لذاتِ غيره، وإنَّما التفضيلُ في ذلك بأمورٍ خارجةٍ عن الذَّات والصِّفات القائمة بها!

وهذه الأقاويلُ وأمثالُها من الجنايات التي جناها المتكلِّمون على الشريعة، ونسبوها إليها وهي بريئةٌ منها، وليس معهم أكثرُ من اشتراك الذَّوات في أمرٍ عامٍّ، وذلك لا يوجِبُ تساويَها في الحقيقة؛ لأنَّ المختلِفاتِ قد تشترِكُ في أمرٍ عامٍّ، مع اختلافِها في صِفاتِها النفسيَّة، وما سوَّى الله تعالى بين ذات المِسكِ وذاتِ البَولِ أبدًا، ولا بين ذاتِ الماءِ وذاتِ النار أبدًا.

والتفاوتُ بين الأمكِنَةِ الشريفةِ وأضدادِها، والذواتِ الفاضلةِ وأضدادِها أعظمُ من هذا التفاوت بكثير، فبينَ

ذاتِ موسى ؛ وذاتِ فرعون من التفاوتِ أعظمُ ممَّا بين المِسكِ والرَّجِيع.

وكذلك التفاوتُ بين نفس الكعبةِ وبين بيت السُّلطان أعظمُ من هذا التفاوت أيضًا بكثير، فكيف يُجعل البُقعَتان سواءً في الحقيقة؟ والتفضيلُ باعتبار ما يقعُ هناك من العباداتِ والأذكار والدَّعوات.

ولم نقصِد استيفاءَ الردِّ على هذا المذهبِ المردودِ المرذول، وإنَّما قصدنا تصويرَه، وإلى اللَّبيبِ العادل العاقل التحاكُم، ولا يَعبأ الله وعباده بغيره شيئًا.

الله سبحانَه لا يخصِّصُ شيئًا ولا يفضِّلُهُ ويرجِّحُهُ إلَّا لمعنًى يقتضي تخصيصَه وتفضيلَه، نعم هو مُعطي ذلك المُرجَّحِ وواهبُه، فهو الذي خلقَه ثم اختارَه بعد خلقه؛ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القَصَص: ٦٨].

ومن هذا: تفضيلُه بعضَ الأيَّام والشهورِ على بعض؛ فخيرُ الأيَّامِ عندَ الله يومُ النَّحر، وهو يومُ الحجِّ الأكبر؛ كما في "السُّنن" عنه ﷺ: «أفضلُ الأيَّام عندَ الله يومُ النَّحْرِ ثم يومُ النَّفْرِ».

وكذلك تفضيل عَشْر ذي الحِجَّةِ على غيره من الأيَّام؛ فإنَّ أيَّامَه أفضلُ الأيَّام عندَ الله، وقد ثبت في "صحيح البخاري" عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِن أيَّام العملُ الصالحُ فيها أحبُّ إلى الله منه في هذه الأيَّام العَشْر»، قالوا: ولا الجهادُ في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهادُ في سبيل الله، إلَّا رجلٌ خرجَ بنفسِه وماله ثم لم يرجِع من ذلك بشيء»، وهي الأيَّام التي أقسم الله بها في كتابه بقوله: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفَجر: ١-٢].

ولهذا يُستحبُّ فيها الإكثارُ من التكبير والتهليل والتحميد؛ كما قال النبيُّ ﷺ: «فأكثِروا فيهنَّ من التكبير والتهليل والتحميد»، ونسبتُها إلى الأيَّام كنسبةِ مواضع المناسك إلى سائر البِقَاع.

ومن ذلك: تفضيل شهر رمضانَ على سائر الشهور، وتفضيلُ عَشرِه الأخير على سائر الليالي، وتفضيلُ ليلة القَدْرِ على ألف شهر» اهـ.

وفيما ذكرَه هذا المحقِّقُ ما يُغني عن الردِّ والإطالة.

أمَّا بالنِّسبةِ للنُّقطة الثانية، فهي أنَّه لو كان التفاضلُ للعمل وحدَه، والأحداثُ هي التي تُوصَف بالخير والشَّرِّ

وحدَها، وبقدر عظم الحَدَثِ ومسرَّته للإنسانيَّة أو الأمَّةِ تتَّخذُه عيدًا - فيلزم من ذلك جوازُ ابتداع أعيادٍ لم يأتِ الشرعُ باستحسانها أو إباحتها.

ولنفرِض أنَّ هناك من يريدُ جعلَ أيَّام كان فيها انتصاراتٌ إسلاميَّةٌ أعيادًا؛ كيوم بَدْر واليرموك وحِطِّين وأمثالِها، مع العلم أنَّ هذه من أعظم الأحداثِ وأجلِّها في التاريخ الإسلامي، فهل يكون مُصيبًا في رأيه؟ أم أنَّ الصوابَ الذي لا امتِراءَ فيه هو أنَّ في الإسلام عيدَين وكفى، هما عيد الأضحى وعيد الفطر؟! وما سِواهُما من الأعيادِ فمبتدَعٌ لا أصلَ له في الشَّرْع، ومن يحبِّذُه فهو مخالفٌ للسنَّةِ ومُتَّبِعٌ للبدعة؟!

وقد أحببتُ إيضاحَ ذلك وأنا أعلم أنَّ أخي الشيخ عبدالعزيز لا يُخالفني الرأيَ في هذه النُّقطة، ولكن لأنَّ بعض الأصوات الجاهلة بالسنَّة والبِدعة ترفع عَقِيرَتَها بين وقتٍ وآخرَ بابتداع أعياد؛ تقليدًا لبعض البُلدان العربيَّة والأجنبيَّة التي لم تستنِد على حُكمٍ شرعيٍّ في أعيادها المزعومة؛ كعيد الأُمِّ، وعيد الشَّجرة، وعيد رأس السَّنة، وعيد الميلاد... وأمثالها من الأعياد البِدعيَّة.

وقد كتب في "جريدة البلاد" منذ عدَّة أشهر أحدُ الكتَّاب الغرباءِ مقالًا يدعو فيه إلى إقامةِ عيد الأمِّ في هذه البلاد على ما أذكُر، كما كتبَت بعضُ الصُّحف في بعض المناسباتِ تحبِّذُ إقامةَ أعيادٍ غير شرعيَّة.

وحَسْبُ الأمَّة أن تقتديَ بنبيِّها الكريم ﷺ وخُلفائه الراشدين؛ لتجِدَ السعادةَ والهَناء، ولن يُصلِحَ آخرَ هذه الأمَّة إلَّا ما أصلَحَ أوَّلَها؛ كما يقول الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد نقل العلامةُ ابنُ القيِّم في كتابه "زاد المعاد" (١/ ١٩) عن شيخ الإسلام ابن تيميَّة جوابًا عن ليلتَي القَدْر والإسراء؛ أيُّهما أفضل؟

وممَّا ورد في هذا الجواب قولُه:

«وليس إذا أعطى الله نبيَّه ﷺ فضيلةً في مكانٍ أو زمانٍ يجب أن يكون ذلك الزمانُ والمكانُ أفضلَ من جميع الأمكِنَة والأزمِنَة، هذا إذا قدِّر أنَّه قام دليل على أنَّ إنعام الله تعالى على نبيِّه ليلةَ الإسراء كان أعظمَ من إنعامِه عليه بإنزالِ القرآن ليلةَ القَدْر وغيرِ ذلك من النِّعَم التي أنعمَ عليه بها.

والكلامُ في مثل هذا يحتاجُ إلى علمٍ بحقائقِ الأُمور ومقاديرِ النِّعَم التي لا تُعرَف إلَّا بوحي، ولا يجوز لأحدٍ أن يتكلَّم فيها بلا علمٍ، ولا يُعرَفُ عن أحد من المسلمين أنَّه جعلَ لليلة الإسراءِ فضيلةً على غيرها، ولا سيَّما على ليلة القَدر، ولا كان الصحابةُ والتابعون لهم بإحسانٍ يقصدون تخصيصَ ليلة الإسراء بأمرٍ من الأمورِ ولا يذكرونها؛ ولهذا لا يُعرف أيُّ ليلةٍ كانت.

وإن كان الإسراءُ من أعظم فضائِله ﷺ، ومع هذا فلم يُشرَع تخصيصُ ذلك الزمانِ ولا ذلك المكانِ بعبادةٍ شرعيَّة، بل غارُ حِراءٍ الذي ابتُدِئ فيه بنزولِ الوحي وكان يتحرَّاه قبل النُّبوَّة لم يقصِده هو ولا أحدُ أصحابه بعدَ النُّبُوة ومدَّةَ مُقامِه في مكَّة، ولا خصَّ المكانَ الذي ابتُدِئ فيه بالوحي ولا الزمانَ بشيء.

ومن خَصَّ الأمكنةَ والأزمنةَ من عندِه بعباداتٍ لأجل هذا وأمثاله كان من جنسِ أهل الكتاب؛ الذي جعلوا زمانَ أحوال المسيح مواسمَ وعبادات؛ كيوم الميلادِ ويوم التَّعمِيد، وغير ذلك من أحواله.

وقد رأى عمرُ بن الخطَّاب رضي الله عنه جماعةً يتبادَرون

مكانًا يصلُّون فيه، فقال: ما هذا؟ قالوا: مكانٌ صلَّى فيه رسولُ الله ﷺ، فقال: أتريدون أن تتَّخذوا آثار أنبيائِكم مساجد؟ إنَّما هَلَكَ مَن كان قبلَكم بهذا؛ فمَن أدركَته فيه الصلاةُ فليُصَلِّ وإلَّا فليَمضِ» اهـ.

وبهذا البحثِ المُمتِع نختمُ هذه المحاورةَ التي أتاحَها لنا الصديقُ الكريمُ الشيخ عبد العزيز المبارك.

ومن الله نستمدُّ الهِدايةَ والرشاد.



العناية بالمساجد[1]

مَن أحقُّ مِن هذه البلادِ بالعناية بالمساجد، والاهتمام بشأنها؛ سواءٌ في تجديدِ عمارتها أو توفيرِ وسائل النظافةِ لها، أو بتعيينِ الأئمَّةِ والمؤذِّنين الأكفاءِ ومَنحِهم مُرَتَّباتٍ تُغنِيهم عن التطلُّعِ إلى تحصيل لُقمةِ العَيشِ من مجالاتٍ أخرى؟!

وإذا نظرنا إلى واقع المساجد في المملكة، وما تُعانيه في هذه الميادين وجَدنا أنَّ هناك نقصًا كبيرًا، وأنَّ ثُغَراتٍ يجبُ سدُّها؛ فبعضُ المساجد لا يوجدُ بها منظِّفون؛ ممَّا يسبِّب تراكُمَ الأتربةِ والغُبارِ فيها، وبعضُ الأئمَّة في المساجد وكذا المؤذِّنون تقِلُّ رواتِبُهم عن رواتبِ الفرَّاش في الدوائر الحكوميَّة.

كما أنَّ من الأئمَّةِ والمؤذِّنين مَن لا يتقاضَون رواتبَ شهريَّة، وإنَّما تُدفع لهم مكافئاتٌ سنويَّة لا تُسمِن ولا تُغني من جوع، وهذه الحالةُ الأخيرة هي الأكثرُ وقوعًا والأعمُّ

---

(١) نُشرت في "صحيفة الجزيرة" العدد (١٨١) في ٨/ ١١/ ١٣٨٧هـ.

شمولًا؛ وقد نتج عن ذلك انشغالُ كثيرين من ذوي الكفاءات بأعمالهم، وعدمُ تمكُّنِهم من القيام بهذه المهمَّةِ الدِّينيَّة الجليلة.

وإنَّ هذا الواقعَ المرَّ الذي يعيشُه الأئمَّةُ والمؤذِّنون ينبغي أن يُعالَج بسرعةٍ، وألَّا يظلَّ هكذا طوالَ سنين، إنَّ هذه البلادَ بحمدِ الله غنيَّةٌ وتَبذُلُ الأموالَ الطائلةَ للمُساعداتِ والنَّجَداتِ وأعمال البِرِّ، ولا تقتصرُ في ذلك على المملكة، وإنَّما تتعدَّاها إلى بُلدانٍ إسلاميَّةٍ كثيرة؛ ومن ثَمَّ فإنَّها لن تتوانى - فيما أتصوَّر - عن معالجةِ واقع المساجدِ في المملكة؛ بما يحقِّقُ إزالةَ الشكوى، وإبعادَ المعُوِّقات التي تعترضُ سبيلَ اختيار الأئمَّة والمؤذِّنين القديرين ونظافةِ المساجدِ وتجديدِ بنائها.

وما أحسَبُ الدَّولةَ ستضَنُّ بالمالِ - وهي التي تُنفِقُ في هذه الميادينِ بسخاء - على صِيانَةِ المساجدِ ونظافتها، ونَرومُ من وزارة الحجِّ والأوقاف أن تتقدَّمَ بمشروع إلى الحكومةِ يحقِّقُ هذه الأهداف، وينظِّم الأوقافَ على أُسسٍ وقواعدَ شرعيَّة؛ ليكونَ منها الصَّرفُ على المساجد وما تحتاجُه.

وأنا على يقينٍ أنَّ الدَّولةَ سوفَ تقوم بواجبها في هذا

المِضمار، وهي الدَّولةُ التي تعتَزُّ بدعوةِ الإسلام، وتجنِّدُ لها الإمكانيَّاتِ الضخمة، وتتحمَّل في سبيلِها الكثيرَ من البذل والتضحية، وذلك واجبُها، ومَدعاةٌ لفَخرِها واعتزازِها.

وإنَّ البُلدانَ الإسلاميَّةَ لتنظُرُ بإعجابٍ إلى نشاطِ الدَّولةِ السُّعوديَّة في هذا الميدان، وفي حِرصِها على نشرِ الإسلام في سائرِ أنحاءِ المَعمُورة، واضطلاعِها بأعبائِه الجِسام من أجلِ هذه الغاياتِ النبيلة، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾ [المطفّفِين: ٢٦].

إنَّني أكتبُ هذه الكلمةَ وأعتبرُها للتذكير؛ إذ إنَّ المسؤولين لا يقلُّون اهتمامًا بهذه النواحي عن طَلَبةِ العلم الذين يهمُّهم أن تُولى هذه المسألةُ ما هي به جَديرة، وأن تكون المساجدُ صورةً حيَّةً للوعي الإسلامي، وأن يكون الأئمَّةُ فيها من العلماءِ الذين يقدِرون على الاضطلاع بمهمَّاتِ الفتوى والتدريس والإرشاد؛ لتكون المساجدُ مدارسَ وأماكنَ للعبادةِ في وقتٍ واحد.

وحبَّذا أن يُختارَ بعضُ حَفَظَةِ القرآنِ لتدريس القرآن في المساجد، وأن تُدفَعَ مكافآتٌ للطلابِ وجوائزُ تشجِّعهم

على ذلك، ولا سيَّما وأنَّ انشغالَ الطَّلَبةِ في المدارس بالدُّروسِ الكثيرة يجعلُهم لا يستطيعون حِفظَ القرآن في المدارس الحكوميَّة[١].

وهذا عملٌ جَليل؛ فقد قالَ الرسول ﷺ: «وما اجتمعَ قومٌ في بَيتٍ من بُيوتِ الله يتلُونَ كتابَ الله، ويتدارَسونَه بينَهم، إلَّا نَزَلَت عليهم السَّكِينَة، وغَشِيَتهم الرحمة، وحَفَّتهم الملائكة، وذَكَرَهم الله فيمَن عندَه»، وقول الرسول ﷺ: «خيرُكُم مَن تعلَّمَ القُرآنَ وعلَّمَه».



(١) قد قام بعضُ الإخوان المتطوِّعين بإنشاء مدارسَ في المساجد لهذه الغاية، وفي مدينة الرياض منها حاليًّا **٢٥** مدرسة، كما توجد مدارسُ تابعة لوزارة المعارف، كما توجد لهذه الجماعة مدارسُ لتحفيظ القرآن الكريم في الحجاز، ويبلغ عددُ المدارس التي أُنشئت من قِبَل هؤلاء الجماعة المتطوِّعين في مدن المملكة حوالي مئة وعشرين مدرسة.

تعدُّد الزوجات[1]

اطَّلعت على الكلمة المنشورة في "جريدة البلاد" العدد (١٥٨٩) بعنوان (زوج الاثنين) للأستاذ عبد الغني العِطري؛ يقول الأستاذ: «لعلَّ أكبرَ كارثةٍ يمكن أن يُنزِلَها الرجلُ بالمرأة هي أن يتزوَّجَ بثانيةٍ إن لم يُغرِق في جَهالتِه فيتزوَّج بثالثةٍ ورابعة! صحيح أنَّ الإسلامَ قد أحلَّ الزواج بأكثر من واحدة، ولكنَّه في الوقتِ نفسِه قيَّده بقيودٍ قاسيةٍ يكادُ يكون تحقيقُها في حُكم المستحيل.

وشرطُ العدالةِ بين الزوجتَين وحدَه كافٍ ليقتصرَ الرجلُ على واحدة؛ لأنَّه مهما عَدلَ في تكريم الزوجتَين ماديًّا فلا بدَّ أن يُخطئ في توزيع حُبِّه وعواطفِه بينهنَّ، وهي ليسَت مِلكَهُ بل مِلكُ قلبِه، وهنا ينتفي شرطُ العَدالة.

ومهما كان الأمرُ فإنَّ تطوُّر العصرِ والمدنيَّة جعلَ الزواج بأكثرَ من واحدةٍ - إذا لم يكن هناك سببٌ قاهرٌ كالعُقمِ - ضربًا من الرجعيَّة، والظلم الفادح الذي يُنزِله

---

(١) نُشرت في "البلاد" العدد (١٦٠٧) في ٨/ ١/ ١٣٨٤هـ.

الرجلُ بشريكة حياته أمِّ أولاده».

هكذا يرى الكاتبُ أنَّ الزواجَ بأكثر من واحدةٍ لغير سببٍ قاهرٍ ضربًا من الرجعيَّة والظلم الفادح، ولأنَّ له شروطًا يكادُ من المستحيل تحقيقُها - حسبَ ما فَهِمَه من شرطِ العدالة - وهذا خطأ واضحٌ في تفسير العدالةِ المشروطة؛ فإنَّ زواجَ الحرِّ بأكثر من واحدة، أو بعبارةٍ أصحَّ: الزواج بأربع نسوةٍ حرائرَ ومن الإماء ما مَلَكَت يمينُه وفي حدود طاقته على حصانتهنَّ والإنفاق عليهنَّ بالمعروف ممَّا هو معلومُ الإباحةِ في الشريعة.

وقد قال الله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ۝٣﴾ [النِّسَاء: ٣].

وقد وردَت الأحاديثُ مبيِّنةً ذلك غايةَ البيان؛ فقد روى أبو داود عن الحارثِ بن قيس الأسدي؛ قال: أسلمتُ وعندي ثمانِ نسوةٍ فذكرتُ ذلك للنبيِّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: «اخترْ منهنَّ أربعًا».

وأخرج الترمذيُّ وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر، أنَّ غَيْلانَ بن سَلَمَةَ الثَّقَفِيَّ أسلمَ وله عشرةُ نسوةٍ في

الجاهليَّة، فأسلمنَ معه، فأمرَه النبيُّ ﷺ أن يتخيَّرَ أربعًا منهنَّ».

والرسول ﷺ قد تزوَّج عددًا من النِّساء وتُوفِّي عن تسع نِسوة، والزواجُ بأكثرَ من أربع نساءٍ حرائر هو من خصائص الرسول ﷺ، وأمَّا غيره من الرِّجال الأحرار فلا يُباح لهم التزوُّج بأكثر من أربع يكنَّ جميعًا في عِصمَته.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ﴾ [النِّسَاء: ٣] الآية، فإنَّ العدلَ هنا ليس المُرادُ به الحبَّ والعواطفَ - كما فَهِمَ الكاتبُ - وإنَّما المُرادُ بالعدل هنا العدلُ في النَّفَقَةِ والكُسوةِ والسَّكن والمَبيت.

وقد كان الرسولُ ﷺ - وهو أعدلُ الخلقِ - يحبُّ بعضَ نسائه أكثرَ ممَّا يحبُّ البعضَ الآخر، وكان يحبُّ عائشةَ أكثرَ من غيرها؛ فقد سُئِلَ مرَّةً: أيُّ النِّساءِ أحبُّ إليك؟ قال: «عائشة»، وكان وهو في مرضِ موته يسأل: «أين أنا غدًا؟»؛ يتعجَّل يومَ عائشة، ففهمَت نساؤه رغبتَه فتنازلنَ عن يومهنَّ لعائشةَ إرضاءً للرسول ﷺ.

وكان الرسولُ ﷺ يَقْسِمُ بينَ نسائه ويعدِل، ويقول: «اللهمَّ هذا قَسْمي فيما أملِكُ فلا تَلُمْني فيما تَمْلِكُ ولا

أملِكُ»؛ يعني: الحبَّ؛ لأنَّ هذا ليس له قدرةٌ عليه.

والله سبحانه الذي أباحَ الزواجَ بأكثر من واحدة - وهو علَّامُ الغيوب الحكيمُ الذي لا يعزُبُ عنه مثقالُ ذرَّة - يعلم أنَّه ليس في طاقةِ البشر التحكُّم بالعواطف، ومع ذلك أباحَ التعدُّد.

وقد كان الصَّحابةُ من الخلفاء الراشدين وغيرُهم من التابعين لهم بإحسانٍ من علماء المسلمين وخيارِهم يقولون ويعملون بتعدُّد الزوجات، ولم يكن بينهم ارتيابٌ في إباحةِ التعدُّدِ.

فلو كان العدلُ في الحبِّ واجبًا لكان معنى ذلك أنَّ الرسولَ ﷺ والصحابةَ والتابعين ومن بعدَهم كانوا على جَورٍ وخَطأ؛ لأنَّهم جرَوا على التعدُّدِ ولم يُنكِروه، وكانوا مقرِّين أنَّهم لا قدرةَ لهم على العدل في الحبِّ.

والمدنيَّةُ الحديثةُ التي استوردَها الشرقُ عن الغربِ المسيحيِّ الذي يمنعُ التعدُّد قد أثَّرت في نفوس بعض المسلمين الذين لم يتعمَّقوا في دراسة الدِّين، وإنَّما أخذوا المدنيَّة على عِلَّاتها، ولم يدركوا الحكمةَ العظيمةَ في تعدُّدِ الزوجات.

وصحيحٌ أنَّ الزوجةَ تستاءُ من ضَرَّةٍ لها وقد يُصيبها ضررٌ وتألُّم، ولكنَّ ذلك لا يعني تحريمَ التعدُّد، ولا يُلغي المصلحةَ الراجحةَ؛ فالمطرُ رحمةٌ ومع ذلك فالغيثُ قد يتهدَّمُ بسببِه بيوت، ويغرَقُ فيه أشخاص، والشمسُ قد تصيبُ أناسًا بضربةِ الشمسِ ويموتون من ذلك، والطائراتُ والسيَّاراتُ قد تسقطُ وتنقلِبُ ويموتُ ركَّابها، وكذلك القطاراتُ والسُّفنُ، وكلُّ أولئك فيها منافعُ كثيرةٌ للبشر، ولم يقولوا: إنَّ الأضرارَ التي تنتجُ منها تمنعُ من الانتفاع بها.

وتعدُّد الزوجات هو من هذا القَبيل؛ فإنَّ المصلحةَ الكبرى الناتجةَ في إباحته تربو كثيرًا على المَفسدَةِ والضَّررِ فيه، والقواعدُ الشرعيَّةُ هي في تحصيل المصالح ودفع المفاسد.

ومسألةُ تعدُّد الزوجات - التي طالما تشدَّقَ الغربيُّون وأتباعُهم في إلصاقِ التُّهَمِ بالمسلمين من أجلِها وشنَّعوا بها على الإسلام - هي من محاسن الإسلام وفضائله.

وقد شَهِدَ بذلك كثيرٌ من المستشرقين، واعترفوا بأنَّ الحلَّ الوحيدَ لمشكلات الغربِ الاجتماعيَّة وتخليصِه من الانحلال وتفكُّك الأُسَرِ وتدهورِ الأخلاق هو في إباحةِ

تعدُّدِ الزوجات.

فإنَّ الحروبَ الطاحنةَ الكبرى كالحربَين العالميَّتين وما خلَّفتا من مصائبَ من بينها: كَثرةُ النِّساء وقلَّة الرجال بموتِ الملايين من الرجال في الحروب وبقاء النِّساءِ عَوانسَ - توضِّحُ بجلاءٍ حكمةَ الإسلام في تعدُّد الزوجات؛ لأنَّه لا بدَّ من إحدى حالَتين: إمَّا إباحةُ التعدُّد؛ ويحصلُ بذلك عَفَافُ الرجال والنِّساء وقوَّةُ الأمَّة والحِفاظُ على كرامة المرأة وتسهيل العَيشِ الكريم لها، وحفظ النَّسَب الذي هو مطلوبٌ شرعًا وعقلًا، وإمَّا منع التعدُّد؛ وحينئذٍ فسيبقى العددُ الكثير من النِّساء بلا أزواج، ويحصلُ الإغراءُ منهم للمتزوِّجين فيتخذونهنَّ عشيقات، ويُنجِبن الأولادَ غير الشرعيِّين ويتدهوَرُ بذلك نظامُ الأسرة، ويحصل الشِّقَاق والتفكُّك كما هو حال الغرب اليوم.

بل إنَّ الغربَ الذي يُطَنْطِنُ باحترام المرأة وجعلِها مساويةً للرجل، ويرهَبُ من تعدُّدِ الزوجات ويستَبشِعُه هو نفسُه قد نزلَ بالمرأةِ إلى الحضيضِ، وجعلَها سِلعةً تُتاجِرُ بعِرضِها، وشيَّدَ لها بُيوتَ الدَّعارة، واخترعَ لها أنواعَ الألبِسَةِ التي تُظهر مفاتنَها لتعرِضَها على النَّاس في الشوارع

والطرقات، ولتلبِّي رغباتِهم في الاتِّصال المحرَّم.

أجل؛ إنَّ الغربَ الذي يمنعُ التعدُّد قد أُصيب بكوارثَ فظيعةٍ ومنها: التدهورُ الخُلقي والنِّساء المُشرَّدات والأطفال اللُّقَطاء، فلماذا لا ننظرُ لهذا كلِّه حينما نريد أن ننظرَ له من زاويةٍ ضيِّقة، ونُهملَ سِواها؟ أو نُعجب برأي الغربيِّين دونَ تمحيصٍ وتدقيق؟!

إنَّ الغربَ الذي يحتفل بعيد الأمِّ كلَّ عام لا يجرؤ على إقامة احتفال يسمِّيه (عيد الأب) أتدري لماذا؟! لأنَّ اللُّقَطاء الكثيرين الذين يبلغون نسبةً عاليةً في بعض البلاد الأوربيَّة أو في كلِّ البلاد الأوربيَّة سيحزنون لو أُقيم يوم الأبِ وهم لا يعرفون لهم أبًا.

إنَّنا بخير وإنَّ ديننا لم يترك شيئًا فيه منفعةٌ إلَّا دلَّنا عليه وأمرَنا به وأباحَه، ولا شيئًا فيه مضرَّةٌ فادحةٌ إلَّا حرَّمَهُ ومنعَنا من الاقترابِ منه، وإنَّ من محاسنِ الإسلام - وما أكثرَ محاسِنَه! - إباحةَ تعدُّد الزوجات.

كتبت إحدى الإنكليزيَّات في "جريدة لندن ثروت" تقول: لقد كَثُرت الشارداتُ من بناتنا، وعمَّ البلاءُ وقلَّ الباحثون عن أسباب ذلك، وإذ كنتُ امرأةً تراني أنظرُ إلى

هاتيكَ البناتِ وقلبي يتقطَّعُ شَفَقَةً عليهنَّ وحزنًا، وماذا عسى يُفيدهُنَّ بَثِّي وحُزني وتوجُّعي وتفجُّعي، وإن شاركني فيه النَّاس جميعًا؟!

لا فائدة إلَّا في العمل بما يمنع هذه الحالة الرجسة، ولله دَرُّ العالم الفاضل تومس فإنَّه رأى الدَّاء ووصفَ الدَّواء الكفيلَ بالشفاء، وهو الإباحةُ للرجل التزوُّج بأكثر من واحدة، أيُّ ظنٍّ وخَرْصٍ يحيطُ بعددِ الرِّجال المتزوِّجين الذين لهم أولادٌ غير شرعيِّين أصبحوا كَلًّا وعالةً وعارًا على المجتمع الإنساني؟

فلو كان تعدُّدُ الزوجاتِ مباحًا لما حاقَ بأولئك الأولادِ وبأمَّهاتهم ما هم فيه من العذاب الهُون، ولسَلِمَ عِرضهنَّ وعِرضُ أولادهنَّ، فإنَّ مزاحمةَ المرأة للرجل ستُحِلُّ بنا الدمار، ألم تروا أنَّ حالَ خِلقَتِها تُنادي بأنَّ عليها ما ليسَ على الرجل وعليه ما ليس عليها؟! وبإباحة تعدُّد الزوجات تُصبح كلُّ امرأةٍ ربَّةَ بيتٍ وأمَّ أولادٍ شرعيِّين.

وقال الأستاذُ اتيين دينيه أو ناصر الدِّين دينيه، وكان مسيحيًّا فأسلمَ وكرَّس حياتَه لخدمةِ الإسلام، وكتبَ عددًا

من المؤلَّفات في الدِّفاع عن الإسلام: ثم انظُر حقيقةَ أنَّ الدِّيانةَ المسيحيَّةَ بتقريرها الجبري لفرديَّة الزوجة والتوحيد فيها، وتشديدِها في تطبيق ذلك قد منعَت تعدُّدَ الزوجات؟ هل يستطيعُ شخصٌ أن يقول ذلك دونَ أن يأخُذَ منَّا الضحكُ مَأخَذَه؟! وإلَّا فهؤلاءِ - مثلًا - ملوكُ فرنسا - دَع عنك الأفراد - الذين كانت لهم الزوجاتُ المتعدِّدات وفي نفس الوقتِ لهم من الكنيسة كلُّ تعظيم وإكرام! وإنَّ تعدُّدَ الزوجات قانونٌ طبيعيٌّ وسيبقى ما بقيَ العالم، وكذلك كلُّ ما فعلَته المسيحيَّةُ لم يأتِ بالغرضِ الذي أرادَته فانعكسَت الآيةُ معها، فصحَونا ونحن نشهدُ الإغراءَ بجميع أنواعه، وكان مثلُها في ذلك مثلَ الشجرةِ الملعونةِ التي حُرِّمت ثمراتُها فكانَ التحريمُ إغراءً.

على أنَّ التوحيدَ في الزوجة وهي النظريَّةُ الآخذةُ بها المسيحيَّة تنطوي تحتَها سيِّئاتٌ متعدِّدة، ظهرت على الأخصِّ في ثلاث نتائجَ واقعيَّة شديدةِ الخطر جسيمة البلاء هي: الدَّعارة، والعوانس من النِّساء، والأبناء غير الشرعيِّين.

وإنَّ هذه الأمراض الاجتماعيَّة ذات السيِّئات

الأخلاقيَّة لم تكن تُعرَف في البلاد التي طُبِّقت فيها الشريعةُ الإسلاميَّة تمامَ التطبيق، وإنَّما دخلَتها وانتشرت فيها بعدَ الاحتكاك بالمدنيَّة الغربيَّة.

وقالت اللادي إيفيلين كوبولد في كتابها الذي ألَّفته عن مشاهداتِها في الحَجِّ، بعد أن اعتنقَت الإسلامَ وأدَّت فريضةَ الحجِّ إلى مكَّةَ المكرَّمة: يقول بعضُهم: إنَّ تعدُّدَ الزوجات من الواجبات في الإسلام!

والواقع أنَّ الأمرَ غيرُ ذلك؛ فتعدُّدُ الزوجاتِ ليس في الإسلام واجبًا وهو في الحقيقةِ مثلُه في المسيحيَّة، وقد كان تعدُّد الزوجات من سنوات أمرًا واقعًا في المسيحيَّة ولكن ألا يصحُّ أن يُنظرَ إليه نظرةَ حقٍّ وعدل؟ خصوصًا وأنَّه يرفعُ بعضَ الجَنَفِ عن المرأة، ويقرِّرُ لها مركزًا تحاول المدنيَّة الغربيَّة إغفالَه؛ ذلك أنَّ الزواجَ الواحدَ لم يكن في وقتٍ من الأوقات أمرًا واقعًا في أوربَّا، وبسببه ترى نساءً كثيراتٍ تُرمى في الأزِقَّة، ويُرفض الاعترافُ بهنَّ بسبب هذه العقيدة التي ليس هناك من يحافظ عليها.

فالإسلامُ - والحالة هذه - يضعُ حدًّا لهذه الظاهرة البغيضة، ويسمحُ للمرأة التي تتعلَّق بشخصٍ متزوِّجٍ أن

تعيشَ عِيشةً شريفةً حرَّةً مُحترمة.

وليس من ينكر ما نراه في أوربَّا اليومَ من ظاهرةِ تغرير المرأة، وكيف أنَّ هناك نساءً يسقُطنَ إلى أقصى دركاتِ الانحطاطِ والسَّفالةِ، فالسماحُ بتعدُّدِ الزوجات في الإسلام يضعُ حدًّا - والحالة هذه - لتعدُّدِ الزوجات الموجودة في الغرب والذي لا تُقرُّهُ القوانين ولكنَّه أمرٌ واقعٌ، والذي تكون من نتيجته إقفالُ الباب في وجوه النِّساء اللاتي يرميهنَّ سوءُ حظِّهنَّ في مَهَالكِ الرذيلة؛ فيسقُطنَ وأولادُهنَّ في الشوارع عانساتٍ بغيضات.

وقال الأستاذُ محمَّدُ رضا في "تفسير المنار" (٤/ ٣٥٨-٣٥٩): وكتبنا في الردِّ على اللورد كرومر في (ص٢٢٥/ م١٠) من "المنار" ما نصُّه: طالما انتقدَ الأوربيُّون على الإسلام نفسِه مشروعيَّة الطلاق وتعدُّدِ الزوجات، وهما لم يُطلبا ولم يُحمدا فيه، إنَّما أُجيزا لأنَّهما من ضروريَّات الاجتماع كما بيَّنا ذلك غيرَ مرَّة.

وقد ظهر لهم تأويلُ ذلك في الطَّلاق فشرَّعوه وإن لم يشرِّعه لهم كتابهم (الإنجيل) إلَّا لعِلَّة الزِّنى، وأمَّا تعدُّدُ الزوجات فقد تعرِضُ الضرورة له فيكون من مصلحةِ النِّساءِ

أنفسهنَّ؛ كأن تغتالَ الحربُ كثيرًا من الرِّجال فيكثُرَ النِّساء؛ فيكون الخيرُ لهن أن يكن ضرائرَ ولا يكنَّ فواجِرَ يأكلنَ بأعراضِهنِّ، ويُعرِّضنَ أنفسهنَّ بذلك لمصائبَ تُرزِّحُهنَّ أثقالُها.

وقد أنشأ القومُ يعرفون وجهَ الحاجةِ بل الضرورة إلى هذا، كما عرفوا وجهَ ذلك في مسألة الطَّلاق، وقامَت غيرُ واحدةٍ من نساء الإنكليز الكاتبات الفاضلات يُطالبن في الجرائدِ بإباحة تعدُّدِ الزوجات رحمةً بالعاملاتِ الفقيرات وبالبغايا المضطرَّات.

وقد سبق لنا في "المنار" ترجمةُ بعض ما كتبَت إحداهن في جريدة "لندن ثروت" مُستحسِنةً رأيَ العالم تومس في أنَّه لا علاجَ لتقليل البنات الشاردات إلَّا تعدُّدُ الزوجاتِ وما كتبت الفاضلة مس أنى رود في جريدة "الاسترن ميل" والكاتبة اللادي كوك في جريدة "الأيكو" في ذلك؛ راجع (ص٤٨١/ م٤).

وكتبَ الأستاذُ علي عبد الواحد وافي في كتابه "الأسرة والمجتمع" (ص٦٢-٧١) يقول: «وقد أباحَ الدِّينُ الإسلاميُّ تعدُّدَ الزوجاتِ في حدودٍ خاصَّةٍ وبعدةٍ قيود؛

فأباحَ للرجل أن يتزوَّج باثنتين وثلاثٍ ورُباع، ولا يصحُّ له أن يجمعَ في عصمته في وقتٍ واحد أكثرَ من أربع نساء، وسوَّى بين الزوجاتِ في الحقوقِ والواجبات.

وأوجبَ على الرجل أن يَعدِلَ بين زوجاته في كلِّ ما يُستطاعُ العدل فيه من المَأكَلِ والمَلبَسِ والمَسكَنِ والمَبيتِ وما إلى ذلك، فإن خافَ الرجلُ ألَّا يعدلَ بين نسائه في ذلك لا يصحُّ له الزواجُ بأكثرَ من واحدة؛ وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النِّسَاء: ٣].

وقد بيَّنَ (القرآنُ الكريم) أنَّ العدلَ المُطالب به الزوجُ ليس العدلَ في المحبَّة القلبيَّةِ ولا في المَيلِ النفسي؛ لأنَّ هذا غيرُ مستطاع ولا يُكلَّف الإنسانُ إلَّا ما يُستطاع، وإنَّما هو العدلُ فيما يمكنُ العدل فيه؛ كالمَأكل والمَشرَب والمَلبَس والمَسكَن والمَبيت وما إلى ذلك؛ لأنَّ الزوجَ إن قصَّر في هذه الأمور حِيالَ زوجةٍ لا يحبُّها فمالَ عنها كلَّ الميل، فإنَّه بذلك يتركُها كالمُعَلَّقَةِ فلا هي متزوِّجةٌ ولا هي مُطلَّقةٌ، هذا وضعٌ مؤلمٌ ظالمٌ لا يُقرُّه الإسلامُ.

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ﴾ [النِّساء: ١٢٩]، وإلى هذا المعنى يشيرُ كذلك الرسولُ عليه الصلاة والسلام إذ يقول: «اللهمَّ هذا قَسْمي في ما أملِكُ فلا تُؤاخذني فيما تملِكُ ولا أملِكُ»؛ يعني بذلك المحبَّةَ القلبيَّةَ والميلَ النفسي».

إلى أن يقول الدكتور: «هذا؛ ويؤدِّي نظامُ تعدُّدِ الزوجات وظائفَ اجتماعيَّةً جليلةً في المجتمعات التي يقِلُّ فيها عددُ الرجال عن عددِ النِّساء وفي المجتمعاتِ المُعَرَّضةِ للحروب والتي يَفنى فيها بسببِ ذلك عددٌ كبيرٌ من الرجالِ في زهرةِ شبابهم، فيختلُّ التوازنُ بين عددِ النِّساء، ويُساعد في بعض الشعوب على كَثْرةِ النَّسل، ويحقِّقُ وظائفَ اقتصاديَّة ذات بال.

وتُحقَّقُ هذه الوظائف الأخيرة بوجهٍ خاصٍّ في الشعوبِ البُدائيَّة؛ حيث تقومُ المرأةُ بمعظمِ الأعمال اليدويَّة، فكلَّما كثُر عددُ النِّساء لدى الرجل توافَرت لديه اليدُ العاملة، وضَمِنَ سدَّ حاجاتِ أُسرتِه، وزادَت مواردُ ثروتِه، واستقرَّت منزلتهُ الاجتماعيَّة على أساسٍ مَكِين.

وكثيرًا ما يطرأ في حياة الرجالِ والنِّساءِ وفي حياة الأُسرة على العموم أمورٌ تجعلُ هذا التعدُّدَ ضرورةً وعاملًا من عوامل الاستقرارِ العائلي، ووقايةً من كثيرٍ من المفاسدِ والشرورِ وصيانةً لكلا الجنسَين».

وقد ظهرَ لكثيرٍ من الباحثين والمؤرِّخين وعلماء (الإثنوجغرافيا) كالأساتذة وسترماك وهو بهوس وهيلر وجنسبرج: «أنَّ نظامَ تعدُّدَ الزوجات لم يبدُ في صورةٍ واضحةٍ إلَّا في الشعوبِ المتقدِّمة في الحضارة، على حين أنَّه قليلُ الانتشار أو منعدِمٌ في الشعوب البدائيَّة المتأخِّرة، فقد لُوحِظَ أنَّ نظامَ وَحدةِ الزوجة هو النظامُ السائدُ لدى الشعوبِ العريقة في البُدائيَّة، وهي التي تعيشُ على الصَّيد أو على جَمعِ الثِّمار التي تجودُ بها الطبيعة عفوًا - وذلك باستثناءِ بعض عشائرَ من سكَّان أستراليا الأصليِّين، وبعض عشائر (البوشيان) في إفريقيا - ولدى الشعوب التي لم تتزَحزَح تزحزُحًا كبيرًا عن بُدائيَّتها.

وهي صورةٌ واضحةٌ إلَّا في الشعوب التي قطعَت مرحلةً كبيرةً في الحضارة، وهي الشعوبُ التي تجاوَزت الصَّيدَ إلى مرحلةِ الرعي وتربية الحيوان، وفي الشعوب

التي تجاوَزت مرحلةَ جمع الثِّمار والزراعة البُدائيَّة إلى مرحلة الزراعة المتقدِّمة، ويرى كثيرٌ من هؤلاءِ الباحثين أنَّ هذا النظامَ سيتَّسعُ نطاقُه حتمًا، ويكثُرُ عددُ الشُّعوب الآخذةِ به كلَّما تقدَّمت المدنيَّةُ واتَّسع نِطاقُ الحضارة».

وبعد، فلو أردنا ذكرَ أقوال المفسِّرين لطالَ الكلامُ، ولكنَّا نريدُ الإيضاحَ بدون إطالة؛ لأنَّ ذلك يخرجُ عن نِطَاقِ ردٍّ مختصرٍ إلى مؤلَّفٍ كبيرٍ وهو ما لم نُرِدهُ في هذا الموقف؛ وإنَّما قصَدنا التنبيهَ وبيانَ خطأ من ينتقدُ موضوعَ التعدُّد بلا حُجَّة وتوهُّمِه الأمرَ على غيرِ معناه.

وأحسَبُ أنَّ فيما أوردناه من أدلَّةٍ وما استشهدنا به من أقوالِ بعض الفاهمين لهذا الموضوع فيه كفايةٌ، والهدفُ هو الوصولُ إلى الحقِّ في غيرِ عُنفٍ أو رميِ الكلام على عَواهِنه.

واللهَ نسأل أن يوفِّقنا جميعًا للهدى والصواب.



التعدُّد مُباح[1]

قرأتُ في "جريدة عُكاظ" العدد (١٥٤) في ٢٦/ ١٢/ ٨٤ كلمةً بعنوان (نعم حدِّدوا سِنَّ الزواج) بتوقيع: محمَّد يوسف كوكن عمري، ماجستير في الآداب ورئيس قسم اللُّغات العربيَّة والفارسيَّة والأُرديَّة بجامعة مدراس بالهند، وقد أورد آياتٍ وفسَّرها على غير معناها، وتكلَّم في أشياءَ لم يستطِع أن يفهمَها على حقيقتها.

يقول في كلمته: «فالزواجُ المبكِّرُ كان معروفًا وشائعًا بين مسلمي الهند، وكان العلماءُ ههنا يُفتون بأنَّ القرآنَ يأذَنُ للرجال أن ينكِحوا ما طابَ لهم من النِّساء مَثنى وثُلاث ورُباع؛ مستدلِّين بهذه الآية الكريمة التي قال الله فيها: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾ [النِّسَاء: ٣]، ولكنَّهم غفلوا عن مَغزى الآية الكريمة التالية التي يقول الله فيها: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ﴾ [النِّسَاء: ٣].

فالزواجُ بأكثرَ من واحدةٍ مُباحٌ بشرطِ العدل، والآية

(١) نُشرت في "مجلَّة الحج" العدد (٩) السنة (١٩) في ١٦/ ٣/ ١٣٨٥هـ.

الأخرى أعني: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ﴾ [النِّسَاء: ١٢٩] تدلُّ صريحًا أنَّ الرجلَ لا يستطيع أن يعدِلَ بين نسائه لو حَرَص، كما عدل النبيُّ ﷺ بين نسائه».

وزعم الكاتبُ أنَّ الاستدلالَ بأُسوةِ النبيِّ ﷺ في أمر الزواج بأكثرَ من واحدةٍ لا يصحُّ.

ثم يقول الكاتبُ: «والتزوُّجُ من النِّسوةِ - كذا - العديدةِ بشرطِ العدل كان من خصائص النبيِّ ﷺ، ومعروفٌ أنَّه كان يعدلُ بين نسائه عدلًا تامًّا، ولا يستطيعُ أحدٌ منَّا أن يعدِلَ بين نسائه مثلَه».

وهذا الموضوع - أعني تعدُّدَ الزوجات - صارَ مجالَ أخذٍ وردٍّ طويلَين، ويحاول بعضُ العصريِّين أن يفسِّرَ القرآنَ تفسيراتٍ باطلةً كما حاول الكاتب، وقد غابَت عنهم أشياءُ مهمَّةٌ كما قيل:

فقُل لمَن يدَّعي في العِلمِ مَعرِفةً: حَفِظتَ شيئًا وغابَت عنكَ أشياءُ

وهؤلاءِ الذين يفسِّرون المعاني قسرًا ويتكلَّفون في التأويلاتِ غالبًا ما يعجِزون عن الجواب على ما يُورَد

عليهم، وهم بينَ شخصَين: إمَّا شخصٌ أُعجِبَ بالغربِ النَّصراني ومدنيَّته وأرادَ مجاراتَه، وإمَّا جاهلٌ بالقرآنِ والحديثِ وسيرةِ السَّلَف.

فالغربُ يُعيِّر المسلمين بتعدُّدِ الزوجات، ويعُدُّ ذلك امتهانًا للمرأة وإهدارًا لحقوقها، ويشنِّعون بذلك على الإسلام، بل ويعُدُّون هذا تأخُّرًا وجمودًا، فيريدُ المتحرِّرون الذين لا يُدركون مقاصدَ الإسلام ولم يدرُسوا الشريعةَ الإسلاميَّةَ دراسةً عميقةً أن يُزيلوا عن الإسلام هذه الشُّبهة.

وغابَ عنهم حكمةُ تعدُّد الزوجات التي هي جليَّة، ولا سيَّما في هذا العصر الذي شَهِدَ حربَين عالميَّتَين، ماتَ فيهما عشراتُ الملايين من الرِّجال، وترمَّلت ملايينُ النِّساء، وكَثُر في الغربِ العوانسُ والمشرَّداتُ والبَغايا، بعدَ اختلال التوازنِ بين عددِ الرجال وعددِ النِّساء، والذي لا حَلَّ له إلَّا إباحةُ تعدُّد الزوجات.

إنَّ في إباحةِ تعدُّد الزوجاتِ حِكَمًا عظيمة؛ منها: إيواءُ أمثال هؤلاءِ النِّسوة في بيوتِ الزوجيَّة المستقرَّة الهادئة، وإنجابهنَّ الأطفالَ الشرعيِّين الذين يعرفون آباءهم

وينتسبون لهم، فينشؤون نشأةً اعتياديَّةً سليمةً من العُقَد والحِقدِ على المجتمع.

ففي بيتِ الزوجيَّة تشعرُ المرأةُ بكرامَتِها وتُحِسُّ بالحنان والمودَّة؛ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرُّوم: ٢١].

أمَّا الغربيُّون فقد منعوا تعدُّدَ الزوجات ولكنَّهم نشروا المفاسد، وكثيرٌ من النِّساء غير المتزوِّجات هناك يُمارسنَ الرذيلةَ بصورةٍ مكشوفة، وإنجاب الأطفال غير الشرعيِّين بكثرةٍ مفزِعةٍ يزدادُ سنةً بعد سنة، وانتشارُ الجرائم وتنوُّعها في ازدياد، وتفكُّك الأُسَرِ وانحلالُ عُرى التعاونِ والترابط أمرٌ معروفٌ في أوربَّا وأمريكا ومَن حذا حَذوَهما.

أمَّا بلادُ الإسلام التي تبيحُ التعدُّد فهي تكادُ تكون خِلوًا من هذه المفاسد، ففي البُلدانِ الغربيَّة تَحِلُّ العشيقاتُ الكثيرات محلَّ الزوجات الشرعيَّات إن لم يفُقنَهنَّ كَثرة، إذ إنَّ الشريعةَ الإسلاميَّةَ لا تُجيز أن يجمعَ الحرُّ في ذمَّته أكثرَ من أربع زوجات.

وقد بدأت بعضُ الأصوات في الغرب تُنادي بإباحةِ التعدُّد، وأنَّه الوسيلةُ للخلاصِ من هذه الحالة المتردِّية في

جوِّ الأُسرةِ الغربيَّة.

بعد هذه المقدِّمة أعودُ إلى تفسير الآيتَين: إنَّ العدلَ في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي﴾ [النِّسَاء: ٣] الآية هو العدلُ في النَّفقةِ والكُسوةِ والسَّكنِ والمبيتِ، أمَّا العدلُ المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ [النِّسَاء: ١٢٩] فالمرادُ به العدلُ في المحبَّةِ ومَيلِ القلب، فهذا ممَّا لا يلزمُ العدلُ فيه؛ لأنَّ المرءَ لا يملِكُه.

وهنا خطأٌ وقعَ فيه الكاتبُ وهو قوله: «والتزوُّج من النِّسوة العديدة بشرط العدل كان من خصائص النبيِّ ﷺ ومعروفٌ أنَّه كان يعدِلُ بين نسائه عدلًا تامًّا».

فمن الذي قال: إنَّ التزوَّجَ بأكثرَ من واحدةٍ كان من خصائص النبيِّ ﷺ؟! فقد كان عددٌ من الصحابة متزوِّجين بأكثرَ من واحدة؛ منهم: أبو بكر الصدِّيق وعمر بن الخطَّاب رضي الله عنهما ولم يمنعهم النبيُّ ﷺ من ذلك، ولم يقُل: إنَّ هذا لا يجوز.

والرسولُ ﷺ قد بلَّغ الرسالةَ وأدَّى الأمانةَ ونصحَ الأمَّةَ، ولم يمُت حتى أكملَ الله به الدِّين؛ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ

لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المَائدة: ٣]، وأيضًا فإنَّ قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾ [النِّسَاء: ٣] آيةٌ محكَمَة ليسَت منسوخة، ومن يدَّعي خلافَ ذلك فليَأتِ بالدَّليل.

وهذا التفسيرُ للآيتَين هو الذي ذكرَه المفسِّرون والفقهاءُ وأهلُ الحديث وأجمعَ عليه العلماء، وأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ﴾ [النِّسَاء: ١٢٩]، فذلك في العواطفِ والمشاعر، وهو شيءٌ خارجٌ عن إرادة الإنسان، حتى النبيُّ ﷺ لا يستطيع التحكُّم في ذلك.

ولذا جاءَ في الحديث أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقسِمُ بين نسائه فيعدِلُ ويقول: «اللهمَّ هذا قَسْمي فيما أملِكُ فلا تُؤاخِذني فيما تَملِكُ ولا أملِك»؛ يعني: المحبَّة، وقد سُئل: أيُّ النِّساء أحبُّ إليه؟ فقال: «عائشة».

ولولا ضِيقُ المجال لذكرتُ طائفةً من أقوال المفسِّرين والمحدِّثين والفقهاء، وعلى من يريدُ التوسُّعَ الرجوعَ إلى المؤلَّفات في هذه العلوم ليجدَ بُغيَتَه.

وعلى سبيل المثال نُشير إلى ما كتبه الأستاذ عبَّاس

محمود العقَّاد في كتابه "المرأة في القرآن" ؛ يقول في (ص٧٨): «وليس بالنادر أن تَمُرَّ بالأُمَم أزَماتٌ يزيدُ فيها عددُ النِّساء على عددِ الرِّجال، كما يحدثُ في أعقابِ الحروبِ والثَّورات، وقد يحدثُ في أعقاب الأوبِئَةِ التي تنتقل عدواها في المجامع العامَّة فلا تتعرَّض لها المرأةُ كما يتعرَّض الرِّجال لها، وقد يحدث أن تكون زيادةُ عددِ الإناث ظاهرةً مُطَّرِدَةً في كثير من الأنواع؛ كما يقول بعضُ المشتغلين بعلم الأحياء.

فإذا حدثَ هذا الاختلافُ في نسبة التساوي بين الجنسَينِ فليس لهذه المشكلةِ حَلٌّ أسلمُ وأكرمُ من السَّماح بتعدُّدِ الزوجات؛ لأنَّ المرأةَ التي لا تتزوَّج تعيشُ عِيشَةَ البَطَالةِ والفِتنَة، وتكدَحُ في طلبِ الرِّزقِ بعملٍ من الأعمال لا يتيسَّر لجميع النِّساء، وتُبتلى بالعُقم في الحالَتين».

ويقول الأستاذ العقَّاد (ص٨٤) من الكتاب المذكور: «جاء الإسلامُ فلم يُنشئ تعدُّدَ الزوجاتِ ولم يُوجبه ولم يستحسِنه، ولكنَّه أباحَه وفضَّل عليه الاكتفاءَ بالزوجة الواحدة، وفضَّله على تعطيل الزواج في مَقصَده الطبيعيِّ والشرعيِّ بقَبولِ العُقمِ والتعرُّض للغَوايةِ وفرض العُزوبة،

وهي تجمعُ بين العُقْمِ والعُزوبةِ معًا على كثير من النِّساء عندَ اختلاف النِّسبةِ العددِيَّة بين الجنسَين».

ويقول الأستاذُ سيِّد قطب في تفسير القرآن المُسمَّى بـ"ظلال القرآن": «إنَّ التعدُّدَ في أصلِه رُخصَةٌ، وهي رُخصَةٌ ضروريَّةٌ لحمايةِ الجماعة في حالاتٍ كثيرةٍ، وهي صِمامُ أمنٍ في هذه الحالات، ووقايةٌ ليس في وُسع البشريَّة الاستغناءُ عنها.

ولم تجدِ البشريَّةُ حتى اليوم حلًّا أفضلَ منها سواءٌ في حالة اختلافِ التوازن بينَ عددِ الذكور وعددِ الإناث عَقِبَ الحروب والأوبِئَةِ التي تجعلُ عددَ الإناثِ في الأمَّة أحيانًا ثلاثةَ أمثال عددِ الذكور، وفي حالاتِ مرضِ الزوجةِ أو عُقمِها، ورغبةِ الزوج في الإبقاءِ عليها أو حاجتها هي إليه، أو في الحالاتِ التي توجد في الأصل طاقةٌ حيويَّةٌ فائضةٌ لا تستجيب لها الزوجةُ، أو لا تجدُ كفايتَها في زوجةٍ واحدة.

وكلُّها حالاتٌ فطريَّةٌ وواقعيَّةٌ لا سبيلَ إلى تجاهُلِها، وكلُّ حلٍّ فيها غير تعددُّ الزوجات يُفضي إلى عواقبَ أوخمَ خلقيًّا واجتماعيًّا، فالتعدُّدُ ضرورةٌ تواجِهُ ضرورة».

وأحسَبُ أنَّ في هذا الإيضاح ما يُزيل الخَفاءَ ويكشفُ الالتباسَ ولا يدَعُ شُبهةً لمُشَبِّه.

واللهُ الموفِّقُ والمعينُ.



الإسلام ينهض بالمرأة[1]

لقد منحَ الإسلامُ للمرأةِ حقَّها كاملًا، فلها كرامتُها وتقديرُها والاهتمامُ بها، وهي الأمُّ المُبَجَّلة والأختُ المُعزَّزة والزوجةُ المُكرَّمة والبنتُ الودودة، ذلك ما يخرجها عن وظيفتها كربَّةِ بيتٍ تُعنى بتربية أطفالها وتُحافظُ على حقوقِ زوجها وتنظِّم بيتَها وتدرِكُ واجباتِها.

وقد صانَ الإسلامُ المرأةَ عن التبرُّجِ والتبذُّل، وأن تتعرَّض لما يخدِشُ كرامتَها أو يلوِّث سُمعتَها، وألَّا يُعتدى عليها في نفسٍ أو عِرضٍ أو مالٍ، ورفعَ عنها كثيرًا من آصَار الجاهليَّة وأغلال الوثنيَّة، وفرضَ عليها العبادات وألزمَها بالواجبات وسنَّ لها التشريعات؛ ممَّا يدعوها لأن تتعلَّم وأن تتفقَّه في الدِّين، وتتثقَّف بما يُنمِّي معارفَها ويقوِّي معلوماتِها ويصقُل مواهبَها من أنواع الأدبِ والعلوم.

وقد كانت عائشةُ أمُّ المؤمنين رضي الله عنها تحفظُ مئاتِ

---

(١) نُشرت في "جريدة الندوة" العدد (٢٣٣٩) في ٢١/٦/١٣٨٦هـ، باختصار.

القصائد، وكثيرًا ما تُنشِدُ أبياتًا من الشِّعر ممَّا تحفظه من جيِّد الشِّعر في مناسبته.

والخنساءُ الشاعرة الجريئة المجاهدة تُنشدُ الأشعارَ الرائعةَ التي يرِنُّ صَداها في الآذان، وتتناقلُها الألسنُ على مرِّ القرون، هذه الشاعرةُ كانت تحظى بالإعجاب والتقديم، فالعلمُ نورٌ، والأدبُ زينةٌ متمِّمٌ للحسن في التجميل، ومحسِّنٌ للدَّميم، وحِليَةٌ في كلِّ منتدى، وذكرٌ عَطِرٌ في كلِّ مجلس.

فالعلمُ مرغُوب، والسعيُ إليه محبُوب، ولكنَّ الذي لا ينبغي تَقَبُّله أو الركونُ إليه هو أن تركُضَ المرأةُ في البلاد الإسلاميَّة خلفَ المرأة الأوربيَّة مُقلِّدةً لها في أعمالها، مُحتذِيَةً لها في تصرُّفاتها.

تنظرُ إلى ما يأتي منها بعَينِ الإجلال، دونَ أن تميِّز بين الحَسَنِ والقَبيح، فتُذِيبُ شخصيَّتها، وتنحدرُ إلى مستوًى منخفِض، ممَّا آلَت إليه المرأةُ الأوربيَّة التي غَرِقَت في الانحلالِ باسم التحرُّرِ، ونبذَت الفضيلةَ باسم المساواة للرجل، وخرجَت عن طَورِها، وناقضَت طبيعتَها وتمرَّدَت على وَظيفَتِها، فصارَت مَلهاةً سَرعانَ ما ينبِذُها المجتمعُ،

وتعيشُ في فراغٍ رُوحيٍّ ونفسيٍّ، تائهةً في بَيْداءِ الضَّياع، رغمَ المظاهر البرَّاقة.

وإنَّه لمؤسفٌ أن نسمعَ ونقرأ لبعض النِّساءِ والفتياتِ في هذه البلاد مَن تتمنَّى أن تجدَ نواديَ على نَمَطِ النوادي في أوربَّا، ويضربن المثلَ لرقيِّ المرأة بما وصلَت إليه المرأة الأوربيَّة.

إنَّ هذا لمدعاةٌ إلى الأسف، وإنَّه دليلٌ على فِقدانِ الشخصيَّةِ الإسلاميَّةِ الصحيحة لدى أولئك، أو عن جهلِهِنَّ بالدِّين وبالعلمِ الحقيقي، فالتَبَسَ عليهنَّ العلم بما ليس منه، ولم يميِّزنَ بين الثقافة وما أُلصق بها ممَّا هي منه بَراء.

والمرأةُ التي سلكَت طريقَ العلم ووجدَت المجالَ مفتوحًا للنَّهَلِ من مَعِينه يجبُ أن تُبصِرَ طريقَها لئلَّا تقعَ في الهاويةِ التي وقعَت فيها المرأةُ الأوربيَّة، ولا تكون إمَّعَةً يُعشِيها التقليدُ والشعورُ بالتخلُّفِ فلا تنظرُ للأشياء نظرةً صحيحة.

وعلى المربِّين والمفكِّرين أن يُبصِّروا المرأةَ بواجبها قبل أن تقعَ فريسةً للتقليدِ والسَّيرِ في طريقٍ محفوفٍ

بالمزالقِ والمخاطر، ولكي تسيرَ في طريقِ الدِّين والعلمِ والاتزان؛ لتكون أمًّا صالحة، وبِنتًا بارَّة، وأختًا فاضلة، وزوجةً نبيلة.

الأمُّ مـدرسـةٌ إذا أعـدَدتَّـهـا   أعدَدتَّ شعبًا طيِّبَ الأَعراقِ



رحلة الرِّياض[1]

أصدر الأستاذُ عبدُ القدُّوس الأنصاري عددًا خاصًّا من مجلة "المَنهَل" شهر شعبان **١٣٨٧** اقتصرَ فيه على رحلته إلى الرِّياض، التي ابتدأت في ٧ جُمادى الآخرة ٨٧، وانتهَت بيوم ١٤ جُمادى الآخرة.

وقد صدرَت هذه المجلَّة في نحو **١٥٠** صفحة، وكان المؤلِّفُ قد غابَ عن الرِّياض نحوًا من **٢٢** سنة، وسجَّلَ في هذا الكتاب مشاهداتِه التي رآها بعد هذَين العِقدَين من الزَّمان.

وتبدو دَهشةُ المؤلِّف ممَّا شاهدَه من النهضةِ العُمرانيَّة وكثرة السكَّان ونشاطِ الحركة الثقافيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة، وتحدَّث عن الأماكن التي مرَّ بها في السيَّارة، ورجعَ إلى عددٍ من المؤلَّفات القديمةِ والحديثة.

وقد أحسنَ الأستاذُ عثمان الصالح مدير (معهد العاصمة النموذجي) بالرياض إذ دعا الأستاذَ عبدَ القدُّوس الأنصاريَّ للقيام بهذه الرحلة، ويتَّضحُ مدى الجَهدِ الذي

(١) نُشرت في "الجزيرة" العدد (١٧٢) في ٢٦/ ٨/ ١٣٨٧هـ.

بذلَه المؤلِّف عندَ الرجوع إلى قائمة المراجع التي أثبتَها في آخر الكتاب، وما وضعَه من فهارس منظِّمةٍ له؛ فهناك فِهْرِس الموضوعات، ثم فِهْرِس الأماكن والمعالم، يليه: فِهْرِسُ الأعَلام، فَفِهْرِس الصُّور والخرائط.

فهو إذن سِفرٌ جديدٌ يُضيفُه الأستاذ عبد القدُّوس الأنصاري إلى المكتبة العربيَّة إلى جانبِ الكتب التي تتحدَّثُ عن الرِّحلات وتصوِّر انطباعاتِ الرَّحَّالةِ في تَجوالِهم، وما يشاهدونه من تطوُّرٍ عمرانيٍّ أو ثقافيٍّ أو اقتصاديٍّ أو سياسيٍّ، وما يلقَونَه من غرائب، وما يُصادِفونَه من مشقَّاتٍ أو مُتعات.

في كتب الرِّحلات حديثٌ ماتِع؛ لذا فلا بِدْعَ أن تحظى بنصيبٍ وافرٍ من الاهتمام بها والحرصِ على مطالعتِها اكتشافًا لجديد وسَردًا لقصصٍ طريفةٍ وعاداتٍ غريبة، وإطلاعًا للقرَّاء على أحوالٍ يجهلونها وبُلدانٍ لا يعرفونها.

ومن الذي يجهل "تُحفة النظَّار في عجائبِ الأمصار" لابن بطُّوطَة، و"الرحلة إلى المشرق" لابن جُبَير، وما لَقِيَه الكتابان من شهرةٍ وعناية، وما احتوياه من معلوماتٍ قيِّمة، لا نقول: إنَّها سليمةٌ من كلِّ خطأ، ولكنَّها أفادت كثيرًا.

وكتبُ الجغرافيا والتاريخ والأدب حافلةٌ بذكر الرحَّالة المسلمين سواءٌ منهم من تحدَّث عن رحلته ضمنَ كتاب تاريخيٍّ أو في ثنايا كتابٍ أدبي، أو أشارَ لذلك وهو يتكلَّم عن المغازي، أو كان ممَّن لم يؤلِّف ولكن اشتهرَت رحلته ودوِّن عنها بعضُ المشاهدات عن طريق الرِّوايةِ والتَّداول.

كسلام الترجمان في رحلته إلى سور الصِّين الشمالي، حين أرسلَه الخليفةُ العبَّاسيُّ الواثقُ بالله لمشاهدةِ سدِّ ذي القرنَينِ دونَ مأجوجَ ويأجوج؛ وقد ذكر عنها ياقُوت الحَمَويُّ في "معجم البُلدان" والإدريسيُّ في "نزهة المشتاق".

وابن وَهْبٍ القُرشيِّ الذي قام برحلةٍ إلى الصِّين نحو سنة ٢٥٦هـ؛ وقد أشارَ المَسْعُودِيُّ في كتابه "مُروج الذَّهب" إلى هذه الرِّحلة، وسليمان السِّيرافي؛ وقد تحدَّث عن هذه الرِّحلة أبو زيد حسن من أهل سِيراف في "الذَّيل" الذي وضعَه للرِّحلةِ المذكورة، كما أنَّ سليمان المذكورَ قد كتب عن رحلته سنة ٢٣٧هـ.

وابنِ فَضْلانَ الذي قام سنة ٣٠٩هـ برحلةٍ إلى بلاد البُلغار؛ وكان أحمد بن فَضْلانَ قد بعثَه الخليفةُ العبَّاسيُّ المقتدر بالله إلى ملك البلغار ضمنَ بعثةٍ هدفُها تَفقِيهُ الملكِ

في الدِّين الإسلاميِّ، بعد أن اعتنقَ الإسلامَ وطلبَ إرسالَ البعثة فأُجيب إلى ذلك، وألَّف ابنُ فَضْلانَ رسالةً عن هذه الرِّحلة نقلَ عنها المَسعُوديُّ والإصطَخْريُّ وياقُوت الحَمَويُّ وطُبعَت سنة ١٨٢٣.

وأبي دُلَف الخزرجيِّ مِسْعَرِ بن مُهَلْهِل؛ أوفدَه الأميرُ السَّامانيُّ نَصر بن أحمد سنة ٣٣١هـ تقريبًا إلى الصِّين.

وقد اشتَهرَ كثير من المتقدِّمين الذين أَلَّفوا في الجغرافيا بأنَّهم رحَّالةٌ يجوبون أقطارَ الأرض للتِّجارة وطلبِ العلم، ثم أَلَّفوا كتبَهم بناءً على مشاهداتِهم كالهَمْداني في كتابه "صفة جزيرة العرب" و"الإكليل"، وياقوت الحَمَويِّ في "معجم البُلدان"، والإصْطَخْرِيِّ في كتابه "المَسالك والمَمالك"، والمَسْعُوديِّ في "مُروج الذهب"، ومحمَّد بن حَوْقَل البغداديِّ في كتابه "المسالك والممالك"، والمَقْدِسيِّ أبي عبد الله المعروف بالبشَّاري في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، والحسنِ ابن المُهَلَّبي في كتاب "الطرقُ والمسالك"، وعبد الله بن عبد العزيز البَكْرِيِّ صاحب كتاب "المسالك والممالك"، والإدرِيسيِّ في كتابه "نزهةُ المشتاق في اختراق الآفاق"،

والسَّمْعانيِّ في مؤلَّفه كتاب "الأنساب"، والهَرَوِيِّ السائح في كتابه "منازل الأرض ذات الطول والعرض، والآثار العجائب والأصنام والإشارات إلى معرفة الزيارات"، وأسامةَ بن مُنْقِذ في "الاعتبار" وكتاب "الإفادة"، و"الاعتبار في الأُمور المشاهَدةِ والحوادثِ المعايَنَةِ بأرض مصر" لعبد اللَّطيف البغدادي، وعليِّ بن سعيد المَغرِبيِّ في كتاب "المُغرِبُ في حُلى المَغرِب" الذي بدأه جدُّه وأبوه من قبل ثم أكملَه هو، وزكريَّا بن محمَّد القَزْوِينيِّ في كتابه "فريضة الحجِّ من المغرب"، وخالدِ بن عيسى البَلَوِيِّ في كتابه "تاج المفرِق في تَحلِيَةِ علماء المشرِق"، وعبد الباسطِ ابن خليل بن شاهين الظاهريِّ في كتابه "الروضِ الباسم في حوادث العُمرِ والتراجِم"، ووالده خليل هو مؤلِّف كتاب "زُبدَة كشف الممالك وبيانِ الطُّرقِ والمسالك" وأحمد بن ماجد في مؤلَّفاته العديدة.

ومن أرادَ المزيدَ من المعرفة عن الرحَّالة المسلمين فليُراجع كتاب "الرحَّالة المسلمون في العصور الوسطى" للأستاذ الدكتور زكي محمد حسن.

النقد البنَّاء[1]

إذا كان المديحُ المجازِفُ بلاءً على الأمَّة فإنَّ النقدَ الهادمَ مصيبةٌ عليها، فبعضُ النَّاس لا يُعجِبُهم العَجَبُ؛ فهم ينظرون للأشياء بمنظارٍ أسود، وكلُّ شيءٍ جميلٍ فهو في رأيهم قَبيح، فهم يتخيَّلون النور ظُلمَة والبياضَ سوادًا والجميلَ دَمِيمًا، فلا يَهنأ لهم بالٌ حتى يقدَحوا ويشتِموا ويعيبوا، فتراهم ساخِطينَ على كلِّ شيء، ناقِمينَ على الدُّنيا وما فيها.

فإذا رأوا مشروعًا اختلقوا المطاعنَ للتقليل من أهميَّته، وإذا شاهدوا تطوُّرًا زعموه بُدائيًّا، وإن أبصروا شخصًا قد كافحَ وجَدَّ حتى نال وظيفةً جيِّدةً ادَّعوا أنَّ الحظَّ هو الذي أوصلَه إلى هذه المكانة، وإلَّا فإنَّه ليس جديرًا بها، وراحوا يشتِمونَ الزمنَ الذي تُغمَطُ فيه الحقوق وتُقبَرَ الكفاءات، ويعنُونَ بالكفاءات كفاءاتِهم هم حتَّى وإن كانوا من أجهلِ الجاهلين وأبلدِ النَّاس.

---

(١) نُشرت في "الجزيرة" العدد (١٦٧) في ٢١/ ٧/ ١٣٨٧هـ.

وحين يسمعون أنَّ عالمًا قد اكتشف ما يُعَدُّ ذا شأنٍ سخروا من ذلك وقالوا: إنَّ هذا لا يُعَدُّ اكتشافًا ولا فائدة تُرجى منه، وإن سَمِعوا أنَّ أديبًا قد نالَ شهرةً ومجدًا؛ لأنَّه جدَّ وثابرَ ووُفِّقَ ادَّعوا أنَّ شهرتَه ليسَت ذاتَ وزنٍ، وأنَّ أدبَه لا يستأهِلُ كلَّ هذه الضجَّة، وهكذا يدأبون على التنقُّصِ لكلِّ عملٍ وإنتاجٍ مثمِر، فلا يهدأ لهم بالٌ إلَّا في الطعنِ والتجريح.

وهؤلاءِ نكبةٌ على الأمَّةِ؛ حيث يشوِّهون الجمالَ في نظر النَّاس، ويُقلِّلون من أهميَّة النجاح، ويثبِّطون العزائمَ بسِهامِهم الجارحةِ التي يسمُّونها نقدًا، وما هي من النقد في قليلٍ أو كثير، ولكنَّها تعبيرٌ عن أحقادٍ وإرواءٌ لنفوسٍ ظمأى إلى التشفِّي والتعَيُّب.

وقد تلحظُ هذا النَّمَطَ من النَّاس عندما يتعرَّض لما يدعوه نقدًا يكون همُّهُ مُنصَبًّا على التجريح الشخصيِّ وتوجيهِ الإهانات إلى المنقُود، وذِكرِ مَثَالِبه، والخروج عن مجال النقدِ إلى أشياءَ بعيدةٍ كلَّ البعدِ عن النقد، كالطعنِ في نَسَبِ المنقودِ أو التهكُّمِ بلونِه أو جسمِه أو حواسِّه.

ولا ريبَ أنَّ دورَ هؤلاءِ في إفساد الذَّوق أكثرُ منه في

تهذيبِ الأدب أو تصحيح الأخطاء، وإذا كانت الأمَّةُ لا تستغني عن النقد، فهي تحتاجُ إلى النقدِ الهادفِ الذي يَنشُدُ الحقيقة، ويبتعِدُ عن البَذاءةِ والمهازِل.

أمَّا العيبُ والتجريحُ فخَيرٌ للأمَّةِ أن تخلوَ من مُنتحلِيها باسم النقد ممَّا لا صِلَةَ له بالنقد ولا يمتُّ له بقرابة.

ومن المُؤسِف أن يكونَ بيننا من يسلكُ هذا الطريقَ الوَعْر، ويرتكب خُطَّةَ عَسفٍ في هذا المجال، ولعلَّه أن يعيَ دورَ النقد الصحيح فيثُوبَ إليه بعد أن قطعَ أشواطًا في مِضمارِ الطعن، والنظرِ للأشياءِ بمنظارٍ أسودَ حتَّى لا يميِّزَ الغثَّ من السمين، وفقدَ الإحساسَ السليمَ الذي يستطيعُ به أن يَزِنَ الأمورَ بميزانٍ دقيق، ولعلَّه أن يصلَ إلى الهدف إذا ما أبدى رغبةً صادقةً في إدراك الحقِّ الذي تاهَ عنه حينًا من الزمن؛ حتَّى يقدِّمَ إنتاجًا ذا أثرٍ محمودٍ في مَيدانِ النَّقدِ البنَّاء.



النافخون في الأبواق[1]

من الواضح أنَّ هناك ارتباطًا وثيقًا بين النافخين في الأبواق والساخطين على كلِّ شيء؛ هو أنَّهم يهدِّمون أكثرَ ممَّا يبنون ويضرُّون أكثر ممَّا ينفعون، والأمَّةُ تحتاجُ إلى ناقدين عادلين وإلى من يُنبِّه على الخطأ ويُساعد على تجنُّبِه؛ ولذا جعلنا الموضوعَين متتابِعَين.

فالأوَّلون وهم النافخون في الأبواق يمثِّلون الخَوَرَ والاستكانَة، ويحملون الممدوحينَ على الغُرورِ والخُيَلاء بما يحقُنونهم به دائمًا من إطراءٍ كاذبٍ ومَدحٍ سَخيف، وما يصوِّرونهم به من عظمة جوفاء حتَّى لكأنهم معصومون من الخطأ، وكلُّ ما يصدر عنهم فهو الحكمةُ الضَّالَّةُ والدررُ المكنونة والعبقريَّةُ الفذَّةُ مهما تكن تفاهةً وضَحَالةً وجَهلًا.

وهؤلاءِ النافخون في الأبواق يقلبون الباطلَ حقًّا والحقَّ باطلًا والكسلَ نشاطًا والخمولَ نباهةً والتقصيرَ إخلاصًا، وهكذا يسيرون على وَتيرةٍ واحدةٍ هي ترديدُ

---

(١) نُشرت في "الجزيرة" العدد (١٦٧) في ٢١/ ٧/ ١٣٨٧هـ.

الأصداء للرغبةِ الكامنةِ في نفوس أولئك الممدوحين، من حبٍّ للثناء، وتطبيلٍ وتزمير.

وقد يصدِّقون ما يُكال لهم من إطراءٍ فيحسبون أنَّ كلَّ شيءٍ على ما يُرام، وأن ليس في الإمكان أبدعُ ممَّا كان، ويتخيَّلون أنفسَهم المتفضِّلين دائمًا والعباقرةَ على كلِّ حال، وأنَّهم الذين يحسنون بكلِّ صَنيع ولولاهم لأصبحَت الدُّنيا خرابًا يَبابًا كلُّ ما فيها ضَياعٌ في ضَياعٍ وتَبابٌ في تَباب، وقد يكون العكسُ هو الصحيح.

مع ذلك فإنَّ المعزوفاتِ التي يكرِّرها المادحون والأكاذيبَ التي ينشرُها (المنتفعون)، وإبعادَ النقد الهادف قد خيَّلت لهم أنَّهم فوقَ مستوى النقد، وأنَّهم المصيبون دائمًا الذين أدَّوا أكثرَ ممَّا عليهم، وقدَّموا من الأعمال والخِدمات ما تَعجِزُ البشريَّةُ عن تحقيقه، حتَّى أوشكوا أن يدَّعوا لأنفسهم ما هو من حقِّ الله وحدَه.

ولا شكَّ أنَّ جنايةَ النافخين في الأبواق على الأمَّةِ جسيمة وذاتُ أخطارٍ مُتشعِّبة، حيثُ تصوِّر الأشياء بعكس حقيقتها، وتقلبُ المقاييس، حتَّى تُضيِّعَ معالمَ الحقِّ أمامَ الأمَّةِ، وتجعلَها تعيش في دُوَّامةٍ من البلبلة الفكريَّة لا تميِّزُ

سبيلَها، ولا تُدرك معالم طريقها بسببِ الضباب الكثيف من الدِّعايةِ الباطلةِ، والدُّخَان الذي يحجُب الرؤيةَ من الأقوال التي تهدفُ إلى تغطية الحقائق.

وهكذا تتحمَّل هذه الفئة مسؤوليَّةَ إفسادِ الذَّوقِ وحجبِ الحقِّ وطمسِ الواقع، أمامَ الأعين الباحثة عن الصِّدق في فوضى الأفكار، وباطل الأقاويل التي تدورُ مع الرِّيح حيث تدور، ليس لها وازعٌ من دينٍ أو ضميرٍ أو خُلُق، ولا تحسُّ بشعورٍ نحو إحقاقِ الحقِّ وإيضاحِ الأمر، وكلُّ هدفها إرضاءُ من تمدحُه لكي تستمرَّ مكاسبُها المادِّية وغنائمُها الذاتيَّة على حساب الحقِّ المطموس، وصدق الرسول ﷺ إذ يقول: «إذا رأيتُم المدَّاحينَ فاحْثُوا في وجُوهِهِمُ التُّرابَ».

وبعد؛ فما أحرى هذا النوعَ من النَّاس بالنَّبذِ والإقصاء؛ لأنَّ ضررَهم على الأمَّةِ عظيم، ولأنَّهم يخدعون من ينفُخون له حتَّى يقعَ في الكارثة وهو يحسَبُ أنَّه لا أحسن منه ولا أفضل، وما ذاك إلَّا من إخفاء الحقيقة عنه، وإيهامه أنَّه في مستوًى لا يُدانى.



آباء جاهلون[1]

قال لي: تطرَّقتَ في مقالاتك التي تنشرها الصُّحف إلى موضوعاتٍ عديدة، وهنا موضوع لا يقلُّ أهميَّة عمَّا نشرتَه في شؤوننا الاجتماعيَّة، وحبَّذا لو تحدَّثتَ عنه وأبَنتَ بعضَ جوانبه.

قلت: وأيَّ موضوعٍ تعني؟

قال: إنَّه موضوعُ العوانس.

قلت: وأيُّ شيءٍ تريد منِّي صُنعَه للعوانس، ولست ذا سلطةٍ مُنفِذةٍ أو قُدرةٍ مُلزِمة!

قال: فليُسعِدِ النُّطقُ إن لم يُسعِدِ الحالُ (على حدِّ تعبيرِ أبي الطيِّبِ المتنبِّي).

قلت: سأفعل إن شاء الله، وهكذا كانت الكلمةُ:

إنَّ بعضَّ الآباءِ - عفا الله عنهم - قد جَهِلوا أو تجاهَلوا واجبَهم الدِّينيَّ ومسؤوليَّتهم كآباء يرعَون الأولاد، ويقومون

(١) نُشرت في "الجزيرة" العدد (١٥٨) في ١٨/ ٥/ ١٣٨٧هـ.

بما حُمِّلوا من واجبٍ حيالَهم؛ فتراهم يُسيئون إلى بناتهم ويحرمونهنَّ من أعظم مُتَع الحياةِ ومَباهِجِها، فيحولون بينهنَّ وبينَ الزواج، وذلك نتيجة لتصرُّفاتٍ حمقاء.

فمن الآباء مَن يتعنَّت في الشروط والمواصفات التي يرغبها فيمَن سيحظى بمُصاهرته حتَّى لتكون مستحيلةً أو شبهَ مستحيلة، ويُعاند ويصرُّ على آرائه الغريبة حتى يفوِّتَ ابنتَه أو بناتِه قطارَ الزواج، والمسكينةُ تذوبُ أسًى وتحترقُ كمدًا، وليس لها رأيٌ أو مشورةٌ في أهمِّ حقوقها وأعظم شؤونها الخاصَّة.

وهذا مخالفٌ للدِّين الذي جاءَ لإسعاد البشر واستقرارهم، وحثَّ على الزواج، وبيَّنَ أنَّه سُنَّةُ المرسلين، وأمرَ بالتسهيل فيه ونهى عن المغالاة في المُهور، ودعا إلى تزويج من يُرضى دينُه وأمانتُه، وأبانَ أنَّ عدم تنفيذ هذا يَنتج عنه مفاسدُ كبيرة ومضارٌّ جسيمة، وهذه حالُ البُلدان التي يتأخَّر فيها الزواج، فإنَّ المفاسدَ تنخر في مجتمعاتها، ومن جرَّاءِ ذلك أُصيبَ بالتدهور الخلقيِّ وتفكُّك المجتمع.

ودرءًا لهذه الشرور كانت الشريعةُ الحكيمةُ مُرغِّبَةً في الزواج المبكِّر، حاثَّةً عليه، وإنَّ تعطيلَ الزواج بحجَّة

إكمال الدِّراسات، أو وضعَ شروطٍ شبهِ مستحيلة في الزوج - ينجُم عنهما أخطارٌ وَبِيلةٌ ومضارٌّ كبيرة.

ومن العادات السيِّئةِ إعراضُ بعض الآباء عن أخذِ رأي بناتِهم في الزواج، وربَّما ردُّوا خُطَّابًا ترضاهم بناتُهم تتوفَّر فيهم الشروطُ المناسبة، فإذا أُضيف لهذه العادة السيِّئة عادةٌ لا تقِلُّ عنها بَشاعةً وهي: تعنُّتُ بعض الآباء على الزوج في المهرِ الغالي، أو في صفاتٍ يطلبُ تحقيقَها فيه وهي من الصعوبةِ بحيثُ لا تتوفَّر إلَّا نادرًا - استبانَ خطأُ هذه التصرُّفات ومضرَّةُ هذه العادات المخالفةِ للشريعة.

فالرسولُ ﷺ يقول: «يا معشرَ الشباب؛ مَن استطاعَ منكم الباءةَ فليتزوَّج؛ فإنَّه أغَضُّ للبَصَرِ وأحصنُ للفَرْج، ومن لم يستطِع فعلَيه بالصَّوم؛ فإنَّه له وِجَاءٌ».

ويقول: «لا تُنكَحُ الأيِّمُ حتَّى تُستأمرَ ولا البِكرُ حتَّى تُستأذَن»، قالوا: يا رسول الله؛ وكيف إذنُها؟ قال: «صُماتُها».

والأيِّمُ هي الثيِّبُ فلا بدَّ من أخذِ رأيها في الزوج صراحة، أمَّا البِكرُ فإذنُها بالعلامةِ الدَّالَّةِ على رغبتها،

وهي السكوت إذا كانت تخجَلُ من إبداءِ رأيها صراحةً؛ إبعادًا لإحراجِها!

ومن هنا نُدرك خطأَ بعض الآباء في تأخير زواج بناتِهم حتى تفوتَهنَّ الفُرصة، وينصرفَ عنهنَّ الخُطَّاب، ويصبحنَ عانسات، وهؤلاءِ الآباء يتحمَّلون وزرًا عظيمًا جسيمًا؛ إذ تركوا ما جاءت به الشريعةُ في هذا الشأن وفوَّتوا بسوءِ تصرُّفهم على بناتِهم لذَّةَ الحياةِ وبهجَتها.

وهنا عادةٌ جاهليَّةٌ ذَمِيمَة، وهي التحجيرُ على البنت من قِبَلِ أحد أبناء عُمومَتِها أو أبناءِ أخوالها، وهذه العادةُ على وَشْكِ الانقِراض، وهي تُعَدُّ سُبَّةً على المجتمع الذي يُزاولها؛ لأنَّها تنُمُّ عن جهلٍ راسخٍ وظلمٍ صارخٍ وإهانةٍ للكرامة الإنسانيَّة.

فهذه العادةُ القبيحةُ معناها أن تظلَّ البنتُ محرومةً من الزواج عقوبةً لها؛ لأنَّها لم توافق على الزواج من ابن عمِّها أو ابن خالها، وكأنَّها ما وُجِدَت في هذه الحياة إلَّا لتصبحَ زوجةً له ومن أجلِ سَوادِ عيونِه (أو بياضها)، فإذا تمرَّدت على هذا الحقِّ في زعمِه فهي عاصيةٌ تجبُ معاقبتُها بهذه العقوبةِ القاسية.

وغالبًا ما يقِفُ الأبُ في هذه الحال موقفًا سلبيًّا، والمحزِنُ أن يقفَ المجتمع هو الآخر موقفًا مائعًا وكأنَّ الأمرَ لا يَعنِيه في قليلٍ أو كثير، مع أنَّ هذا العملَ يُعَدُّ تعدِّيًا على المجتمع الذي تُمارَس فيه هذه العادةُ القبيحة، ولكن هذه كما قلت على وَشْكِ الانقراض والحمد لله.

ونأمُل أن يدركَ الآباءُ مسؤوليَّاتهم تُجاهَ أولادهم، وأن يعلموا أنَّ عليهم واجبًا حِيالَهم كما أنَّ لهم حقوقًا عليهم.



في القِصاص حياة[١]

الذين يتشدَّقون بكلماتٍ يرسلونها جُزافًا في عُجبٍ وخُيَلَاء، زاعمينَ أنَّهم المتحرِّرون المتمدِّنون، ويعيبون تطبيقَ أحكام شرعيَّة واضحة، مدَّعين أنَّها لا تتلاءم وروحَ العصر، أو أنَّها من مخلَّفات العصور البالِيَة، وقد يدَّعون أنَّ ذلك وحشيَّةٌ وقسوة.

هؤلاءِ الذين يَهرِفُون بما لا يعرفون، يجمعون بين الجهل بالشَّرع والتعامي عن الواقع والتنكُّر للحِكمةِ والمصلحةِ العامَّة، فيزعمون أنَّ قتلَ القاتل العامدِ وقطعَ يدِ السارق ورجمَ الزاني المُحصَن وجلدَ شاربِ الخمر - إهدارٌ لكرامةِ الفرد، وتضييقٌ للحريَّات الشخصيَّة، وعقوبةٌ صارمةٌ يكفي القليلُ منها عن الكثير.

ونَسِيَ هؤلاءِ أنَّ الله الحكيم العليم هو الذي شرعَ ذلك، وأمرَ رسولَه ﷺ والمسلمين بتنفيذِه، وأنَّ في هذه العقوبات حمايةً للمجتمع من عُدوانِ المجرمين، وصيانةً

---

(١) نُشرت في "الجزيرة" العدد (١٨٢) في ١٥/ ١١/ ١٣٨٧هـ.

للأمَّةِ من العبثِ والفوضى، وإقامةُ المجتمع على أُسسٍ سليمةٍ ودعائمَ مَتِينَة، لا يسمَحُ للسُّوس أن ينخرَ فيه، ولا يتركُ مجالًا للأمراض تستشري في أوصاله، دونَ علاجٍ حازمٍ (وآخرُ الدواءِ الكَيُّ).

وإنَّ إجراءَ الأحكام الشرعيَّة فيه السلامةُ للمجتمع من الدَّمار، وإذا كان أفرادٌ قلَّةٌ لا يكادون يُذكَرون يُعاقبون بهذه الحدود، فإنَّ أمنَ المجتمع وهدوءَه وتماسُكَه أمرٌ مهمٌّ جدًّا، وذَهابُ أشخاص يريدون الإخلالَ بهدوئه والعبثَ بشؤونه من قَتَلَةٍ ولُصوصٍ وقُطَّاع طُرُقٍ معتدين على الحُرمَات، أو عقوبتُهم عقوبةً رادعةً لا تعني القسوةَ والوحشيَّةَ كما يصوِّرها المغرورون، وإنَّما هي الرأفةُ بالمجتمع وبناؤه على قواعدَ سليمة، وإبعادُ الأخطار والمضارِّ التي تُلحِقُ به التَّلَفَ أو الضَّرَر.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ [البَقَرَة: ١٧٩].

ونظرةٌ إلى واقعِ البُلدان الكثيرةِ التي لا تدينُ بالإسلام، أو البُلدانِ التي لا تُطبِّق أحكامَه استِعاضةً عنه بقوانينَ وضعيَّةٍ - تُعطي البرهانَ الجليَّ على الواقع المرِّ

الذي يعيشُه المجتمعُ هناك من خوفٍ وتناحُرٍ وتفكُّك، برغمِ المظاهرِ والدعاوى الكبيرة بالحريَّة والديمقراطيَّة.

وهذا بلدٌ عربيٌّ صغيرٌ لا يبعُدُ كثيرًا عن هذه البلاد يعيثُ فيه القَتَلَةُ وعصاباتُ الإجرام، ويُعتدى فيه على الآمنين؛ وما ذلك إلَّا لأنَّ العقوباتِ الحاجزةَ مُعطَّلة فيه، وقد أُلغِيت عندهم عقوبةُ الإعدام.

ولكنَّ الحوادثَ المروِّعَةَ وفظائعَ الإجرام التي باتَت تهدِّدُ كلَّ فردٍ فيه قد جعلَت أهلَ ذلك البلد يهبُّون من جديدٍ مطالبينَ بتطبيق عقوبةِ الإعدام، حتى تزولَ الأسبابُ الموجِبةُ لهذه الموجَةِ المروِّعة من الجرائم وعصاباتِ السَّطو والقتل والعدوان.

ومع أنَّ السُّلطةَ في ذلك القُطرِ بيَدِ النصارى فإنَّ الصَّيحاتِ تنبعِثُ اليومَ من كلِّ جَنَباتِه مُناديةً بصرامةِ العقوبات؛ درءًا للأخطار التي تهدِّدُ بلادَهم من جَرَّاء التساهلِ مع المجرمين.

وبعدُ، فعسى أن يتنبَّهَ الذين يحاولون تقليدَ الغرب في أوضاعِه على عِلَّاتها أنَّهم قد أخطؤوا المَسْلَك، وجانبوا الرَّشاد، وإنَّ الإسلامَ هو الذي ينظِّم الحياةَ على قواعدَ لا

تندَكُّ ولا تتزعزع.

ولأمرٍ ما كانت الشريعةُ الإسلاميَّة للبشريَّةِ جمعاء، وكان خاتمُ الأنبياء محمَّد ﷺ رسولًا إلى النَّاس كافَّة، فهل يفهم الغافلون عن نعمةِ الأمن، وما في تطبيقِ الشَّرع من حكمةٍ، وما تنالُه الأمَّةُ من سعادةٍ وهَنَاءٍ في الإسلام عقيدةً وحُكمًا، دينًا ودُنيا، دولةً ومجتمعًا؟!

وقد قَرَن الله الخوفَ بالجوع للصِّلةِ الوثيقةِ بين الاثنَين؛ فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النّحل: ١١٢].

وحالُ البُلدانِ التي لا تدينُ بالإسلام، ولا تطبِّقُ أحكامَه، وإن ازدهرَت حضارتُها ظاهريًّا وأصبحت دولًا صناعيَّةً قويَّة، فإنَّ مجتمعَها يُعاني من الانقسام والخَوفِ، وما يُفقِدُه البَهجَةَ ويكدِّرُ عليه رخاءه وغِناه؛ فهو في وَجَلٍ دائمٍ وقَلَقٍ متزايدٍ، يشعرُ بالتهديد المستمرِّ وبالمخاطر أنَّى اتَّجه؛ فلا يهنأ له عَيش، ولا ينعَمُ له بال، وإن حازَ المالَ الوفيرَ والجاهَ الكبير.

ولو أنَّ هؤلاءِ المنتقدين لما يَجْهلون خفَّفوا من غُلوائِهم ونظروا للأمر من زاويةٍ عادلة، لأدركوا أنَّ الصَّوابَ في الرجوعِ إلى الدِّين؛ لأنَّه سبيلُ السعادةِ والهداية، وتيقَّنوا أنَّ إقامةَ الحدودِ فيها نجاءُ المجتمع، وطُمأنِينَته.

ولا بِدْعَ أن يغضبَ الرسولُ ﷺ حينما كلَّمه الحِبُّ ابنُ الحِبِّ أسامةُ بنُ زيد بشأن المخزوميَّة التي سرقَت متشفِّعًا، فقال الرسول: «إنَّما أهلَكَ مَن كان قبلَكُم أنَّهم كانوا إذا سَرَقَ فيهم الشريفُ تركوه، وإذا سَرَقَ فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحَدَّ، وايْمُ الله لو أنَّ فاطمةَ بنت محمَّدٍ سرقَت لقطعتُ يدَها».

واللهُ الهادي إلى سَواء السَّبيل.



كيف يتحقَّق الأمن ؟

نحمَدُ الله على ما تتمتَّعُ به هذه البلاد من أمنٍ واطمِئنان، وما تنعَمُ به من هدوءٍ افتقدَه أكثرُ العالم، على الرَّغم من الحضارةِ التي شَمِلَت بُلدانًا كثيرة، فهي مع مدنيَّتها البرَّاقةِ تعيشُ في حالةِ خوفٍ وفوضى؛ لأنَّها لم تُحكِّم القرآن، ولم تَعِ الحكمةَ العظيمة في التشريع الإلهيِّ الذي يأمرُ بقتلِ القاتل العامد، ويدعو إلى قطع يدِ السارق.

وظنَّ بعضُ المتشدِّقين ظنونًا كاسِدَة، واعترضوا على الشَّرع المُطهَّر؛ زعمًا منهم أنَّ ذلك قسوةٌ وعنف، وكان ظنُّهم بالله سيِّئًا فأرداهم ما ظنُّوا.

إنَّ اللهَ الحكيمَ العالمَ بمصالح عبادِه قد شرعَ القِصاصَ والحدودَ، لكي يعيشُ النَّاس آمنينَ مطمئنِّين، ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٧٩﴾ [البَقَرَة: ١٧٩].

وإذا كانت بلادُنا - بحمد الله - قد بلغَت الذِّروة في مجالِ الأمن والهدوءِ وأضحَت الحالاتُ الإجراميَّةُ فيها نادرةً جدًّا، إذا قِيسَت بغيرها من البُلدان، فإنَّ ذلك مرجِعُه

إلى إنفاذِ حُكمِ الشَّرع، وليتَ الذين يعيبون ويهوِّلون على المملكةِ انصياعَها لحُكمِ الله في ذلك قد أدركوا هذه الحكمةَ العظيمةَ فخفَّفوا من غُلوائِهم وعَيبِهم.

وها هي كاتبةٌ لبنانيَّةٌ قد شهِدَت المآسيَ الإجراميَّة في بلادها فطالبَت بقَتل القاتلِ وعقوبةِ السارق عقوبةً رادعةً؛ ليعودَ لبلدِها الأمنُ المفقود.

وهذه الكاتبةُ لم يدفَعها لما طالبَت به قوَّةُ إيمانٍ أو حِرْصٌ على تحكيم القرآن، ولكنَّها أدركَت أنَّ الأمنَ لا يحقِّقه إلَّا عقوبةٌ صارمةٌ لمن يُخِلُّ به، وهذا بعَينِه ما دعا إليه القرآنُ منذ (١٤) قرنًا، من أجل سعادة البشريَّةِ وهَنائها.

كتبت ليلى بَعْلَبَكِّي في العدد (٤٠١)، **١٣** شباط سنة **١٩٦٧**م، في "مجلَّة الأسبوع العربي" اللبنانيَّة مقالًا تذكرُ فيه حالةَ الفزعِ التي يعيشُها شعب لبنان؛ نتيجةً لترك القَتَلَةِ واللُّصوصِ وعصاباتِ الإجرام تسرَحُ وتمرَحُ دونَ عقابٍ رادع .

تقول فيه: «اجمعوا أعضاءَ مجلس النوَّاب الذين أصبحَ جمعُهم مستحيلًا مثلَ سلامةِ أرواحنا، اجمعوهم وأصدروا قانونًا يُجيز قَتلَ القاتلِ في جميع الأحوال والدوافع، وعندَها لن نسمعَ برجلٍ يعتاشُ على حسابِ امرأة قريبتِه يقتلُها حين

تمتَنِعُ عن الدَّفع! اقتلوا قاتلًا واحدًا وسنرى إن كان يجترئ أيُّ (قَبَضَاي) شجاع على الدُّخول إلى بيوت الناس، لخَطفِ أنفاسِهم والتلذُّذ بمنظر الدماء، أو لسرقتِهم والتلهِّي بفصل رؤوسهم عن أجسادهم، اقتلوا واحدًا وسنرى إن كان يجرؤ أيُّ شخصٍ على خطف قاصر؟

القَتَلةُ يمرحون في جميع أطراف البلاد، يأكلون ويشربون حتى الإغماء، ويتجوَّلون في كلِّ مكانٍ، ويُحدثون ضجَّةً وضَحِكُهم الساخرُ يُصِمُّ الآذان، والأبرياءُ في بيوتهم ينزَوُون يشلُّهم العجزُ والخوفُ».

وما أحسبُني بحاجةٍ إلى التعليق على هذه الكلمةِ الجريئةِ الواضحة، وما هي إلَّا مَثَلٌ لِما يُنادي به كثيرون في العالم شرقِه وغربِه بعد أن استعصى الدَّاء، وانتشرت الفوضى، واختلَّ الأمنُ بصورةٍ تدعو للقَلَقِ والذُّعر!

وما دواءُ دائهم إلَّا في تطبيقِ الأحكام الشرعيَّةِ التي جاءَ بها الرسولُ عن ربِّه في شريعةٍ لكلِّ البشر في جميع أنحاء الدُّنيا.



واجب الغنيِّ تُجاه الفقير

تُرى كم من البشر مَن يتضوَّرُ جوعًا، ويعاني المَسْغَبَة؟ ملايين من الناس لا يجدون القُوتَ الضروريَّ ولا المأوى والمَلبَس، بينما الدُّول التي تُسمَّى الكبرى أو الغنيَّة تُبَذِّرُ الأموالَ الطائلةَ في صُنع آلات الدَّمار وقنابل (النابالم) والقنابل الذريَّة والهيدروجينيَّة، وفي وسائل اللَّهو والتَّرَف.

ولو أنَّ هؤلاءِ صرفوا بعضًا ممَّا يبدِّدونه في سبيل الشيطان على إطعام الجائعين وإيواءِ المشرَّدين وكُسوةِ العُراة - لكانوا بذلك قد أدَّوا قِسْطًا من واجبهم، وقدَّروا مسؤوليَّتهم نحو الإنسانيَّة البائسة، ولكنَّهم مع الأسف تجاهلوا هذا المَطلَب السامي، وتفاخَروا بما وصلوا إليه من مخترَعاتٍ ليسَت في صالح البشريَّة ولا تهدفُ لإسعادها.

فمتى يرعَوي أولئك الذين يدفعهم جنونُ العظمةِ والرغبةُ الجامحةُ في السيطرة على العالم، وامتلاكِ ثرواتِه ومصادر اقتصادِه ومواقعِه الحسَّاسة؛ إمعانًا في استمرار السَّيطرةِ وبَسطِ النُّفوذ؟! وهل يدركون واجبَهم حِيالَ البائسين في أصقاع المعمورة؟!

إنَّ الأخبارَ تتوارَدُ عن أُناسٍ لا يجدون لقمةَ العيش ولا خِرَقًا باليةً يسترون بها أجسامَهم العليلة، وتُروى هذه الأخبار وكأنَّها من نوع الأخبار الترفيهيَّة والألعاب الرِّياضيَّة، فهل تحوَّل إنسانُ هذا العصرِ إلى إنسانٍ متجمِّد، لا يعتَريهِ الوَجَلُ ولا يبلُغ منه الألَم ولا يكتَرِثُ بمآسي الآدميِّين؟!

وتلك الدُّولُ ما الذي حملَها على التنصُّل من مسؤوليَّتها وعدم إيتاءِ الفقراءِ من مال الله الذي آتاها؟

لقد مرَّت بالأُمم نَكَباتٌ فادحةٌ من بينها الجوع، ولكنِّي لا أحسَبُ عصرًا وَصَلَ إلى مستوى الجمود تُجاه الجائعين مثل هذا العصر.

ألا ليتَ الدُّول الغنيَّةَ تغيِّر من نظرتها المُتَغَطرِسَة لتقوم بجزءٍ من واجبها!؟

وعلى ذكر الجوعِ ومصائبه فيحسُن أن نُوردَ ثلاثَ حوادثَ في عصور متباعِدَةٍ للعلم والاعتبار:

قال ابنُ كثيرٍ في "البداية والنهاية" **(١٢/ ٩٩)** في حوادث سنة **٤٦٢**هـ:

«وفيها كان غَلاءٌ شديدٌ بمصر؛ فأكلوا الجِيَفَ

والمَيْتاتِ والكِلاب، فكان يُباعُ الكلبُ بخمسة دنانير، وماتت الفِيَلَةُ فأُكِلَت مَيْتاتُها، وأُفنِيَت الدوابُّ فلم يبقَ لصاحبِ مصرَ سوى ثلاثةِ أفراس بعد أن كان له العددُ الكثيرُ من الخيل والدوابِّ.

ونزل الوزيرُ يومًا عن بغلتِه فغفَلَ الغلامُ عنها لضعفِه من الجوع، فأخذَها ثلاثةُ نفرٍ فذبحوها وأكلوها، فأُخذوا فصُلبوا، فما أصبحوا إلَّا وعظامُهم باديةٌ قد أخذ النَّاس لحومَهم فأكلوها! وظُهِرَ على رجل يقتلُ الصِّبيان والنِّساء، ويدفنُ رؤوسَهم وأطرافَهم ويبيعُ لحومَهم فقُتل وأُكل لحمُه!

وكانت الأعرابُ يقدَمون بالطعام يبيعونه في ظاهرِ البلد لا يتجاسَرون يدخلون لئلَّا يُخطفَ ويُنهبَ منهم، وكان لا يجسُر أحدٌ أن يدفنَ ميِّته نهارًا، وإنَّما يدفنه ليلًا خُفية؛ لئلَّا يُنبشَ فيؤكَل!!».

ومن القرن الخامس إلى القرن الحادي عشر الهجري؛ يذكر عبد الملك العصامي في "تاريخه" في حوادث سنة ١٠٧٩هـ اشتدادَ الغَلاءِ في جهة اليمن والتهائم بسببِ الجَدْبِ والقَحطِ، ويقول (٤/ ٥٠١): «وفي بعض الأيَّام بالقُنْفُذَةِ وجدوا في دار امرأةٍ حجَّامَةٍ رجلَين مقتولَين

أحدُهما مأكولٌ والآخر شَرعَت في أكلِه، وأعضاءَ أطفالٍ منها طريٌّ ومنها يابس؛ فأُمسِكَت وغُرِّقَت في البحر.

وأمَّا أهلُ الطائفِ فلحقوا شدَّة عظيمة بلغَت الكِيلَةُ الحَمَاطُ ثلاثين محلق غيرَ موجودة فما بالُك بغيرها، وما صار أحدٌ يخبِزُ عيشَه في الفُرن؛ لأنَّهم يخطِفونه من شدَّة الجوع ويهرُبون، بل يخبِزونه في البيوتِ ويستترون، وهذا بالنِّسبةِ إلى من له قدرة، نسأل الله أن يمنَّ علينا بنظرة! أمَّا الفقيرُ فما أكلُه غيرَ الجلود والعظام والدِّماء والمَيتة.

ولم يجسُر أحدٌ يمشي وحدَه، إن أحوجَه الأمرُ إلى الخروجِ تسلَّح وقرأ حِزبَه ووِردَه، وكذلك أهل الحجازِ الأعلى هربوا من بلادهم وتركوها، وغالبُ أهل القرى والباديةِ جاؤوا إلى مكَّةَ هاربين، وإلى ربِّ البيتِ ملتجئين وخاضعين، وهم يصيحون: الجوع! الجوع! ويتضرَّعون، وفي الطُّرقات يتصرَّعون».

ونتقِلُ إلى القرن الثالثَ عشرَ الهجري:

يقول ابنُ عيسى في كتابه "عقد الدُّرر، فيما وقعَ في نجد من الحوادث في أواخر القرن الثالث عشر وأوَّل الرابع عشر"، في حوادث سنة ١٢٨٩هـ: «وفيها اشتدَّ

الغَلاءُ والقَحْطُ في نجد، وأكلَ النَّاس المَيتَةَ وجِيَفَ الحمير، وعظُمَ الأمر، وماتَ خلائقُ جوعًا، وصارَ كثيرٌ من النَّاس يأكلون الجلودَ الباليةَ بعد حرقِها بالنار، ويدقُّون العظامَ ويأكلونها، ويأكلون الرَّطْبَةَ - وهو (القَتُّ) بلسان العامَّة - ويأكلون ورقَ الزرع؛ فأثَّر ذلك في وجوه النَّاس وأرجلِهم نفخًا وأورامًا ثم يموتون بعد ذلك، واستمرَّ الغلاءُ والقَحطُ إلى آخر السَّنة التي بعدَها».

وفي هذه الوقائع ما يُغني عن التعليق، وما يدفعُ بالعاقل اللبيبِ إلى أن يجودَ بشيءٍ لا يضرُّه؛ لسَدِّ خَلَّة، وسَتْر عَوْرَة، وإطعامِ ذي مَسْغَبَة، وما نقصَ مالٌ من صدقةٍ بل تزيدُه، وله الأجرُ والمثوبةُ من الله، متى حَسُنت النيَّة وأُدِّي عن طيبِ خاطر، وتحقَّقت فيه الخِصالُ والشروطُ التي بها تزكو الصَّدقةُ ويصفو المال وينمو.

وصدق الله العظيم: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٦١-٢٦٢].

مَيدان الشَّباب[1]

ليس مَيدانُ الشباب الغضِّ وظائفَ كتابيَّةً ناعمة.

وإنَّما مَيدانُه الجُنديَّة والفُتوَّة واكتسابُ المعارف وتنميةُ المعلومات واقتحامُ أبوابِ الطِّبِّ والهندسةِ والاكتشافات المفيدة.

بلادُنا - كأيِّ جزءٍ من العالم الإسلاميِّ الفسيح - تحتاجُ إلى شبابٍ ناهضٍ قوي، لا يقنَع بالاسترخاء، ولا يستكينُ للهيِّن من الأعمال، وإنَّما يقتدي بسيرةِ آبائه وأجداده من ذوي العلم والطُّموح.

فإذا كان أعداءُ الأمَّة الإسلاميَّة يجنِّدون كلَّ قُواهم وطاقاتِهم للنهضة العلميَّة والاستعدادات الحربيَّة، ويعبِّئون شبابَهم لهذه الغايات - فنحن أحقُّ منهم وأولى بهذا المَنحى، وأن يكون الشبابُ لدينا مَثَلًا لاستصغار الأهوال والصُّمود في وجهِ العدوِّ والتهيُّؤ لمُلاقاتِه في ساحات الوغى بالسِّلاح الذي يحطِّم آمالَه ويقضي على مخطَّطاته.

وإذا قَنَعَ شبابُنا برخاءِ العَيش وبالوظيفةِ المريحة،

---

(١) نُشرت في "الجزيرة" العدد (١٨٨) في ٤/ ١/ ١٣٨٨هـ.

هائبينَ المصاعب، خائفينَ من انتهاج الطُّرقِ المحفوفةِ بالأخطار - فإنَّ ذلك ممَّا يُتيح للعدوِّ فرصةً نادرة؛ إذ يخلو له الميدان ولا يجد إلَّا أُناسًا ضعفاء، لا يُطيقون مقاومة، ولا يَقوَون على مجابهة.

أليسَ من المؤسفِ أن يتقدَّم تسعون شابًّا لمسابقةِ وظيفةٍ واحدةٍ في المرتبة التاسعة؟! وأن يتنافسَ على شَغلِ وظيفةٍ في المرتبة الثامنة والسابعة في وظائف الفرَّاشين والمنظِّفين الأعدادُ الكبيرة من الشباب الذي يستطيعُ أن يقومَ بأعمالٍ جليلة؟!

بينما الجيشُ يدعو الشبابَ إلى الالتحاق به في مختلِف قِطاعاتِه، ويدفع المكافآتِ المُغرية، ويحثُّ أبناءَ البلاد على المبادرة للعمل في ميادين الجنديَّة.

وإن يكن الإقبالُ على الالتحاق بالجيش كثيرًا فإن تقدُّمَ أعداد هائلةٍ لشَغل وظيفةٍ بسيطة أمرٌ يبعثُ على الأسف؛ إنَّ البلادَ في حاجةٍ إلى تجنيد كلِّ قُواها لما ينهضُ بها في كلِّ مَرْفَقٍ من مَرافقِها، وإلى أن يعُبَّ شبابُها من العلم، فلا يقنَعون بالمبادئ الأوليَّة من العلم ثم ينخرطون في سِلك الوظائف.

إنَّ على الشباب دورًا عظيمًا وخاصَّة في هذه الفترة التي تجتازُها البلادُ الإسلاميَّة، وعليهم أن يؤدُّوا هذه الخِدمةَ نحوَ بلادهم وأمَّتهم، وألَّا يرضَوا بالكسل والخمول، وأنَّ على الجميع المساهمةَ بتشجيع الشباب على التزوُّدِ من العلم والمعرفة، وثَنيِهم عن التهالُكِ على الوظائف التي يقبُرون فيها مواهبَهم ومدارِكَهم.

وإنَّ الأمَّةَ الإسلاميَّة تريدُ شبابًا واعيًا مقدِّرًا للمسؤوليَّة، لا يُبالي المصاعِب، ولا يَجبُن عن القيام بدورِه الخَطير، شبابًا يؤمن بربِّه ويدافعُ عن عقيدته، ويتشوَّقُ إلى الجهادِ في سبيل الله.

ومَن أحقُّ من شباب هذه البلاد التي منها بَزَغَ الإسلام، وأضاءَ نورُه في العالم أجمَع، وزحفَت منها جموعُ الفاتحين، والعلماءِ الهُداة، والأولياءِ النُّبهاء؟؟

فإليكم يا شبابَ هذه البلاد آمالَ أمَّةٍ تتطلَّعُ إلى العِزَّةِ القَعْساءِ والمجدِ الأَثِيل.



المطالعة والكتاب[1]

يتصوَّرُ بعض النَّاس أنَّ الشهادةَ التي ينالُها الطالبُ بعدَ الدِّراسة تعني التوقُّفَ عن القراءة، وأنَّه وصلَ بها مرحلةً ليس ضروريًّا أن يُصاحِبَ الكتابَ بعدَها، وكفاه ما لَقِيَه من عَناء الدِّراسةِ ورَهْبَةِ الامتحان، وما الذي سيعودُ عليه به الكتابُ من رِبح؟! فهو قد حازَ وَظيفَة، وصارَ له مرتَّب، ويستحقُّ عِلاوةً بعد مدَّةٍ من الزمن سواءٌ انهمَكَ في المطالعة أو نبذَ الكتاب سيَّان عندَه!

إذًا فلماذا يشغَلُ بالَه؟ ويُرهق نفسَه؟ ويُكِلُّ بصرَه؟ وهذا الظنُّ الكاسدُ خدعةٌ من خُدعِ الكسل وأُحبولةٌ من أحابيل النفس الأمَّارة بالسُّوء.

فليسَت الشَّهادةُ نهايةَ المطاف ولا مبلغَ المرء من العلم، وقد حثَّ الإسلامُ على العلم ورغَّب فيه، ولم يحدِّد له أيَّامًا أو سنين، والسَّلفُ الصالح كانوا يبذُلون من مالهم وجُهدهم وأوقاتهم الثمينةِ الشيءَ الكثير، ويردِّدون

(١) نُشرت في "صحيفة الدعوة" العدد (١٥٥) في ٧/ ٣/ ١٣٨٨هـ.

العبارةَ المشهورةَ عنهم: «العلمُ من المَهْدِ إلى اللَّحْد».

وكان الواحدُ منهم ربَّما سافرَ مسيرةَ شهرٍ من أجلِ معرفةِ حديثٍ واحد، وتحمَّلوا من العَناءِ ما يَصعُب، ومن الصَّبر ما يشُقُّ؛ رغبةً في العلم وعنايةً به، حتَّى خلَّفوا هذه الكنوزَ العظيمة، والمؤلَّفاتِ الهائلة؛ في التفسيرِ والحديث والفقه والعربيَّة والتَّاريخ والأدب والأمكِنَة والبِقَاع والطِّبِّ وغيرها، ونشروا حضارةً زاهرةً، امتدَّت إلى أقاصي الأرض شرقًا وغربًا، واستنارَت بها المَعمُورةُ في كلِّ صُقْع.

لقد عرفَ أوائلُنا ما للكتابِ من أثرٍ في حياتهم؛ فأولَوهُ عنايةً فائقة، وانكبُّوا على مطالعتِه ينهَلون من مَعِينِه، ويرشُفون من رَحيقِه، ويُنمُّون مداركَهم، ويصقُلون عقولَهم؛ فضربوا أمثلةً رائعةً للجِدِّ في طلبِ العلمِ وتحصيلِه، وألَّفوا من الكتبِ النافعةِ في كلِّ فنٍّ ما بَهَرَ العقول.

وعلى خَلَفِهم أن يحتذوا حَذوهم وأن يسيروا على مِناهجِهم:

نَبْنِي كما كانَت أوائِلُنا تَبْنِي ونَصنَعُ مِثلَ ما صَنعُوا

إنَّ الشَّهادةَ ليست سُلَّمًا لوظيفةٍ أو غايةً إلى العلم، وليسَت نهايةً للمعرفةِ أو ذريعةً للتوقُّف؛ لأنَّ ذلك يعني

الخُمولَ وتبخُّرَ المعلومات من الذِّهن، وبالتالي يؤدِّي إلى أُميَّة المتعلِّمين، وهذا ما لا نرتضيهِ لأنفُسنا أو لإخواننا أو أبنائنا.

ولست أريدُ استعراض ما قيل في الكتاب فهو شاهدٌ على نفسه بنفسه، وفضله يدلُّ عليه، دون عناء الترغيب وعناصر التشويق، وكفى بالعلم شرفًا أنَّ كلًّا يدعيه، وكفى بالجهل قُبحًا أنَّ كلًّا ينفِّرُ منه. ولكني لا أرى حائلًا بيني وبين ذكر وصف جميل للكتاب قاله أحدُ الأدباء البارزين.

قال الجاحظُ في كتاب "المحاسن والأضداد":

«الكتابُ نعمَ الذُّخرُ والعُقدَة، والجليسُ والعُمْدَة، ونعمَ المشتَغَلُ والحِرفَة، ونعمَ الأنيسُ ساعةَ الوَحدة... والكتابُ وِعاءٌ مُلئ علمًا، وظَرْفٌ حُشِيَ ظَرفًا، وإناءٌ شُحِنَ مُزاحًا، إن شِئتَ كان أَعْيا من باقِل، وإن شِئتَ كان أبلغَ من سَحْبانِ وائل، وإن شِئتَ سرَّتكَ نوادرُه وشَجَتْكَ مَواعِظُه.

ومَن لكَ بوَاعظٍ مُلْهٍ وبناسِكٍ فاتِكٍ وناطِقٍ أخرَس؟! ومَن لكَ بشيءٍ يجمعُ الأوَّلَ والآخر، والناقِصَ والوافر، والشاهدَ والغائب، والرفيعَ والوضيع، والغَثَّ والسَّمين؟!

وبعدُ، فما رأيتُ بستانًا يُحمَلُ في رُدْن، وروضةً تُنقَلُ في حَجْر، ينطقُ عن الموتى ويُترجِمُ عن الأحياء! ومَن لكَ بمؤنسٍ لا ينامُ إلَّا بنَومِك، ولا ينطِقُ إلَّا بما تهوى، آمَنُ من الأرض، وأكتَمُ للسِّرِّ من صاحبِ السِّرِّ، وأحفظُ للوَديعةِ من أربابِ الوَديعة.

ولا أعلمُ جارًا آمَن، ولا خليطًا أنصَف، ولا رَفِيقًا أطوَع، ولا مُعلِّمًا أخضَع، ولا صاحبًا أظهَرَ كفايةً وعِنايَة، ولا أقلَّ إملالًا ولا إبرامًا، ولا أبعدَ من مِراء، ولا أتركَ لشَغْب، ولا أزهدَ في جِدال، ولا أكَفَّ عن قِتال - من كتاب، ولا أعمَّ بيانًا، ولا أحسنَ مُؤاتاة، ولا أعجَلَ مُكافأة، ولا شجرةً أطولَ عمرًا، ولا أطيبَ ثَمرًا، ولا أقربَ مُجتَنى، ولا أسرعَ إدراكًا، ولا أوجدَ في كلِّ إبَّان - من كتاب.

ولا أعلمُ نِتاجًا في حَداثةِ سِنِّه، وقُربِ ميلادِه، ورُخصِ ثَمَنِه، وإمكانِ وجودِه، يجمعُ من السِّيَرِ الغريبة، وآثارِ العقولِ الصحيحة، ومحمودِ الأذهانِ اللَّطيفة، ومن الحِكَم الرفيعة، والمذاهبِ القديمة، والتجارِبِ الحكيمة، والأخبارِ في القُرونِ الماضية، والبلاد النازِحَة، والأمثالِ

السائرة، والأُمَم البائدة - ما يجمعُه كتاب.

والكتابُ هو الجليسُ الذي لا يُطرِيك، والصَّديقُ الذي لا يَقلِيك، والرفيقُ الذي لا يُمِلُّك، والمستمعُ الذي لا يستزِيدُك، والجارُ الذي لا يستبطِئُك، والصاحبُ الذي لا يريدُ استخراجَ ما عندَك بالمَلَقِ، ولا يعامُلكَ بالمكر، ولا يخدعُكَ بالنِّفاق».

وأظن أنَّه لا حاجةَ بعد هذه النُّعوتِ إلى تَعدادِ محاسن الكتاب، والمزيدِ من البراهين على ما لهُ من أثرٍ ومكانةٍ؛ لأنَّ الأمرَ أوضحُ من أن يحتاجَ إلى بُرهان.

ولكن لا بأسَ من خَتم الحديثِ بهذه القصَّة:

روى أحمد بن عِمْران؛ قال: كنت عند أبي أيُّوب أحمد بن محمَّد بن شُجاع، وقد تخلَّف في منزلِه فبعثَ غُلامًا من غِلمانِه إلى أبي عبد الله بن الأعرابيِّ صاحبِ الغريب، يسألهُ المجيءَ إليه، فعادَ إليه الغُلام فقال: قد سألته ذلك، فقال: عندي قومٌ من الأعراب؛ فإذا قَضَيتُ أَرَبِي معهم أتيت. قال الغُلام: وما رأيتُ عندَه أحدًا، إلَّا أنَّ بينَ يديه كتبًا ينظرُ فيها، فينظرُ في هذا مرَّةً وفي هذا مرَّة.

ثم ما شعَرنا حتَّى جاء، فقال له أبو أيُّوب: يا سبحانَ الله العظيم! تخلَّفت عنَّا وحرمتَنا الأنسَ بك، ولقد قال لي الغلامُ إنَّه ما رأى عندَك أحدًا، وقلتَ إنَّك مع قومٍ من الأعراب فإذا قضيتُ أَرَبي معهم أتيت!

فقال ابنُ الأعرابي:

لنا جُلساءٌ لا نَمَلُّ حَدِيثَهم ... أَلِبَّاءُ مأمونونَ غَيبًا ومَشهَدا

يُفيدُونَنا من عِلمِهم عِلمَ ما مضى ... وعَقلًا وتأدِيبًا ورَأيًا مُسدَّدا

بلا فِتنَةٍ تُخشى ولا سُوءِ عِشرَةٍ ... ولا نتَّقي منهُم لِسانًا ولا يَدَا

فإن قُلتَ: أمواتٌ، فما أنت كاذبًا ... وإن قُلتَ: أحياءٌ فلستَ مُفنَّدَا



فلندرُس الثقافة الإسلاميَّة[1]

كثيرًا ما نقرأ كلماتٍ تُروى عن أحد كتَّاب الغرب وفلاسفته على أنَّه قائلُها ابتكارًا، ويردِّدُها البعضُ منَّا إعجابًا وفرحًا، ويُطري عبقريَّةَ ذلك الغربيِّ وخُصوبةَ خَيالِه وحِدَّة ذِهنِه.

ويتكرَّرُ على ألسنةِ الكُتَّاب: أنَّ تلك الكلمةَ هي للمستر فلان، والمسيو علَّان، والرفيق (خشنان!) (وهذا التعبير من عندي)، وقد يكون ذلك الكاتبُ الغربيُّ أخذَ الكلمةَ بنصِّها وفَصِّها من عالمٍ عربيٍّ قديمٍ أو حديث.

وبسبب الإعراض عن الثقافة العربيَّة، وتزهُّد بعض أبنائها فيها، وربَّما رغبةِ بعض المستغربين منهم في أن يحلِّي كلامَه بأسماءٍ أجنبيَّة، ويتذوَّق حديثَ الأجنبي كأنَّه الشَّهْدُ في لسانه، وحتَّى يُقال إنَّه: مثقَّفٌ ثقافةً عصريَّة، فتراه يُعرِضُ عن الاستشهادِ بكلامِ علماء المسلمين وأُدباءِ العرب، عامدًا أو جاهلًا، وبشيءٍ من البحثِ والمراجعةِ -

(١) أُذيعت من تلفزيونات المملكة.

لو أرادَ - يمكن له أن يَعرفَ أن كثيرًا ممَّا قاله الغربيُّون ترديدٌ لقولٍ سُبقوا إليه بعباراتٍ كانت أسلمَ وأجمل.

وقد رأيتُ كلماتٍ كثيرةً تُنسَب إلى بعض أُدباءِ الغرب وزُعمائه، وهي من قول الخليفةِ الراشد عمرَ بن الخطَّاب رضي الله عنه ومن أقوال غيره من السَّلف الصالح، ومن أُدباء العرب والمسلمين وعُلمائهم...

ولستُ أُريد هنا التَّعدادَ وإن كانت لي رغبةٌ في أن أذكر تفصيلًا عن هذا الموضوع في حديثٍ مستقلٍّ، وإنَّما أردتُّ أن أشيرَ لذلك، وعلى الرغم من أنَّ الباعثَ له هو العبارة المشهورة على ألسنة الكتاب: «الشرقُ شرقٌ والغربُ غربٌ ولن يلتقيا»؛ فهم ينسبون هذه العبارةَ المشهورةَ إلى الشاعر الإنكليزي رديارد كبلنج، وربَّما يجمعون أنَّها له لم يسبقه أحدٌ إليها.

مع أنَّ هذه العبارةَ هي تكرارٌ لكلمةٍ قالَها الشاعر الأندلسيُّ ابن زَيدون في "رسالته الهزليَّة" التي يردُّ بها على الوزير أبي عامر بن عَبدُوس؛ قال ابن زَيدونَ في هذه الرِّسالة الطريفة: «وهلَّا علمتَ أنَّ الشرقَ والغربَ لا يجتمعان، وشعرتَ أنَّ المؤمنَ والكافرَ لا يلتقيان، وقلتَ:

الخبيثُ والطيِّبُ لا يستويان؟!».

وهذا مثلٌ واحد ممَّا ننسُبه إلى غير أهلهِ، ونُضيفُه إلى مَن قلَّدَه، ويحسَبه البعضُ من ثقافةِ الغربِ المستعمِر، وهو من كنوزِ الحضارةِ الإسلاميَّة، ومن إشعاعات الفكرِ الذي أيقظَ أوربَّا من سُباتها، وفتحَ عيون الأوربيِّين على العلم والمعرفة، وإن جحدَ ذلك الأوربيُّون وحاوَلوا إخفاءَ مَعالِمه بكلِّ وسيلة، ولم يعترف به إلَّا القليلُ منهم كـ: غوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب"، وزيغريد هونكه في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب".

وهذا الصدودُ مُعتمَدٌ كجزءٍ من خُطَّةٍ لإبعاد المسلمين عن مصدر قوَّتهم ومَنبَع حضارتِهم؛ ليفقدوا الثِّقةَ في أنفسهم وتاريخهم وتُراثهم، وليظنُّوا أنَّ سبيلَ نهوضهم هو التقليدُ للغرب في مدنيَّته وسُلوكِه وثقافتِه وعقيدتِه، ولئلَّا يعلمَ أبناءُ جِلدتِهم وغيرُهم بمزايا الحضارة الإسلاميَّة وفضائل الإسلام، فيعتَنقوا الدِّين الإسلاميَّ عقيدةً وتشريعًا.

هكذا أراد الصليبيُّون في إعراضهم عن حضارةِ المسلمين، وفي وَصمِها بالقُصورِ والعَجزِ، وفي الغَمزِ من رِجالها علماءَ ومجاهدين، وقد تنبَّه لهذه الخُططِ بعض

الغَيارى والمصلحين؛ فوقفوا يحذِّرون من مغبَّتها، ويوضِّحون مَرامِيَها، ويدعون شبابَ المسلمين إلى التزوُّدِ من ثقافتهم الأصليَّة، والنَّهَلِ من مواردهم الصافيةِ دونَ التفاتٍ لتشويشاتِ المغرِضين، وأقوال الجاحدين، وفي هذا طريقُ الرَّشاد، وسبيلُ المجد.



فِهرس الموضوعات

